روايات
عالمية
للفتيان

الباحثون عن الكنز

ايديث نيسبت

ترجمة : مجيد ياسين



الباحثون عن الكنز

تأليف : إيديث نيسبت

ترجمة : مجيد ياسين



الباحثون عن الكنز
تأليف: ايديث نيسبت
ترجمة: مجيد ياسين
الطبعة العربية الاولى ١٩٨٨

الناشر: وزارة الثقافة والاعلام - دار ثقافة الاطفال
ص.ب ٨٠٤١ بغداد - العراق

سلسلة روايات عالمية للاطفال
تصدر عن قسم النشر في دار ثقافة الاطفال
المدير العام فاروق سلوم
سكرتير تحرير السلسلة: فاروق يوسف

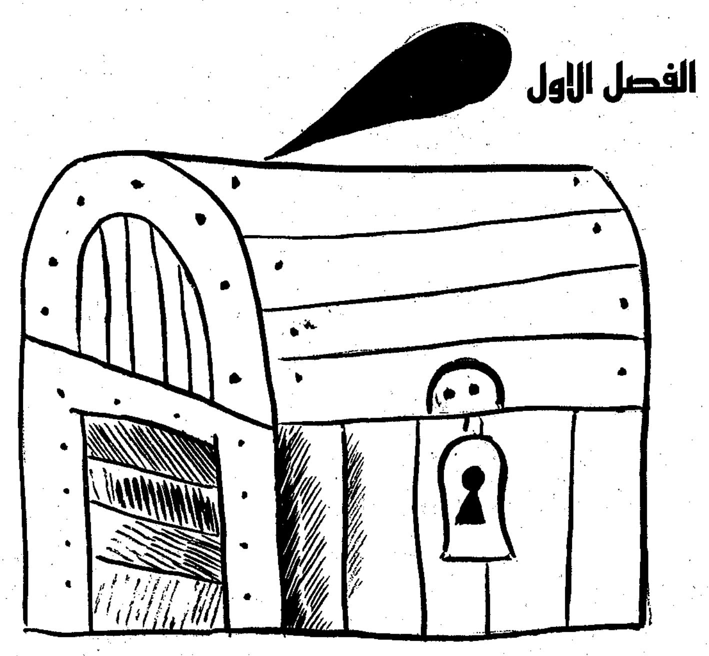
١٩٨٨/ ١٠٠٠٠ نسخة

الباحثون عن الكنز



الباحثون عن الكنز

الفصل الاول



(مجلس السبل والوسائل)

هذه قصة السبل المختلفة التي طرقناها في بحثنا عن كنـز واعتقد بانكم حين تقرأونها ، ستجدون أننّا لم نتهاون قطّ في البحث .

ثمّة أمور لابدّ أن اخبركم بها قبل أن أحكي لكم قصة البحث عن الكنز ، لأنّي قرأت كتباً وأدري كم هو ثقيل على النفس أن تبدأ رواية قصة .

قالت هيلدغارده وهي تتنهّد بعمق :

ـ واحسرتاه ! لم يبق أمامنا سوى بيت الاجداد هذا نبحث فيه عن كنز .

ثم يقول أحدهم كلاماً ، وتقرأ صفحات وصفحات قبل أن تعرف أين هو البيت أو من هي (هيلدَغارده) أو ايّ شيء عن الموضوع . يقوم بيت أجدادنا في (درب لويسهام) شبه مستقلّ عن البيوت الأخرى ، وله حديقة - غير واسعة . نحن عائلة (باستبل) ستّة أطفال والوالد . أمّنا متوفاة . إذا ظننت أنّنا لا نعبأ بغيابها لأنّنا لا نحدثك عنها كثيراً ، فهذا يدلّ على أنك لا تفهم الناس أبداً .. (دورا) أكبرنا يليها (أوزوالد) ثم (دِكي) . أوزوالد فاز بجائزة اللغة اللاتينية في التمهيدي ودِكي بارع في الحساب . اليس ونوئيل توأمان ، في العاشرة و (هوراس أوكتافيوس) هو أخي الأصغر . إن احدنا هو الذي يروي القصة -ولكني لن اخبركم من هو . وحتى لو قررت أن أفعل فلن يكون ذلك قبل النهاية قد تحاول أن تحزر أثناء سرد القصة انما أنصحك بألا تحاول .

كان أوزوالد أول من فكر بالبحث عن الكنز وكان غالباً ما يفكّر بأشياء ممتعة للغاية . وعندما خطرت بباله فكرة البحث عن الكنز لم يكتمها كما يفعل بعض الاولاد ، بل اخبر الاخرين بها قائلاً :

- اسمعوا علينا أن ننطلق للبحث عن كنز . هذا ما يجب ان تفعلوه دائماً لتستعيدوا ايّام العزّ لبيتكم .

أيّدت دورا الفكرة بحماس ، وكثيراً ما تفعل ذلك . كانت تحاول أن ترتق ثقباً كبيراً في جورب نوئيل . الذي تعلّق بمسمار حين كنّا نلعب لعبة البحّارة المتعلقين بحطام السفينة فوق كن الدجاج . يومها وقع هوراس من عل وجرح ذقنه وبقي اثر الجرح الى الان . ان دورا هي الوحيدة التي تحاول ترتيق او تصليح اي شيء . اما آليس فتحاول أحياناً أن تفعل

شيئاً . مرّة حاكت لفاعاً صوفياً أحمر لنوئيل ليحمي به صدره الضعيف ، لكن اللفّاع كان عريضاً جداً من احد طرفيه فلم يستطع الاستفادة منه ، ولذا استخدمناه كعلم مثلث . وقد وفى بالمرام لان حاجياتنا صار يغلب عليها السواد منذ وفاة أمنا فجاء اللون القرمزي تغييراً جميلاً . اما بابا فهو لا يحب ان تطلب منه أشياء جديدة . وذلك واحد من الاشياء التي جعلتنا نعرف أنّ الحظ لم يعد يبتسم لبيت باستبل العريق وهناك شيء آخر هو اننا لم نعد نأخذ مصروف الجيب ـ في ما عدا بنس يعطى للصغار منا بين حين واخر . والناس ما عادوا يأتون لتناول الطعام على مائدتنا ، لابسين ثياباً جميلة وراكبين عربات أنيقة . كما تآكلت السجاجيد ولم تعد الاشياء التي تنخلع أرجلها ترسل للتصليح . واستغنينا عن البستاني واكتفينا بأن يمرّ علينا أحياناً ليعتني بالحديقة الأمامية وخرجت الاواني الفضّية من الخزانة الكبيرة المصنوعة من خشب البلوط وذهبت للجلي والتلميع ولم ترجع قط حتى صرنا نعتقد ان الوالد لا يملك من المال ما يكفي لدفع اجرة التلميع بينما كانت الملاعق والشوكات الجديدة ذات لون أبيض ـ مائل للصفرة . وليست بثقل الادوات السابقة وقد زال لمعانها بعد يوم أو يومين .

اشتدّ المرض على الوالد بعد وفاة ماما ، ورحيل شريكه أثناء مرضه الى اسبانيا ـ وصار المال لا يأتينا الا قليلاً .

لا ادري لماذا . ثم غادرنا الخدم ولم يبق منهم سوى واحدة «عمومية» . ان جانباً كبيراً من راحتك وسعادتك يعتمد على وجود خادمة «عمومية» جيدّة . ان الخادمة السابقة كانت طيبة وقد اعتادت ان تعمل

لنا فطائر محشوة بالكشمش لذيذة وتتركنا نضع الماعون على الارض وندّعي أنه خنزير بريّ نريد قتله ونهجم عليه بشوكاتنا . ولكن الخادمة التي تعمل عندنا الان لا تكاد تعمل لنا سوى فطائر من طحين الساغو(*) من نوع عجيني لا تستطيع ان تعمل منها شيئاً ، حتى ولا جزراً كما تفعل مع العصيدة .

ثم انقطعنا عن المدرسة وقال بابا إنه سيرسلنا الى مدرسة جيدة حال ما يستطيع تدبير ذلك . كما قال إن العطلة مفيدة لنا كل الفائدة فقلنا في نفسنا إنّه مصيب ولكننا وددنا لو أنه أخبرنا بانه لا يقدر على توفير النفقات ، لأننا كنا نعرف ذلك بالطبع .

ثم صار ناس كثيرون يتوافدون على بابنا ، حاملين مظروفات لا طوابع عليها ، وكانوا يتكلمون بغضب احياناً قائلين إنها المرّة الأخيرة التي يأتون فيها قبل أن يسلموّا المظروفات الى جهات اخرى سألت (إليزا) عن معنى ذلك فأوضحت لي الأمر بلطف فشعرت نحو والدي بحزن شديد .

في احدى المرات وصلت الى البيت ورقة زرقاء طويلة ، جاء بها شرطي فاستولى علينا خوف شديد ، فطمأننا بابا ولكن حين قصد غرفة البنتين ليقبلهما قبلة النوم كان يبكي ـ كما ذكرتا ـ ولو أني واثق من ان هذا غير صحيح .

ذلك لأن الذي يبكي هو الجبان والمنافق ووالدي أشجع رجل في العالم .

(*) الساغو SAGO دقيق نشوي يستخرج من جذوع بعض اشجار النخيل في الهند والملايو ويستخدم كطعام .

« المترجم »

وهكذا تجد أن الوقت قد حان للبحث عن كنز . هذا ما قاله أوزوالد وقالت دورا إنّ الأمور تسير على ما يرام ـ ولكن الآخرين اتّفقوا مع أوزوالد في الرأي . ولذا عقدنا مجلساً ـ جلست دورا على الكرسي ـ كرسي المائدة الكبير ـ الذي اطلقنا من عليه الالعاب النارية يوم الخامس من تشرين الثاني عندما كان أوزوالد مصاباً بالحصبة ولم يستطع الخروج الى الحديقة لاطلاق الالعاب النارية هناك . ولم يصلح أحد الثقب الذي أتلف الكرسي ولذا حملناه الى غرفة اللّعب وأعتقد انّنا شعرنا بالخزي لإتلافه يوم اطلقنا الألعاب النارية .

قالت آليس :

ـ لابد أن نفعل شيئاً ، لأن الخزينة فارغة .

ـ وصارت تهزّ الحصّالة (صندوق التوفير) وهي تتكلم لقد صدرت عنه خشخشة حقاً ، ذلك لأننا نبقي فيه دائماً قطعة ست البنسات لتجلب الحظ فقال دِكي :

ـ أجل ، ولكن ماذا نفعل ؟ سهل جداً أن نقول : لنفعل شيئاً .

دِكي يريد دائماً أن يوضع كل شيء في مكانه الصحيح تماماً . بابا يسمّيه «أداة التعريف» .

علينا ان نعيد قراءة الكتب كلّها وسنخرج منها باراء كثيرة . كان نوئيل هو صاحب هذا الاقتراح ، لكننا أسكتناه لأننا كنّا نعلم جيداً أنه لا يريد سوى العودة الى كتبه القديمة . ان نوئيل شاعر وقد باع بعض اشعاره مرّة وصدرت في كتاب ـ ولكن ليس الآن مجال الحديث عن ذلك .

ثم قال دكي :

ـ اصغـوا إليّ سنلزم الهـدوء التام لمـدة عشر دقائق حسب الســاعة الجدارية ـ وكلّ منا يفكّر بطريقة للعثور على كنز . وبعد هذا نجـرّب الطرق واحدة تلو الأخرى بادئين بطريقة الاكبر سنّاً .

فقال (هـ . أو) :

ـ لا أقدر على التفكير بطريقة ما في عشر دقائق . اجعلوها نصف ساعة .

إنّ اسمه الحقيقي هو (هوراس اوكتافيوس) ، لكنّنا نناديه باسم (هـ . أو) بسبب اعلان عن مأكـولات تحمل نفس الاسم . فقـد ظلّ هوراس الى وقت قريب يخاف المرور بالقرب من لوحة أعـلانات كتبت عليها بحروف كبيرة عبارة (كُلوا الـ «هـ . أو») . ويقول هوراس إنّ هذا حدث يوم كان طفلاً صغيراً ، لكنني أتذكّر انه في عيـد الميلاد الاسبق استيقظ في منتصف الليل باكيا نائحا ، فقالوا إنها الفطائر . فأخبرني هو في ما بعد بانه كان يحلم بانهم جاءوا فعلا لياكلوه ولم تكن للفطائر علاقة بالأمر ، وهذا واضح لا يحتاج الى تفكير .

حسناً . مدّدنا الفترة الى نصف ساعة ـ وجلسنا جميعاً بهدوء ورحنا نفكّر ونفكر . فتوصّلت انا الى فكرة قبل انقضاء دقيقتين ورأيت الآخرين يفعلون مثلي الّا دورا فهي دائما تنفق وقتا طويلا في كل شيء . شعرت بما يشبه وخز الدبابيس والابر في ساقي من فرط الجلوس وما ان انقضت سبع دقائق حتى صاح هوراس .

ـ اه . نصف ساعة لا يكفي !

إنّ هوراس في الثامنة . ولكنه لا يستطيع قراءة الساعة بينما كان

أوزوالد يعرف قراءة الوقت وهو بعد في السادسة تمددّنا جميعاً وانطلقنا نتكّلم دفعة واحدة فوضعت دورا يديها على أذنيها وقالت :

- واحداً واحداً من فضلكم لسنا نلعب لعبة «صخب يابل»(*) (لعبة لطيفة للغاية ، الم تلعبها قط من قبل ؟)

وهكذا جعلتنا دورا جنباً الى جنب على الارض حسب السن ثم اشارت الينا باصبع يحمل كشتباناً نحاسياً فقد اختفى كشتبانها الفضي يوم غادرتنا الخادمة «العمومية» ما قبل الأخيرة . نظنّ أنّها لابدّ نسيت أنّ الكشتبان يعود لـ (دورا) فأخذته خطأ مع حاجياتها . كانت فتاة شديدة النسيان ، فهي تنسى كم أنفقت من النقود ولذلك لم تكن تعيد ما يتبقى من المصروف بصورة مضبوطة .

بدأ اوزوالد الكلام فقال :

- أظن أنّنا يمكن أن نقطع الطريق على النــاس في «بلاكهيث» بـأقنعة ومسدسات كاذبة ونصيح بهم : «فلوسكم أو حيـاتكم ! لا فائــدة من المقـاومـة . نحن مـدججّـون بـالســلاح مثـل (دِك تــربن) و (كلــود دوفال)(O) لا يهمّ أن نكون راجلين فزمان العربات مضى هو الآخر .

شمخت دورا بانفها كعادتها حين تزمع الكلام مثل الأخت الكبرى في الروايات وقالت :

(*) صخب بابل لعبة يتكلم خلالها كل اللاعبين دفعة واحدة . وعلى من تقع عليه القرعة ان يكون في غاية الانتباد ليلتقط كلمة السر بين كل صخب الكلا[illegible]

(O) من قطاع الطرق المشهورين في روايات المغامرات . معروفة لدى الا[illegible] الانكليز

ـ هذا لا يصحّ بالمرة اي النشل أو اختلاس نقود من جيب معطف الوالد أثناء تعليقه في الصالون لابدّ لي من القول بأنّه لا لزوم لمثل هذا الكلام وخصوصاً بحضور الصغار ولقد ارتكبت أنا هذا الخطأ عندما كنت في الرابعة ولكن أوزوالد لم يدعها تشبع غرورها فقال :
ـ آه ، حسناَ جداً . يمكنني أن أفكر بعشرات الطرق غيرها . يمكننا انقاذ سيد عجوز من يد قاطع طريق شرير .
فقالت دورا :
ـ لم يعد هناك أحد منهم .
ـ آه ، حسناً . فليكن من خطر مميت إذن لان الأخطار المميتة كثيرة . ثم نكتشف أن الرجل هو (أمير ويلز)(*) فيقول : يامنقذي العزيز . يامنقذي النبيل إنّي أكافئك بمليون باون في السنة . إنهض يا «سير أوزوالد باستبل» .
ولكن يظهر أنّ الآخرين لم يكونوا يفكرون بهذا الشكل . وعندما جاء دور آليس في الكلام قالت :
ـ أعتقد أننا يجب أن نجرّب عصا الاستدلال ، أنا استطيع القيام بهذا العمل بالتأكيد . لقد قرأت عنه كثيراً . ثم تمسك بالعصا وتسحبها على الارض ، وحين تصل الى حيث الذهب مدفون تروح العصا تهتزّ وهكذا تعرف وتحفر .
قالت دورا فجأة :
ـ آه ، عندي فكرة سأحكي عنها في الأخير ارجو ان لا تكون عصا

(*) أمير ويلز هو ولي العهد البريطاني عادة .

الاستدلال من الأعمال المحرمّة فانا اعتقد أن التوراة تحّرمها .
فقال دِكي :
ـ وكذلك أكل لحم الخنزير والبط ان هذه التحريمت منذ زمانها .
فقالت دورا :
ـ مع ذلك فلنجرب الطرق الأخرى أولاً . انه دورك الآن يا هوراس أوكتافيوس.
فقال هوراس .
ـ لنعمل حرامية . أدري أن هذا حرام ولكنه شيء ممتع أن نتظاهر بذلك .
فقالت دورا :
ـ أنا متأكدة أنّه من المحرّمات
قال دِكي إنّها تعتبر كل شيء محرّماً الا انها نفت هذا القول وأصرّ دكي على رأيه فتدخّل أوزوالد ليصلح بينهما قائلاً :
ـ دورا ليست مضطرة الى اللّعب إنْ كانت لا تريد ذلك ولم يطلب منها أحد . وأنت يادكي ، لا تكن أحمق . كفّ ما عندك ودعنا نسمع ما يقوله نونيل .
لم يبد على دورا ودكي الارتياح . لكني بادرت الى رفس نونيل من تحت المنضدة لاحثه على الكلام . فقال إنه لا يظنّ أنّه يريد الاستمرار في اللعب . وكانت تلك أسوأ لحظة . فقد تحفّز الآخرون للشجار . طالبت نونيل بان يكون رجلا لا خنزيرا مزكوما فقال أخيرا أنّه لم يقرّر بعد إن كان سيطبع أشعاره في كتاب ويبيعه أو سيبحث لنفسه عن أميرة يتزوجها . وأضاف قائلا :

ـ سواء هذه أو تلك فلا أحد منكم سيشكو الحاجة . ولـو أنّ اوزوالد يرفسني ويقول عني اني خنزير مزكوم .

فقال أوزوِالد :

ـ لم أقل ذلك بل قلت لك لا تكن هكذا .

وأوضحت له آليس أنّ أوزوالد قال عكس ما يظنّ فوافق نوئيل على نسيان الموضوع .

ثم تكلّم دِكي :

ـ لابدّ انكّم جميعاً لاحظتم في الصحف الاعلانات التي تقول إن بامكان السيدات والسادة أن يكسبوا باونين في الاسبوع بسهولة في اوقات الفراغ وأن يبعثوا بمبلغ بنسين ثمناً للنموذج ، والتعليمات محفوظة في غلاف جيد لا يجوز لغير المشترك أن يفتحه .

وبما أنّنا لم نعد نذهب الى المدرسة الآن فكلّ وقتنا فراغ . ولذا أعتقد بأن كل واحد منّا يستطيع كسب عشرين باونـاً في الاسبوع وهـذا سيجعلنا نعيش برفاهية هيّا لنجرّب بعض الطرق الأخرى اولاً . وحال ما نحصل على بعض المال نرسل في طلب النماذج والتعليمات .

كما ان عندي فكرة أخرى ، ولكن يجب أن أدرسها جيداً قبل أن أتحدث عنها .

فقلنا جميعاً :

ـ قُلْها . ما هي الفكرة الأخرى .

لكن دكيٍ قال : «لا» هذا دو دكي حين يعاند لا يريك قط ما يفعل الى ان يكلمه ، وكذا الحال بالنسبة لما يفكر به الا انه يبتهج عندما يراك مهتماً

بما يفعل لذلك قال له أوزوالد :

- إذن فاحتفظ بسرّك الرث السخيف . والآن يادورا قولي ما عندك كلنا قلنا ما عندنا الّا أنت .

فهبّت دورا واقفة ورمت بالجورب والكشتبان (الذي تدحرج واختفى وبقينا نبحث عنه عدة أيام) وقالت :

- لنجرّب طريقتي الآن يضاف الى ذلك اني أكبركم سنّاً هذا هو الانصاف فلنحفر في الارض بحثاً عن الكنز ولا حاجة بنا الى عصا الاستدلال المزعجة مجرّد حفر الناس الذين يحفرون بحثاً عن كنز يعثرون عليه دائماً وعندئذ نصبح أغنياء ولا نحتاج الى تجربة طرائقكم أبداً لان بعض هذه الطرق صعب فعلاً وأنا واثقة ان بعضها مغلوط وعلينا أن نتذكر دائماً كل ما هو مغلوط و ....

لكنّنا أمرناها بالسكوت والمجيء معنا ففعلت . ولم أستطع ، ونحن [illegible] انمضي الى الحديقة ، الّا أن أتساءل باستغراب لم لم يفكّر بابا بالحفر هناك بحثاً عن كنز بدل الذهاب الى مقر عمله البغيض كل يوم .

(الفصل الثاني)



(التنقيب عن الكنز)

أظنّ انّ الفصل السابق كان كئيباً لان أسوأ ما في الروايات دائماً أن تجد الناس يتكلمون ويتكلمون ولا يفعلون شيئاً . غير أنيّ أجد من واجبي أن أعترف بهذه الحقيقة ، والاّ فأنّك لن تفهم بقية القصة .

إن أفضل جزء من اية رواية هو الجزء الذي يحدث فيه شيء وهو أفضل جزء من الواقع أيضاً . لذا فأنّي لن أحكي لكم في هذه القصة عن الأيام التي لم يحدث فيها شيء ولن تمسكوا بي متلبساً بالقول :

«وهكذا مضت ايّام الحزن (او الايّام العابسات) تجرّ نفسها جرّا او «مضت» السنين بطيئة مملة» او «مضى الوقت» فمثل هذا الحديث سخيف ـ لأن الوقت يمضي بالطبع ـ ذكرت هذا او لم تذكر . إذن ساحكي لكم عن الاجزاء الممتعة الجميلة ، وسوف تفهمون من خلالها انّنا كنّا ايضا نتناول وجبات الطعام وناوي الى الفراش وغير ذلك من الاعمال الروتينية السمجة . فما اثقل على النفس من ان اكتب عن كل هذه الاشياء ، ولو انها تحدث فعلاً .

قلت هذا لعمّ جارنا (ألبرت) الذي يؤلّف الكتب ، فقال : «أنت مصيب تماماً وهذا ما نسمّيه انتقاء ، إنه ضرورة من ضرورات الأدب الحقيقي» رجل ذكي حقاً .

لطالما توهّمت لو ان الناس الذين يكتبون للاطفال عرضوا المزيد من المعلومات لكان ذلك أفضل . ولكني لن احكي لكم عنا سوى ما أفضل ان اعرفه لو كنت أنا من يقرأ القصة وأنتم من يكتبها ان عمّ البرت يشير علي بأن أصب هذه الفكرة في المقدمة لكني لا اقرأ المقدمات ابداً وليس من المستحسن أن تكتب اشياء لمجرد ان يهملها الناس . عجباً : لماذا لم يفكر المؤلفون الاخرون بهذا قط !

حسناً . عندما اتفقنا على التنقيب عن كنز نزلنا جميعاً الى القبو واشعلنا مصباح الغاز . كان اوزوالد ميالاً الى الحفر هناك ولكن ارضية القبو كانت مبلطة بالصخر ورحنا نقلب الصناديق القديمة والكراسي والدواليب المحطمة والقناني الفارغة وغيرها من الاشياء حتى عثرنا على المجارف التي حفرنا بها في رمال الشاطيء حين

ذهبنا الى هناك قبل ثلاث سنوات . لم تكن المجارف لعب اطفال خشبية سخيفة تتكسر من النظرة ، بل كانت مصنوعة من حديد جيد ومزودة بمقابض خشبية صفراء اللون . انفقنا بضع دقائق في نفض الغبار عنها ومسحها لان البنات يرفضن الامساك بها وهي مغطاة بنسيج العنكبوت ان البنات لا يصلحن لاعمال الاستكشاف في افريقيا او لاي شيء من هذا القبيل ، فهن نزقات للغاية .

لا فائدة من التكاسل فبادرنا الى تأشير مربع بطول ثلاث ياردات في موضع مهجور من الحديقة وبدأنا نحفر . غير اننا لم نجد سوى الديدان والحجارة وكانت الارض صلبة متعبة .

ولذا فكرنا بالحفر في موضع اخر من الحديقة فوقع الاختيار على بقعة وسط شجيرات الورد ، حيث التربة هشة وقررنا ان نجعل الحفرة صغيرة اول الامر فذلك افضل . ورحنا نحفر ونحفر ، وكان عملاً مرهقاً حقاً لقد حفرنا بكل همة ونشاط ، بيد اننا لم نجد شيئا .

وفجأة اطل علينا جارنا البرت من فوق السياج . اننا لا نميل اليه كثيراً ولكننا نسمح له باللعب معنا احياناً لانه يتيم الاب ويجب الا تكون قاسياً مع الايتام حتى لو كانت امهاتهم على قيد الحياة كان (البرت) نظيفاً مهندماً دائماً ، يلبس قمصاناً ذات ياقات مكشكشة وسراويل مخملية مطرزة لا استطيع ان اتصور كيف يمكنه أن يتحمل هذه الثياب .

فقلنا له :

ـ أهلاً !

وقال :

ـ ماذا تفعلون ؟

فقالت آليس :

ـ نبحث عن كنز . وجدنا مخطوطة قديمة (أو خارطة قديمة) تكشف لنا عن مكانه تعال وساعدنا لاننا اذا حفرنا عميقاً فسوف نعثر على جرة فخارية كبيرة مليئة بالذهب والاحجار الكريمة ..

فكتم الجار البرت ضحكة وقال :

ـ ياللهراء السخيف !

غريب ان ولداً مثل آلبرت له عم لطيف كعمة ولا يقدر على اللعب مع اقرانه ابداً . ثم ان آلبرت لا يهتم بالقراءة ولم يقرأ من الكتب بمقدار ما قرأنا نحن ولذا فهو احمق وجاهل للغاية . ولكن ليس بوسعنا أن نفعل شيئاً وعليك ان تتحلى بالصبر اذا اردت منه ان يساعدك في عمل ما . يضاف الى ذلك أنّ من الخطأ ان تغضب من الاخرين لانهم اقل ذكاء منك فليس ذلك ذنبهم دائماً . لذا قال اوزوالد

ـ تعال واحفر معنا ! لتنال حصة من الكنز حين نعثر عليه .

لكنه قال :

ـ لن أفعل . لا أحب الحفر أنا عائد الى البيت لأتناول الشاي .

قالت آليس :

ـ تعال واحفر معنا أيها الولد الطيّب . ويمكنك استعمال مجرفتي لانها احسن كل المجارف .

وهكذا جاء وحفر معنا . ولما تعب مرة وجلس مستندا الى السياج ليستريح تركناه . ومضينا نحفر بجد طبعاً حتى صارت الحفرة عميقة ان «النبّاش» عمل معنا ايضاً ـ إنه كلبنا البارع في الحفر . الذي كثيراً ما يطارد الفئران الى برميل النفايات ويتلوث بالاوساخ . ومع ذلك فنحن نحبه حتى لو تلطخ وجهه بالوساخة قال اوزوالد :
ـ اعتقد، باننا سنضطر الى حفر نفق لنصل الى الكنز الثمين
ثم قفز الى الحفرة وراح يحفر في جانب منها وتبعناه على التوالي ورحنا نحفر في النفق . وقد افادنا (النباش) كثيراً في طرح التراب خارج النفق فهو يقوم بهذا العمل بقائمتيه الخلفيتين حين تقول له «فئران» كما انه يحسن الحفر بقائمتيه الاماميتين وسحب التراب الى الخارج بمقدمة راسه .
أخيراً بلغ طول النفق حوالي ياردة وكان عريضاً . بما يكفي للزحف داخله وصولاً الى الكنز ليته كان أطول قليلاً . وجاء دور آلبرت للنزول والحفر في النفق لكنه خاف فقال له اوزوالد :
ـ أنجز حصتك من العمل كرجل
لا احد يستطيع ان يتهم اوزوالد بعدم الالتزام بواجبه كرجل لكن آلبرت ليس مثل اوزوالد . ولذا لجأنا الى حثه وتشجيعه فقالت آليس :
ـ المسألة في غاية السهولة انه مجرّد ان تدخل النفق وتحفر بيديك وعندما تخرج ندخل نحن لنخرج التراب بواسطة المجارف . هيا ـ كنْ رجلاً . لن تشعر بالظلام داخل النفق اذا اغمضت عينيك جيداً

فكلنا نزلنا الى النفق باستثناء دورا ـ فهي لا تحب الديدان .
فقال (الجار آلبرت)
ـ أنا ايضاً لا احب الديدان .
لكننا لم ننس كيف التقط دودة كبيرة ذات لونين احمر واسود ورماها على دورا قبل يومين لذا جعلناه ينزل الى النفق رغم انه رفض ان يدخل رأسه اولا في النفق ، وهي الطريقة الصحيحة حيث يحفر بيديه كما فعلنا نحن . ومع ان أوزوالد استاء في تلك اللحظة ، لأنه كان يكره الجبناء الّا أنه اعترف بأن طريقة آلبرت قد تكون صحيحة .
لا تخف أبداً من الاعتراف بالخطأ ـ ولكن من الجبن أن تعترف بخطأ ما لم تكن متأكداً من أنك مخطىء فعلاً . قال الجار آلبرت :
ـ دعوني ادخل قدميّ اولاً . ساحفر بواسطة حذائي أقسم بشرفي أني سأفعل .
لذا تركناه يدخل بقدميه ـ فراح يزحف ببطء شديد حتى دخل النفق ولم يبق ظاهراً منه سوى رأسه ، فقال اوزوالد :
ـ والان احفر بقدميك . وانت ياآليس امسكي «النبّاش» جيداً لئلّا ينبش ويرمي التراب على عيني آلبرت .
لابد من التفكير بهذه الاشياء الصغيرة فالتفكير براحة الاخرين يجعلهم يحبونك فأمسكت آليس بالنباش بينما رحنا نحن نشجع آلبرت صائحين .
ـ إرفس ! احفر بقدميك ، بكل ما في طاقتك !

وهكذا انطلق الجار آلبرت يحفر بقدميه . ووقفنا على الارض التي فوقه ننتظر وما هي الا لحظة حتى انهارت الارض من تحتنا وهوينا جميعاً مثل كومة من حجارة ولما نهضنا لم نجد من النفق سوى تجويف صغير بينما كان الجار آلبرت غارقاً بالتراب بعدما انهار سقف النفق فوقه . ياله من ولد سيء الحظ بشكل مريع في كل ما يفعله !

راح يبكي ويصرخ برعب ولو أنّه ـ والحق يقال ـ لم يصب بأذى وكل ما هنالك أن كمية التراب المنهارة كبيرة ولم يكن يقدر على انتزاع ساقيه منها كنّا سنحفر ونخرجه من المأزق في الوقت المناسب لولا أنه راح يصرخ بما جعلنا نخاف أن تأتي الشرطة . فصعد دكي الى اعلى الحفرة بسرعة ليطلب من الطبّاخة أن تخبر عمّ آلبرت حتى يأتي ليساعدنا على اخراج الولد من تحت ركام التراب الذي انطمر فيه من غير قصد .

تأخر (دكي) كثيرا فتساءلنا عمّا جرى له بينما ظلّ آلبرت يصرخ وكنا قد ازلنا التراب عن وجهه لنترك له فرصة الصراخ على راحته .

وفجأة عاد دكي ومعه عم الجار آلبرت وهو رجل طويل الساقين مشدود الشعر اسمر الوجه كان من قبل بحاراً ثم انصرف الان الى تأليف الكتب وأنا أحبه .

طلب من آلبرت السكوت فسكت ثم سأله أنْ كان أصيب بأذى ـ فلم يملك الاّ أن يجيب بالنفي فهو على جبنه وسوء حظه ، ولد أمين لا يكذب كما يفعل بعض الاولاد قال عم آلبرت ، وهو يفرك يديه وينظر

الى الحفرة التي يبرز منها راس ابن اخيه
ـ هذه مهمة غير مسرّة وتحتاج الى وقت طويل وساتي بمجرفة اخرى .

وجلب من خزانة ادوات الحديقة مجرفة كبيرة وبدا يجرف التراب ليخرج ابن اخيه من ورطته . وهو يقول
ـ انتبه .. لا تتحرك من مكانك ابدا والّا سلخت قطعة من لحمك بهذه المجرفة .

ثم قال بعد برهة :
ـ اعترف باني لا استطيع تجاهل غرابة المسالة فلقد اثارت فضولي واقول لكم اني اريد ان اعرف كيف حصل ان دفن ابن اخي في التراب . لا تقولوا لي شيئا اذا لم يكن الفاعل واحدا منكم افترض انكم لم تستعملوا معه القوة .

فقالت آليس :
ـ القوة المعنوية

ففي مدرستها المتوسطة يتكلمون كثيراً عن القوة المعنوية فاذا كنتم لا تعرفون معناها فاني اقول لكم انها تعني جعل الناس يفعلون ما لا يريدون وذلك عن طريق التخويف أو الاستهزاء أو الترغيب.

فقال عم الجار آلبرت :
ـ قوة معنوية فقط ، ها ؟أجيبوا ؟

فقالت دورا :
ـ طيّب . أنا شديدة الأسف لما حصل لآلبرت كان بودّي أن يحصل

لواحد منّا . كنت أنا سأدخل النفق ، لو لم أكن اكره الديدان ، لذلك أعفوني من دوري في الحفر . كنّا ننقّب عن كنز ، كما ترى . وقالت آليس :

ـ أجل . وأعتقد أنّنا كنّا على وشك الوصول الى الممر الأرضي المؤدي الى الكنز حين إنهار النفق على آلبرت . ياله من سيء حظ ! وتنهّدت

ثم بدأ الجار آلبرت يصرخ من جديد فمسح عمّه وجهه ـ وجه العم لا وجه آلبرت ـ بمنديله الحريري ثم أعاده الى جيب سرواله . لم يكن ذلك هو المكان المناسب لوضع منديل ، على ما يبدو ، ولكن العم كان قد نزع عنه السترة والصديري كما أنه كان يريد المنديل في متناول يده فالحفر عمل يجعل الانسان يتصبب عرقاً ،

وطلب من الجار آلبرت أن يكفّ عن الصراخ والّا تركه مدفوناً في التراب فسكت الولد ، وسرعان ما انتهى العم من الحفر واخرج ابن أخيه . كان منظر آلبرت مضحكاً جداً .

فشعره مكسو بالغبار وبدلته المخملية مغطّاة بالوحل ووجهه مطيّن بفعل التراب والدموع .

أعربنا كلنا عن أسفنا الشديد فلم يرد علينا بكلمة واحدة فقد كانت نفسه تفيض نقمة لأنه هو الذي انهار عليه النفق لا احدنا وشعرت بأن من حقه ان ينقم .

سألنا عم الجار آلبرت ، وهو يمسح العرق عن وجهه بالمنديل ، ثانية :

ـ إذن كنتم تنقبون عن كنز ؟ طيّب . أخشى أن تكون جهودكم قد ضاعت سدى . لقد درست الموضوع كلّه بعناية . صحيح أني لا أعرف الكثير عن كنز مدفون هنا ، ولكنّي لم أرَ قطّ من قبل أكثر من بنس مدفون في هذه الحديقة ـ أو في أيّة حديقة أخرى عموماً .. صبراً .. ما هذا ؟ أشار باصبعه الى شيء لامع في الحفرة التي اخرج ابن أخيه منها فالتقطه أوزوالد فاذا به نصف كراون من الفضة . أسكتتنا المفاجأة فوقفنا ننظر الواحد للآخر بدهشة وفرح ، كما في الروايات . قال عم الجار آلبرت :

ـ حسناً . هذا حسن حظ من كل الوجوه . فهو يعني خمسة بنسات لكل واحد منكم .

فقال دكي :

ـ بل اربعة بنسات ـ أو حوالي هذا المبلغ . لا استطيع حساب الكسور . تذكّر أنّنا سبعة .

ـ تحسبون آلبرت معكم بهذه المناسبة .. ها ؟

فقالت آليس :

ـ طبعاً ثم هو الذي دفنه التراب . أقول ما رأيكم في ان يأخذ كل منا اربعة بنسات والباقي لآلبرت ؟

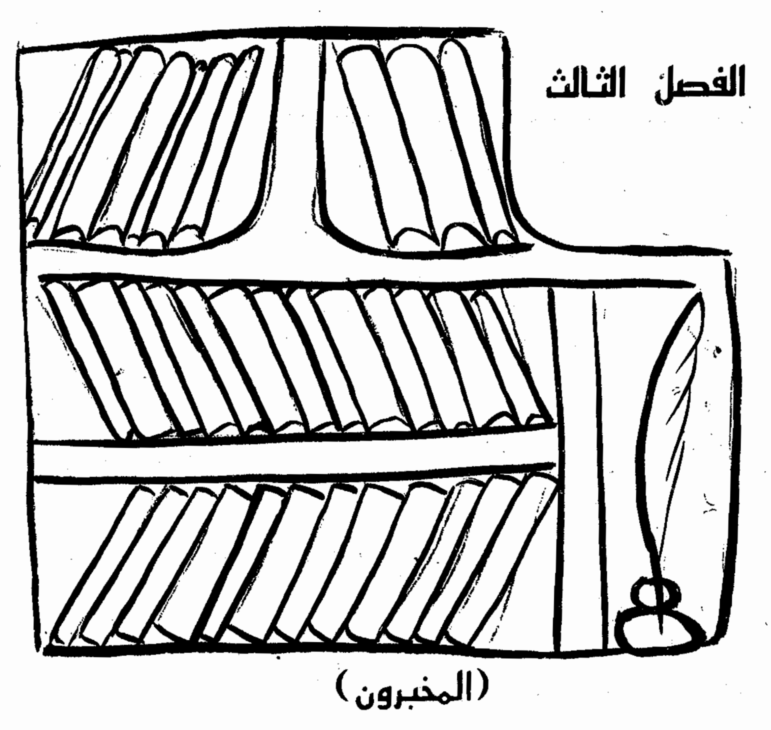
فوافقنا كلّنا على هذا الاقتراح وقلنا للجار البرت بانّنا سنعطيه حصته حال ما نحوّل نصف الكرون الى بنسات . ففرح بذلك قليلاً ومسح العم وجهه بالمنديل مرة أخرى ـ كان يتصبّب عرقا ـ وبدأ يلبس الصديري والسترة .

وما أن انتهى من ارتداء ثيابه حتى انحنى بشدة والتقط شيئاً وعرضه علينا .. قد لا تصدقون ولكنها الحقيقية ـ كان نصف كرون آخر !

قال :

ـ هل يخطر على البال أن يعثر الانسان على قطعتي نصف كرو ن مدفونتين في مكان واحد ! لم اسمع بشيء كهذا طيلة حياتي !

كم أتمنىّ أن يأتي عمّ الجار آلبرت للبحث معنا عن الكنز دائماً لابد أن نظره قويّ جداً فهذه دورا تقول إنها كانت تنظر الى نفس المكان الذي وجد فيه نصف الكرو ن الثاني الا انها لم ترَ شيئاً على الاطلاق .



الفصل الثالث

(المخبرون)

الشيء التالي الذي حصل لنا كان ممتعا جدّا ، وحقيقيا مثل نصفي الكراون اللذين عثرنا عليهما ـ لا مجرد ادّعاء . سأحاول ، قدر استطاعتي ، أن اكتب هنا كما في الروايات ، نحن قرأنا ، بالطبع ، روايات المستر (شيرلوك هولمز) وكذلك الكتب ذات الأغلفة الصفراء والصور الرديئة الطباعة ، التي تستطيع شراءها من باعة الصحف بأربع قطع من فئة نصف بنس ، بعدما يكون قد مرّ عليها زمن طويل وصارت أوراقها وسخة شبه بالية ، تلك الكتب التي

يتسلىّ الناس بقراءتها عادة أثناء انتظارهم القطار . مسكين الصبي بائع الصحف . ان هذه الكتب من تأليف سيّد يدعى (غابوريو) ويقول عمّ ألبرت إنهّا أسوأ الكتب ترجمة في العالم ذات لغة انكليزية مبتذلة ليست مثل روايات (كيلنغ)(*) لكنها مع ذلك روايات جدّ ممتعة .

كنّا قد قرأنا رواية لـ (دِك دِد لنغتون) هذا ليس اسمه الحقيقي ، ولكني أعرف قوانين تشويه السمعة ولذا لن أقول لكم ما اسمه ، بل اكتفي بالقول بأن رواياته رديئة .

لقد حذّرونا من أن نروي غير ما سأرويه لكم .

كان ذلك في شهر أيلول ، وكنّا قد حرمنا من الذهاب الى شاطىء البحر بسبب جسامة التكاليف ، حتى لو كنا سنذهب الى شاطىء (شيرنيس) حيث العلب الفارغة والاحذية البالية ولا رمل على الاطلاق . الجميع ذهبوا الى الشاطىء حتى جيراننا ـ

لا أقصد عائلة الجار ألبرت بل الجيران من الجهة الأخرى . لان خادمتهم اخبرت إليزا بانهم ذاهبون الى (سكاربوره) ففي اليوم التالي اغلقت النوافذ وأسدلت الستائر بالفعل وانقدنع بائع الحليب عن وضع قناني الحليب المطلوبة عند عتبة دابهم كالمعتاد . ثمة شجرة كستناء ضخمة تقوم بين حديقتهم وحديقتنا . كنا نستفيد من ثمارها في عمل دواء لمعالجة تشقّقات بشرة الأيدي من البرد في

(*) رديارد كبلنغ RUDIARD KIpLING روائي وشاعر انكليزي يلقب بـ «شاعر الامبراطورية» كتب للاطفال اشعارا وروايات وقصصا قصيرة كثيرة منها روايته المشهورة (كيم Kim «المترجم»

الشتاء وكانت هذه الشجرة تسد علينا الرؤية فلم نستطع أن نرى ما اذا كانت نوافذ البيت الخلفية مغلقة ايضاً لكن دِكي تسلق الى أعلاها فاستطاع أن يرى النوافذ الخلفية مغلقة هي الأخرى .

كان الجو حارّاً للغاية ، وخانقاً في الداخل ـ وقد اعتدنا أن نلعب طويلاً في الحديقة . حيث صنعنا خيمة من أغطية المطبخ وبعض بطانيات الخيل وبطانياتنا . ومع أن الحر داخل الخيمة كان شديداً هو الآخر الّا أنّه كان حرّاً من نوع آخر . أطلق عليه عم ألبرت اسم «الحمّام التركي» لم يكن حرماننا من الذهاب الى شاطىء البحر بالشيء اللّطيف ، ولكنّنا ندري أن لدينا الكثير مما نحمد الله عليه . كان من الممكن ان نكون أطفالاً فقراء يعيشون في زقاق ضيّق مكتظ بالمساكن لا يدخله خيط من ضوء الشمس حتى عند الظهر ، يلبسون خرقاً ويمشون حفاة ـ مع أني لا أهتم فيما لو كانت في ملابسي ثقوب . ثم أن يمشي الانسان حافياً في مثل هذا الجو ليس بالأمر السّيء إطلاقاً بل إنّنا نتحفّى احياناً عن قصد حين نلعب ألعاباً تتطلّب ذلك . كنّا في ذلك اليوم نلعب لعبة إنقاذ ضحايا سفينة غارقة ، على ما اذكر ، وكنّا جميعاً ، داخل الخيمة ، نأكل الطعام الذي انتشلناه من السفينة الغارقة مغامرين من أجله بحياتنا . كان طعاما لطيفا حقا ما قيمته بنسان من حلوى جوز الهند ـ اشتريناها من (غرينتش) حيث تباع بسعر بنس واحد لكل أربع أونسات ـ وثلاث تفّاحات وقليل من المعكرونة ـ من أنواع الشعرية

وقليل من الرز النيّء وبعض عيدان المعكرونة التي تصلح

لامتصاص السوائل وقطعة كبيرة من السجق الدهني البارد اخذتها أليس من حافظة اللحوم حين ذهبت لتجلب الرز والمعكرونة . وبعدما فرغنا من تناول الطعام قال أحدهم :

ـ أودّ أن اكون مخبراً .

صدّقوني أنّي لا أتذكّر من القائل . أوزوالد اكبر من أن يتخاصم مع أحد على موضوع تافه مثل هذا .

قال ـ قد يكون القائل ذكي لكني لا أظنّ ذلك :

ـ أودّ أن أكون محلّل جرائم واكتشف الجرائم الغريبة والغامضة .

فقال (هـ . أو) :

ـ يجب أن تكون أذكى بكثير مما انت عليه

فقالت آليس :

ـ ليس الى هذا الحد ، لأنّك إذا قرأت الكتب تعرف ما يعني هذا الشيء أو ذاك : شعرة حمراء على مقبض سكين أو ذرات من مسحوق أبيض على الياقة المخملية لمعطف الرجل الشرير . أعتقد بأننا نستطيع أن نقوم بذلك .

فقالت دورا :

ـ لا أحب أن تكون لي أيّة علاقة بجرائم القتل . المسألة تبدو غير أمينة بعض الشيء فقالت آليس :

ـ وتنتهي دائماً بشنق القاتل المسكين .

فأوضحنا لها لماذا يتوجّب شنق القتلة ، لكنها قالت :

ـ لا يهمّني ما تقولون ، أنا واثقة من أنّ أيّ إنسان لا يريد ارتكاب

جريمة القتل مرتين . فكروا بالدماء والاشياء الأخرى وما يمكن أن يصيبكم من ذعر اثناء الليل أنا لا امانع في أن اكون شرطياً سرّيا اكمن لعصابة اللصوص واهجم عليهم بغتة واعتقلهم ـ بمفردي كما تعلمون أو بمساعدة كلبي البوليسي الوفي .

وداعبت أذني «النبّاش» لكن الكلب راح يغطّ في النوم لأنه يدري أنّ السجق الدهني لم يبق منه شيء إنّه كلب حكيم قال أوزوالد :

ـ انت تفهمين الكلام بالمقلوب دائماً فانت لا يمكنك اختيار الجرائم بحسب مزاجك ما عليك سوى اكتشاف مسألة مريبة ومن ثم البحث عن خيط يرشدك الى الحل . امّا ان تكون هذه المسألة متعلّقة بجريمة قتل أو ضياع وصية ميراث فذلك متروك للصدفة .

فقال دكي :

ـ هذه طريقة اما الطريقة الأخرى فهي أن تأخذي صحيفة فتجدين فيها إعلانين أو نتفاً من أخبار مناسبة . مثل : «اختفاء سيدة شابة» حيث يعطيك الخبر كل المعلومات عن الثياب التي كانت ترتديها وقلادتها الذهبية ولون شعرها وغير ذلك ثم تجدين في مكان آخر من الصحيفة خبراً يقول «اكتشاف القلادة الذهبية» .. وتتوالى المعلومات .

أرسلنا (هوراس) في الحال ليأتينا بجريدة ولكنّنا لم نستطع أنّ نرتب ما فيها من اخبار متفرقة في صورة واحدة واضحة . وأحسن خبرين فيها : واحد يروي كيف أن لصوصاً سطوا على معمل في منطقة (هولوواي) ينتج بعض الاطعمة المحفوظة وأن عدداً كبيرا

منهم مات في تلك الحادثة . وآخر ، في صفحة اخرى من الجريدة يتحدّث عن «وفيات غامضة في هولوواي» .

اعتقد أوزوالد بأنّ في الأمر سرّاً ، وشاركه في الرأي عم ألبرت ، ولكن الآخرين كان لهم رأي آخر . فوافق أوزوالد على ترك الموضوع . يضاف الى ذلك أن هولوواي بعيدة . وبينما كنّا منهمكين في الحديث عن الجريدة ، كانت أليس ، على ما يبدو ، تفكر في امر آخر . وعندما فرغنا من الحديث قالت :

ـ أعتقد بأنّنا انفسنا يمكن أن نكون مخبرين لكنّي لا أريد أن أزجّ أحداً في متاعب .

فسألها دِكي :

ـ باستثناء القتلة واللصوص ؟

فقالت :

ـ لا أقصد القتلة . لكنّي لاحظت شيئاً غريباً . وأنا أشعر بشيء من الخوف ، دعونا نستشر عمّ ألبرت أولاً .

إنّ أليس مولعة كل الولع بطلب المساعدة من الكبار . ولّما قلنا لها جميعاً أنّ ذلك طلب سخيف قالت لنا :

ـ حسناً . عدوني بأن لا تفعلوا شيئاً من دوني

فوعدناها بذلك ، فقالت عندئذ :

ـ هذا سرّ خفيّ ، وعلى من يفضل عدم التورّط في أعمال كشف الجرائم ، أن ينسحب قبل فوات الأوان.لذا قالت دورا إنّها ملّت البقاء في الخيمة، وانها ذاهبة للاطلاع على الدكاكين والمحلّات .

وذهب (هوراس) معها لانه يريد إنفاق البنسين اللذين معه . كانا يظنان أنها حيلة من حيل اليس ، ولكن أوزوالد عرف من طريقة كلامها أنها لا تمزح .

فهو يستطيع معرفة ذلك دائماً . وعندما يكذب الناس فانه يعرف ذلك من النظر الى عيونهم . ولا يتباهى أوزوالد بهذه القابلية ، فهو يعرف أن لا فضل له في كونه أذكى من البعض بكثير .

وبعدما ذهبت دورا وهوراس اقترب الباقون من بعضهم البعض وقالوا :

ـ والآن ماذا ؟

قالت أليس :

ـ تعرفون البيت المجاور ؟ ان أهله ذهبوا الى سكاربورو وهو مقفل لكنّي رأيت ضوءاً ينبعث من النوافذ . الليلة الماضية سألناها كيف ومتى لان غرفتها تقع في الجهة الامامية من بيتنا ولا يمكنها بالتالي أن ترى شيئا . فقالت عندئذ :

ـ سأخبركم يااولاد اذا وعدتموني بأن لا تذهبوا لصيد السمك من دوني .

فاضطررنا لأن نعدها بذلك . عندئذ قالت :

ـ حدث هذا ليلة أمس كنت نسيت إطعام الارانب .

واستيقظت من نومي وتذكرت . وخفت أن أجدها ميّتة في الصباح ، مثلما وجدها أوزوالد ذات مرة .

فقال أوزوالد :

ـ ليس ذنبي . شيء ما جعلها تموت . أنا اطعمتها جيّدا . فقالت اليس إنها لم تقصد ذلك . ثم اسْتمرت تحكي

ـ نزلت الى الحديقة ورايت ضوءا في البيت واطيافا تروح وتجيء فكّرت بأنّهم قد يكونون لصوصا . لم يكن بابا قد عاد الى البيت بعد والیزا نائمة . فماذا كان بوسعي أن أفعل . قلت في نفسي ربما استطيع فقط ان أحكي للباقين .

سألها نونيل

ـ لماذا لم تخبرينا بهذا صباح اليوم .

فأوضحت له اليس انها لا تريد ان تسبّب متاعب لأحد . حتى اللصوص .

وقالت :

ـ ولكن يمكننا ان نراقب البيت هذه الليلة ونرى ان كنا سنشاهد الضوء ثانية .

قال نونيل ، وهو يزدرد أخر خيط من المعكرونة .

ـ قد يكونون لصوصاً . تدرون أن جيراننا اولئك اغنياء جدا ـ يخرجون للنزهة احياناً في عربة خاصة حقيقية ويقيمون حفلات في البيت يأتي اليها الناس في عربات انيقة ولا ابالغ إذا قلت إنّ لديهم اكواما من الآنية الفضية والمجوهرات والثياب الموشّاة والفراء الثمين وغيرها من النفائس فلنراقب البيت الليلة .

فقال دكي :

ـ لا فائدة من المراقبة ، هذه الليلة . فاذا كانوا لصوصاً فمعنى هذا

انهم لن ياتوا ثانية . ولكن هناك اشياء اخرى ، غير اللصوص ، يمكن ان يكتشفها الواحد في بيت خالٍ من الناس ترى فيه اضواء تتحرك . فبادره أوزوالد بالسؤال :

ـ تعني مزوّري النقود . تُرى ما قيمة الجائزة لمن يرشد الشرطة اليهم ؟

وقال دكي في نفسه إن الجائزة لابد كبيرة لأن المزّورين ناس شديدو الخطر دائما ، والمكائن التي يستخدمونها في تزوير النقود سهلة الحمل الا انها ثقيلة ايضا بما يكفي لضرب المخبرين بها .

وحان موعد تناول الشاي فعدنا الى البيت .وكانت دورا وهوراس قد جمعا ما معهما من نقود واشتريا بها بطيخة ، واحدة كبيرة كانت مسحوقة قليلاً من أحد جوانبها ولكنها كانت بطيخة لذيذة بمعنى الكلمة . غسلنا بعد ذلك بذورها وعملنا منها اشكالاً وزينات مستخدمين الدبابيس ونتف القطن . ولم يتحدث أيّ منّا بعدئذ عن مراقبة بيت الجيران .

وعندما ذهبنا الى النوم خلع دِكي سترته والصديري ولكنّه توقّف عند حمالة السروال وقال :

ـ ماذا سنفعل بشأن المزّورين ؟

كان أوزوالد قد نزع الرباط والياقة المتحركة وأوشك أن يطرح نفس السؤال فأسرع يقول :

ـ أنا أعتزم أن أراقب بالطبع . كل ما في الأمر أن الياقة تخنقني فرأيت أن أنزعها أولاً .

قال دكي إنه لا يحبّذ اشتراك البنتين معهم . فقد تكون هناك أخطار ، لكن أوزوالد ذكّره بأنهم أعطوا أليس وعدا وأنّ الوعد شيء مقدس ولابدّ من الايفاء به . وهكذا أخذ أوزوالد أليس وحدها الى الحديقة بحجّة أن يريها يرقة فراشة اما دورا فكانت لا تحب الديدان وقد صرخت وفرّت هاربة عندما عرض عليها أوزوالد أن يحمل اليها الدودة . ثم أوضح أوزوالد الامر لـ (أليس) فوافقت على الذهاب معهم والاشتراك في المراقبة قدر المستطاع . كانت النتيجة أن تأخرنا فقد اضطرّت أليس الى الانتظار حتى تهدأ دورا وتنام . ثم تسللّت خارجة بمنتهى الهدوء خشية أن يحدث وقع أقدامها صريرا في الواح أرضية الغرفة الخشبية . وكانت الفتاتان تتركان باب الغرفة مفتوحا عند النوم خوفا من اللصوص . لم تخلع أليس ملابسها بل لبست فوقها قميص النوم في غفلة من دورا . وسرعان ما تسلّل الثلاثة زحفاً من امام غرفة الوالد واجتازوا الباب الزجاجي المؤدي الى السقيفة الأمامية ثم نزلوا الدرجات الحديدية الثلاث الى الحديقة . وسرنا بمنتهى الهدوء حتى وصلنا الى شجرة الكستناء وعندئذ شعرت بأنّنا كنّا نلعب دورنا المفضل على حد تعبير عمّ ألبرت ـ دور الحمقى . فقد كان البيت المجاور غارقاً في الظلمة . وفجأة سمعنا صوتاً ـ جاء من ناحية البوابة أقصى الحديقة . كل الحدائق لها بوابات تؤدي الى الممشى الذي يلفّها من الخلف ، إنه نوع من طريق خلفي تفضل سلوكه عادة حين لا تريد أن يعرف أحد الى أين أنت ذاهب بالضبط وحين سمعنا صرير البوابة لكز (دكي)

اليس بمرفقه واوشكت ان تسقط من فوق الشجرة لولا ذكاء آوزوالد الذي تدخّل في اللّحظة المناسبة وضغط على ذراعها بقوّة ، ورحنا ننظر كلنا . وكان دكي وآليس خائفين حقاً لأنّنا لم نكن نتوقع أن نرى شيئا سوى النور في البيت ثم لاح لنا طيف غامض ملتفّ بعباءة قاتمة راح يقطع ممشى حديقة الجيران بسرعة قادماً من البوّابة . واستطعنا أن نتبينّ بانه يحمل تحت العباءة حملاً غامضاً وبدا الطيف كانه امرأة في ثياب بحارة .

كتمنا انفاسنا لمّا مرّت تحت الشجرة التي اختبأنا فيها ونقرت باصبعها على الباب الخلفي ففتح لها ثم لاح ضوء من نافذة غرفة المائدة الأرضية الخلفية ، رغم ان الستائر كانت مسدلة قال دِكي :

ـ الله ، الله !

أما كان الآخران سيستاءان لو أن هذه المغامرة فاتتهما ! لكنّ آليس ما كانت راغبة ـ ولا لوم عليها فهي بنيّة . قلت في نفسي ، أول الأمر ، ربّما كان من الأفضل أن نرجع الى البيت ومن ثم نعود ومعنا قوة مسلحة كبيرة . فهمست آليس قائلة :

ـ ليسوا لصوصاً لان الشخص الغريب الغامض يحمل اشياء الى البيت لا الى الخارج . لابد أنهم مزورو نقود آه ياأوزوالدا .. لابد أنّ أدوات التزوير تؤذي كثيراً .. أرجوك دعنا نرجع الى البيت !

لكن دِكي قال إنه سيبقى يراقب واذا كانت هناك جائزة لمن يكتشف مسائل كهذه فهو يريد الفوز بتلك الجائزة .

همس قائلاً :

ـ لقد أغلقوا الباب الخلفي . سمعت صوت اغلاقه استطيع الذهاب والنظر من خلال فتحات مصاريع النوافذ كما يمكنني الهرب من فوق سياج الحديقة قبل ان يفتحوا الباب حتى لو سارعوا الى فتحه في الحال . كانت هناك ثقوب بشكل القلب في اعلى مصراع النافذة يتسلل ضوء أصفر منها ومن شقوق المصراع نفسه .

قال أوزوالد إن عليه أن يذهب هو ، لا دِكي لأنه الأخ الأكبر فقالت آليس :

ـ إذا كان لأحد أن يذهب فيجب أن يكون أنا ، لأنّي صاحبة الفكرة .

فقال أوزوالد :

ـ إذهبي إذن

فقالت :ـ لن افعل مهما كان السبب .

وتوسّلت الينا الآ نذهب ورحنا نتحدث عن هذا الموضوع همساً حتى تيبّست حناجرنا من كثرة الهمس واخيرا توصلنا الى خطة عمل .

تقرّر ان تبقى آليس على الشجرة وتصرخ «جريمة !» وإذا حدث شيء ، فعندما ننزل انا ودكي الى حديقة البيت المجاور لنختلس النظر بالتناوب .

وهكذا نزلنا بمنتهى الهدوء ، لكن الشجرة احدثت صوتا اقوى من المعتاد فاضطررنا الى التوقف عن الحركة عدة مرات خشية ان نكون قد انكشفنا ، ولكن لم يحدث أيّ شيء .

رأينا صفا من أصص زهور حمر تحت النافذة وانية زهر كبيرة للغاية

فيها بعض أزهار الجيرانيوم الميّتة . ويبدو كأن «يد القدر» قد وضعتها بجانب إفريز النافذة لتصنع درجة أودكّة يمكن الوقوف عليها ـ وهذا ما فعله أوزوالد . كان أول الذاهبين لأنه الاكبر سنّاً ، ولو أن دِكي حاول منعه لأنه صاحب الفكرة في الأساس .

وهكذا وقف أوزوالد على آنية الـزهر الكبـيرة وحاول أن ينظـر الى الداخل من خلال احد الثقوب ، لم يكن يتوقع حقاً أن يجـد المزّورين منهمكين في العمل الـرهيب ، كما تظـاهر حـين كانـوا يتحدثـون على الشجرة . ولو أنه رآهم يصبّون المعادن الرخيصة الذائبة في قوالب من الصفيح بشكل قطع نقدية من فئة نصف كراون ، لما بلغت به الدهشة ما بلغته أمام المشهد المثير الذي رآه .

لم يستطع أول الأمر أن يرى سوى القليل لان الثقب الذي نظر منه كان أعلى من مستوى نظره ، حتى أن عين المخبر لم ترَ غير لوحة «الابن المبذِّر» معلقة على الجدار المقابل . لكن أوزوالد انتصب على أطـراف أصابعه وتعلق باطار النافذة حتى استطاع أن يرى ما هناك .

لم يكن هناك فرن ، ولا معادن رخيصة مصهورة ، ولا رجال ملتحون يلبسون مآزر جلدية ويحملون ملاقط وعدد عمل أخرى ، بل هي مجرد مائدة مدّ عليها غطاء لتناول العشاء وقد وضعت عليها علبة سمك سلمون ورأس خس وبعض قناني البيرة . ورأى على أحد المقاعد عباءة الشخص الغامض وقبعته .. وكان الشخصان الجالسان الى المائدة هما الابنتين الشابّتين للسيدة مالكة البيت . وكانت احداهما تتكلّم :

وهكذا حصلت على سمك السلمون بسعر اقل والخس كل ستة رؤوس

ببنس واحد في برودواي تصوري ! يجب علينا أن نقتصد قدر ما يمكن في مصروف البيت إذا أردنا الذهاب الى المصيف بصورة لائقة في السنة القادمة .

وقالت الاخرى :

ـ كم أتمنى لو نستطيع جميعاً الذهاب كل سنة ، اني أتمنّى حقاً ..

طوال الوقت الذي كان فيه أوزوالد ينظر راح دِكي يجرّه من سترته ليجعله ينزل حتى يصعد هو وينظر أيضاً ، وفي نفس اللحظة التي قالت فيها الفتاة عبارة «أتمنّى حقاً» جرّه دِكي بشدة فشعر أوزوالد بنفسه يهوي على حافة إناء الزهور الكبير . واستجمع بطلنا كل قواه ليستعيد توازنه ماذا تسمّونه ؟ ولكن بعد فوات الأوان .

قال :

ـ فعلتها هذه المرّة

ثم انهار وسط آنية الزهور . وسمعها تتكسّر وتنسحق ثم اصطدم رأسه بعمود حديدي ترتكز عليه السقيفة الخارجية واغمضت عيناه وغاب عن الوعي .

والان ربما كنت تتوقع أن تصرخ آليس في هذه اللحظة قائلة «جريمة قتل !» إذا ظننت هذا فأنت لا تعرف البنات فقد قرّرتْ حين تركوها وحيدة على الشجرة أن تخبر عم آلبرت بكل شيء وتأتي به لانقاذنا من براثن عصابة التزوير .

وعندما وقعتُ كان عمّ البرت يتسلقّ سياج الحديقة . لم تصرخ آليس قطّ عندما وقع أوزوالد ولكن دِكي يعتقد بأنه سمع عمّ آلبرت يقول : «لعن

الله أولئك الأطفال !» لم يكن ذلك القول لطيفاً أو مؤدّباً ، ولذا أمل ألّا يكون يقصد ما قاله فعلاً . لم يخرج الجيران ليروا ما يجري ، ولم ينتظر عمّ ألبرت حتى يخرجوا . بل رفع أوزوالد من على الارض وحمل جسد الشرطي الشاب الشجاع الغائب عن الوعي حيث وضعه على السياج ثم تسلقّ الى الجانب الآخر وحمل الفتى الى البيت ومددّه على اريكة في غرفة مطالعة الوالد . كان الوالد في الخارج ساعتئذٍ لذا لم نكن بحاجة لأن نعبر الى حديقتنا زحفاً . ثم أفاق أوزوالد من إغمائه فعصب له رأسه وأرسل الى الفراش ، وفي اليوم التالي شوهد ورم كبير فوق حاجبيه بحجم بيضة الدجاج الرومي ، وكان يؤلمه ألماً شديداً .

جاء عمّ ألبرت في اليوم التالي وتحدث الى كل واحد منّا على انفراد . ووبّخ أزوالد بشدة لتجسسّه على السيدات بطريقة غير مؤدبة ونصحه بعدم التطفّل على الآخرين . وعندما بدأت أروي له ما سمعت أمرني بالسكوت واسمعني كلاماً قاسياً كان أشد وقعاً من ألم السقطة .

لم يقل أوزوالد لأحد شيئاً ولكنّه تسلّل بعيداً في مساء اليوم التالي ، وكتب على وريقة عبارة «أريد التحّدث معك» والقى بها من فتحة في أعلى مصراع باب الجيران .

نظرت الشابة الصغرى من فتحة المصراع ثم فتحته وقالت بلهجة قاسية :

ـ ما هذا ؟

فقال أوزوالد :

ـ أنا شديد الأسف ، وأرجو عفوك . أردنا أن نكون مخبرين وظنّنا أن

عصابة تزوير انتهكت حرمة بيتكم ولذا نظرنا من نافذتكم ليلة امس فرأيت الخس وسمعت حديثك عن سمك السلمون الذي اشتريته بسعر أقل وأنا ادري أنه ليس من الشرف التلصص على اسرار الناس وخصوصاً السيدات ، ولن أفعل هذا ثانية أبدا اذا سامحتني هذه المرّة .

عبست السيدة برهة ثم ضحكت وقالت :

ـ إذن فأنت الذي وقع على آنية الزهور ، الليلة الماضية . ظننّا كم لصوصاً . لقد خفنا كثيراً رباه . يالها من ضربة على رأسك المسكين !

وهكذا تحدثت اليّ قليلاً ، وقالت فجأة إنّها وشقيقتها لم ترغبا بأن يعرف الناس عن بقائهما في البيت .. وسكتت واحمر وجهها خجلاً . فقلت أنا :

ـ ظننت أنكم جميعاً ذهبتم الى سكاربوره . خادمتكم أخبرت اليزا بذلك لماذا لا تريدان أن يعرف الناس عن بقائكما في البيت ؟

ازداد وجه الفتاة إحمراراً ثم ضحكت وقالت :

ـ لا تهتم بالأسباب ، أرجو أن لا يكون رأسك قد تأذى كثيراً . اشكرك على خطابك الرجولي القصير اللطيف . لا شيء يستوجب الخجل بأية حال .

وقبّلتني فلم أمانع ، ثم قالت :

ـ اهرب الآن ، ياعزيزي . لاني أنوي ـ أنوي أن أفتح مصاريع النوافذ وأزيح الستائر .. وأريد أن أفعل هذا حالاً ، قبل حلول الظلام ، حتى يستطيع كل واحد أن يرى أنّنا في البيت لا في سكاربوره .

الفصل الرابع



(صيد جيّد)

ـ يوم حصلنا على الشلنات الخمسة خلال التنقيب عن الكنز صار من حقّنا أن نجرّب فكرة دِكي في الاجابة عن الاعلان الخاص باشتغال السيدات والسادة والاستفادة من اوقات الفراغ مقابل الحصول على باونين في الاسبوع ، ولكن كانت هناك عدة أشياء نريدها .

دورا كانت تريد مقصاً وقالت إنّها ستشتريه بالبنسات الثمانية التي لديها ، لكن آليس قالت :

ـ عليك أن تشتري لها المقص يا اوزوالد فأنت ، كما تعلم ، كسرت طرفي

مقصّها عندما حاولت استخراج قطعة الرخام من الكشتبان النحاسي
كان ذلك صحيحاً حقاً ولو أنّي كدت أنسى . ولكن هوراس أوكتافيوس هو الذي حشر قطعة الرخام في الكشتبان أصلاً . لذا قلت :
ـ كانت غلطة هوراس مثلما هي غلطتي . فلماذا لا يدفع هو .
لم يكن أوزوالد رافضاً لفكرة دفع ثمن المقصّ الشريّر ، إنّما كان يكره الظلم وعدم الانصاف بكل أنواعه . قال دكي :
ـ إنّه طفل صغير .
رفض هوراس ، بالطبع ، إعتباره طفلاً صغيراً وأوشك الأمر أن يصل الى الشجار بين الاثنين ، لكن أوزوالد يعرف متى يبادر مبادرة كريمة ولذا قال :
ـ اسمعوا ! سأدفع ستة بنسات من ثمن المقص ، ويدفع هوراس الباقي حتى يتعلّم قيمة العناية بالاشياء . فقبل هوراس الامر لأنه لم يكن قطّ طفلاً بخيلاً ، غير أنّي علمت فيما بعد أنّ أليس هي التي دفعت حصته من ثمن المقص .
وكنّا نحتاج الى بعض الاصباغ الجديدة ، واراد نوئيل قلم رصاص ودفتر حسابات قيمته نصف بنس ليكتب فيه شعراً . وكان يحزّ في نفوسنا الاّ نستطيع الحصول على بعض التفاح .
وهكذا انفقنا كل نقودنا بهذا الشكل أو ذاك . واتّفقنا على أن نؤجل التفكير بموضوع الاعلان بعض الوقت . قالت أليس :
ـ كل الذي أرجوه ألاّ يحصلوا على كل النساء والرجال الذين يحتاجونهم قبل ان نحصل على المال اللازم لطلب النموذج والتعليمات .

اما أنا شخصياً فقد كنت خائفاً ، اذ كانت تلك فرصة رائعة لاننا كنا نقلّب الجريدة كل يوم لنجد الاعلان في مكانه ، فتطمئنّ نفوسنا .

كنّا قد جرّبنا فكرة العمل كمخبرين ـ فانتهت فشلها وحين نفدت نقودنا كلّها ـ ولم يبق سوى نصف بنس عندي وبنسين عند نوئيل وثلاثة بنسات في حوزة دِكي وبضعة بنسات لدى البنتين ، عقدنا اجتماعا آخر .

كانت دورا تخيط أزرار ثياب هوراس التي يلبسها يوم الأحد ، بعدما اشترى بنقوده سكيّناً قطع بها أحسن ما في ثيابه من أزرار . قد لا تتصورون كم هناك من الأزرار في البدلة . لقد أحصتها دورا فوجدتها اربعة وعشرين ، بضمنها أزرار الأكمام التي لا تتقطّع عادة .

وكانت آليس تحاول تعليم «النّباش» كيف يستجدي منها شيئاً وهو أعقل بكثير من إضاعة الوقت بالاستجداء من يد فارغة ، بينما انشغل الباقون بشيّ البطاطا في النار . التي اشعلناها عن قصد على الرغم من دفء الجو . انّ البطاطا المشوية لذيذة اذا رميت عنها الاجزاء المحروقة ـ لكن عليك ان تغسلها جيداً أول الأمر والاّ فأنت ولد وسخ .

قال دِكي :

ـ حسناً ، ماذا يمكننا ان نفعل ؟ أنت مغرم بالقول «فلنفعل شيئاً !» ولكنك لم تقل قط ماذا نفعل» .

فقال أوزفالد :

ـ لا يمكننا تجربة الاعلان في الوقت الحاضر . فما رأيكم في أن نجرب عملية إنقاذ احد ؟

كانت تلك فكرته غير أنّه لم يلحّ على تجربتها ، ولو أنه الثاني في التسلسل من حيث السن ، وذلك لأنه يعرف أن ليس من حسن الخلق أن تجعل الناس يعملون ما تريد خلافاً لرغبتهم .

سألت آليس :

ـ ما هو مشروع نوئيل ؟

فأجاب نوئيل متثائباً :

ـ أميرة أو ديوان شعر .

كان مستلقياً على الأريكة ، مؤرجحاً ساقيه . ومضى يقول :

ـ سأكتفي بأن أبحث لي عن أميرة بنفسي . وسأسمح لكم برؤيتها عند زواجنا .

سأله دِكي :

ـ هل عندك من الشعر ما يكفي لديوان ؟

كان سؤال دِكي وجيهاً . فعندما جاء نوئيل ليراجعه لم يجد سوى سبع قصائد يمكن أن يفهمها القارىء . بينها قصيدة «غرق السفينة مالابار» وقصيدة كتبها يوم أخذتهم إليزا لسماع موعظة مؤثرة من القس ، أبكت الجميع ، فقال الوالد إنّها بلاغة القس . فكتب نوئيل :

آه يابلاغة .. ما أنت ؟

أجل .. ما أنت ؟ لأنّنا بكينا

وكل واحد من الحاضرين بكى

وحيّن خرجوا كانت عيونهم محمّرة

وبابا قال إنّ هذا من فعلك .

لكن نونيل قال لاخته اليس إنّه اقتبس البيت الأول ونصف البيت الثاني من ديوان ينوي طالب معه في المدرسة أن يؤلفه حين يجد الوقت الكافي . إضافة الى قصيدة بعنوان «أبيات في رثاء خنفساء سوداء ماتت مسمومة» يقول فيها :

اه ياخنفساء كم ابكي
لرؤيتك مطروحة على ظهرك المسكين !
انه لامر محزن جدا حقّا
كنت زاهية وسوداء
كم اتمنىّ لو تعودين الى الحياة .
لكن اليزا تقول إنّ التمنّي سخف وعيب .

كان قاتل الحشرات قوياً فعّالا وكانت هناك مئات الخنافس الميتة متناثرة هنا وهناك لكن نونيل كتب قصيدة في رثاء واحدة منها حسب قائلا إنّ وقته لا يتسع لرثائها كلها وأسوأ من هذا انّه لا يدري أيّ الخنافس رثى ـ ولذا لم تستطع أليس أن تدفن الخنفساء وتضع أبيات الشعر على قبرها . على الرغم من انها كانت تريد ذلك فعلاً .

واضح تماماً . إذن . أنّ مجموعة الشعر التي عند نونيل لا تكفي لديوان . قال نونيل :

ـ يجب ان ننتظر سنة أو سنتين وعندها سأستطيع كتابة المزيد بالتأكيد ففي هذا الصباح خطرت لي فكرة قصيدة عن ذبابة اكتشفت أن الحليب المكثف يكون لزجا .

قال دكي :

ـ لكنّنا نريد فلوساً الآن . استمْر في الكتابة على أيّة حال سيفيدنا شعرك في يوم من الأيام .

فقالت أليس :

ـ الصحف تنشر شعراً . إبقَ في مكانك يانبآش ! لن تكون كلباً ذكياً قط ، فلا تحاول .

سأل دِكي :

ـ هل يدفعون عنه فلوساً ؟

لقد فكّر دكي بهذا ، وهو كثيرا ما يفكر بأشياء مهمة وإنْ بدت سخيفة بعض الشيء . قالت دورا :

ـ لا أدري . ولكني لا أعتقد أن من حقّهم نشر شيء بلا ثمن . أنا لا أدري .

أمّا نونيل فقال أنّه لا يمانع من نشر شعره مجّانا ، ما دام يراد منشورا واسمه مطبوعا في نهاية القصيدة . قال أوزوالد :

ـ فلنحاول اذن .

إنّ اوزوالد مستعد دائما لاختبار افكار الآخرين بروح الإنصاف ولذا قمنا باستنساخ قصيدة «غرق السفينة مالابار» والقصائد الست الأخرى . على ورق رسم وان دورا قامت بهذا العمل لان خطّها هو الأجمل ـ كما رسم أوزوالد صورة للسفينة (مالابار) وهي تغطس في البحر لقد كانت سفينة كاملة وحبالها واشرعتها سليمة وان إبن عمّي قال لي هذا ، فهو يعمل في البحرية .

بتنا نفكر طويلا : هل نكتب رسالة ونبعث بها مع القصائد بالبريد ـ

ورأت دورا إن هذا هو الأفضل ، لكن نوئيل قال إنّه لا يطيق الانتظار بل يفضّل ان يعرف في الحال ما اذا كانت الصحيفة ستنشر الشعر لذا قرّرنا ان نحمل القصائد الى الصحيفة بأنفسنا .

ذهبت مع نوئيل لأنّني الاكبر سنّاً ولأن نوئيل ليس بالعمر الذي يسمح له بالذهاب الى لندن بمفرده ، قال دِكي انّ الشعر لغو فارغ ـ وهو سعيد لأنه لم يجعل من نفسه هُزَأة كل ذلك لأنّنا لم نكن نملك من النقود ما يكفي لاصطحابه معنا كما ان هوراس اوكتافيوس لم يستطع مرافقتنا ، هو الآخر ، إلّا أنه جاء الى المحطة لتوديعنا . ولوّح لنا بقلنسوته وهتف لنا قائلاً : «صيداً جيّداً» وتحّرك القطار .

في ركن من العربة كانت تجلس سيدة تلبس عوينات وكانت تكتب بقلم رصاص هوامش على جوانب أوراق طويلة مطبوعة وحين تحرّك القطار سألت :

ـ ماذا قال ؟

فاجاب أوزوالد :

ـ قال : «صيداً جيّداً» عبارة من «كتاب الأدغال» .

قالت السيدة :

ـ كلام جميل جداً أنا سعيدة جداً لرؤية ناس يعرفون كتاب الأدغال الى أين ذاهبون ؟ الى حدائق الحيوان للبحث عن ناقة ؟

فرحنا نحن أيضا لمعرفة إنسان يعرف عن كتاب الادغال .

لذا قال أوزوالد :

ـ نحن ذاهبان لاستعادة ثروة بيت باستبل ـ وكل منا فكّر بطريقة وها

نحن نجرب هذه الطرق واحدة بعد الاخرى وان طريقة نوبيل هي كتابة الشعر واعتقد ان الشعراء الكبار يكسبون المال .

ضحكت السيدة ـ كانت ضحكتها غاية في الجمال ـ وقالت انها شاعرة هي الأخرى وأن الاوراق الطويلة التي تراجعها هي مسودات طبع مجموعتها القصصية الجديدة .

فحتى يكون الكتاب حقيقيا وجميلا فهم يطبعون المسوّدات على كل انواع الورق ، اول الامر ، ويراجعها المولف ويكتب عليها الهوامش والملاحظات بقلم الرصاص لكي يبين للطباعين الاخطاء المطبعية التي يقعون فيها .

حكينا لها كل ما جرى لنا اثناء تنقيبنا عن الكنز وما يعنيه ذلك ثم طلبت الاطلاع على شعر نوئيل ـ فقال إنّه لا يميل الى ذلك ـ فقالت له :

ـ اسمعني . اذا أطلعتني على اشعارك اطلعتك انا على بعض اشعاري . فوافق .

قرأت السيدة الظريفة اشعار نوئيل وأبدت إعجابا شديدا بها وراحت تتأمل صورة السفينة مالابار باعجاب ثم قالت :

ـ انا اكتب شعراً جدّياً مثل شعرك ، وان معي الآن قصيدة صغيرة اظن انّها ستعجبكما لأنها تحكي عن صبي .

واعطتنا القصيدة ـ وهكذا استطيع أن أنسخها ، وسأفعل . فهي تدلّ على ان بعض السيدات لسنَ سخيفات . ان القصيدة تعجبني أكثر من شعر نوئيل ، ولو أني قلت له غير هذا عندما بدا وكأنه يوشك على البكاء ، لكان هذا تصرفاً مغلوطا منّي . فالواجب ان تقول الحقيقة دائما

بصرف النظر عمّا تسببه من حزن للآخرين . وهذا ما أفعله أنا على الاكثر . ولكنني ما كنت أريد رؤية نوئيل يبكي في عربة القطار . واليكم قصيدة السيدة :

أه ، حين استيقظ في فراشي
وارى الشمس ممتلئة حمراء
فافرح لمجيء يوم آخر
أقضيه في مختلف الألعاب

* * *

هناك اشياء كثيرة عليك أن تنجزها
الاشياء التي تجعل منك رجلا
إنْ لم يضايق ذلك الكبار
ويتساءلون : ماذا تنوي أن تفعل بعد !

* * *

لطالما ساءلت نفسي
أتراهم صنعوا انواع الألعاب التي نلعب
هل هم دائماً حلوين كالذهب
ولا يفعلون الاّ ما يطلب منهم

* * *

هم يفضلون دائماً أن نلعب مع احسن الاولاد
وبالدمى واللّعب التي يشترونها لك من الدكاكين
وهم لا يعرفون حتى اسماء

الألعاب الممتعة حقا

❊ ❊ ❊

لن يسمحوا لك باللعب بالنار
او شدّ اخواتك بالحبال
كما يرفضون ان تجعل من صينية الشاي طبلا
او تنصب فخاخ الأبواب للمتطفلين

❊ ❊ ❊

لا يحبون صيد السمك
صحيح انك تبلّل ثيابك احيانا
وينظرون الى الألعاب النارية بعين الاستياء
ولو انها خالية من المتفجرات

❊ ❊ ❊

لا يفهمون بأيّة طريقة
يجعلونك تستفيد من يومك اقصى استفادة
ولا يعرفون كيف يشعر الانسان بالجوع
وما تحتاجه بين وجبات الطعام

❊ ❊ ❊

وعندما يامرونك بالذهاب الى الفراش في الليل
يشعرون بالسعادة .. ولكنهم لا يتحدثون عنك بأدب
لأنك تسمعهم . من خلال الباب الموارب . يقولون :
«لقد اساء بما فيه الكفاية . اليوم» .

وقرات لنا الكثير عن قصائدها الاخرى ، لكنّي لا استطيع أن اتذكرّها وقد ظلت تبادلنا الاحاديث طوال الطريق ، وعندما أوشكنا أن نصل الى (شارع كانن) قالت :

ـ عندي شلنان من النوع الجديد هل تعتقد بانهما يمكن أن يساعدا على فتح طريق الشهرة امامك ؟

فقال نونيل :

ـ شكرا

واوشك ان يأخذهما ، ولكن اوزوالد الذي يتذكر دائما نصائح والديه ، قال :

ـ شكرا جزيلا ، لان بابا نصحنا بان لا نأخذ قط شيئا من الغرباء .

قالت السيدة :

ـ هذه عادة ممقوتة

لم تكن تتحدث بلهجة سيدة حقيقية ، بل كانت اقرب الى لهجة ولد كبير يلبس ثوبا وقبّعة نسائيين ومضت تقول :

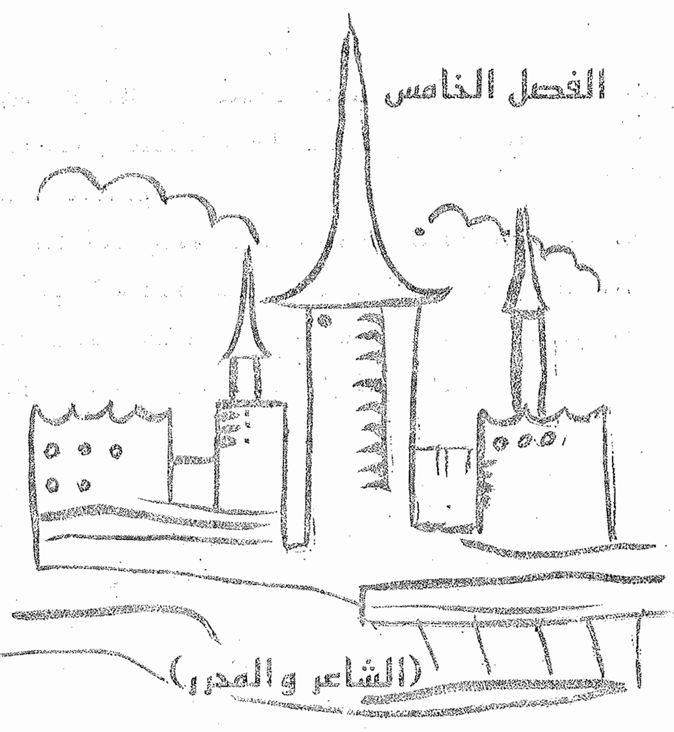
ـ عادة مكروهة جدا الا تعتقد باننا بحكم كوننا انا ونونيل ـ شاعرين يمكن أن نكون نوعا من الاقارب ؟ لعلّك سمعت بالاخوة الشعراء ، أليس كذلك الا تعتقد باننا انا ونونيل ـ عمّة شاعرة وابن اخ شاعر أو اقرباء من هذا النوع ؟

لم أدر ماذا أقول ، لانها استمرت في كلامها :

ـ نعْم الاخلاق أن تلتزم بما يقوله أبوك ولكن إصغ لما أقول . خذ الشلنين ، وهذه بطاقة عنواني وعندما تعود الى البيت أخبر أباك بكل

شيء . فاذا رفض فبامكانك آن تعيد اليّ الشلنين .
وهكذا أخذنا الشلنين وصافحتنا وودعتنا قائلة :
ـ مع السلامة و «صيد جيّد»
أخبرنا بابا بالحكاية فلم يمانع . وحين رأى البطاقة قال لنا إننّا حظين بشرف كبير لان هذه السيدة أحسن شاعرة في البلاد . لم نسمع عنها قط فيما بعد ، وكانت تبدو اكثر مرحا من أن تكون شاعرة .. إنة (كبلنغ) العجوز الطيب ! نحن مدينون له بالشلنين وبكتب الادغال !

الفصل الخامس



(الشاعر والمحرر)

لم تكن رياضة سيئة ـ ان نذهب الى لندن بمفردنا . معتمدين على انفسنا . سألنا عن الطريق الى شارع الاسطول «فليت ستريت» حيث مكاتب الصحف كما يقول بابا . فقيل لنا إن طريق «لوغيت هل» يؤدي إليه رأسا ـ ولكننا وجدنا انه يبعد عنه مسافة غير قليلة ، وفي الحقيقة أنّنا لم نسلك الطريق باستقامة .

وهكذا وصلنا الى كاتدرائية القديس بطرس ودخل نوئيل فيها وهناك رأينا قبر الجنرال غوردون ـ نصب الضريح على الأقل .

كان نصباً بسيطاً للغاية بالمقارنة مع عظمة الرجل .

بعد مغادرتنا الكاتدرائية سرنا مسافة طويلة ، وعندما سألنا شرطياً عن المكان نصحنا بالعودة والوصول الى الشارع من منطقة «سميثفيلد» فأخذنا بنصيحته انهم ما عادوا يحرقون الناس في هذه المنطقة كما كانوا يفعلون في الماضي انها منطقة كئيبة والطريق اليها طويل وهكذا تعب نوئيل من المشي تعباً شديداً فقد كان ولداً ضعيف البنية بسبب كونه شاعراً على ما أظن . اشترينا كعكة محلاة أو اثنتين في صريتي الشلنين اللذين معنا ـ وحين وصلنا الى شارع الاسطول كان النهار يوشك على الانقضاء حيث أضيئت مصابيح الشوارع الغازية والكهربائية وكانت هناك اعلانات ضوئية تشتعل وتنطفىء بالوان مختلفة توجهنا الى مكاتب صحيفة الـ (ديلي ريكوردر) وطلبنا مقابلة المحّرر . كانت دائرة كبيرة حسنة الانارة ، أثاثها من النحاس الأصفر وخشب (الماهاغوني)(*) ومصابيحها كهربائية .

قالوا إنّ المحرر موجود في مكتب اخر فذهبنا ، عبر شارع قذر الى بناية كئيبة جداً . وهناك وجدنا رجلا ، داخل غرفة زجاجية كما لو كان قطعة متحفية فطلب منّا أن نكتب اسماءنا وغرضنا من الزيارة فكتب أوزوالد :

أوزوالد باستبل

نوئيل باستيل

(*) خشب الماهوغوني : نوع من الاخشاب الثمينة ، ياتي من اشجار مدارية تنمو في أمريكا الوسطى . لونه باذنجاني ويصنع منه الاثاث الفاخر . المترجم

لغرض خصوصي للغاية حقّاً

ثم وقفنا على السلّم الحجري ننتظر . كان هناك تيار هواء شديد وراح الرجل القابع داخل الغرفة الزجاجية ينظر الينا كأننا معروضات في متحف لاهو . انتظرنا طويلاً ثم نزل الينا صبي وقال :

- المحرر لا يستطيع رؤيتكما . هلا تفضلتما بكتابة ما جئتما من أجله ؟

وضحك فأردت أن أوجّه اليه لكمة ، لكن نوئيل قال :

بلى سأكتب إذا أعطيتني قلماً وحبراً وورقة ومظروفاً . قال الصبي إنّ عليه في هذه الحالة . أن يبعث رسالة بالبريد .

لكن نوئيل ميّال الى العناد ، وهذا بعض عيوبه . لذا قال :

- لا ، بل اكتبها الآن .

فأيّدته أنا قائلاً :

- ألم تلاحظ كم صار ثمن الطابع فئة بنس واحد منذ إضراب عمّال الفحم ؟

فابتسم الصبي ابتسامة باهتة واعطانا الرجل في الغرفة الزجاجية قلماً وورقاً ، وكتب نوئيل . أوزوالد يكتب بصورة أفضل لكن نوئيل أصرّ على الكتابة . حيث استغرق وقتاً طويلاً وتلوثت الورقة بالحبر :

عزيزي السيد المحرر

اريد ان تنشر لي شعري وتعطينا أجراً عنه وأنا صديق للسيدة ليسلي . وهي شاعرة ايضاً .

صديقكم المحب

نوئيل باستبل

وبلّل غطاء المظروف بلعابه كثيرا ولصقه حتى لا يقرأ الصبي الرسالة أثناء صعوده . وكتب على المظروف عبارة «خصوصي جدا» وسلّمه للصبي . ظننت ان الرسالة تلك ما كانت لتجدي شيئا .. ولكن لم تمض دقيقة حتى عاد الصبي ، وتحدث هذه المرّة ، باحترام كبير . قال :

ـ يقول المحرر : هلّا تفضلتما بالصعود ؟

وصعدنا كان هناك الكثير من السلالم والممرّات وكنا نسمع نوعا غريبا من الدويّ ونشمّ رائحة غريبة للغاية وصار الصبي يعاملنا بمنتهى الاحترام وقال إن تلك هي رائحة حبر المطابع . أمّا الضوضاء فصادرة عن مكائن الطباعة .

وبعدما اخترقنا ممرّات باردة كثيرة وصلنا الى باب ، فتحه الصبي لندخل فوجدنا انفسنا في غرفة واسعة تغطي ارضها سجادة كبيرة ناعمة باللونين الازرق والاحمر وفي الموقد نار متأجّجة رغم أننا كنّا ما نزال في شهر تشرين الأول . وكانت هناك طاولة كتابة كبيرة ذات ادراج تنتشر عليها الاوراق مثل تلك التي في غرفة مطالعة بابا . وجلس الى جانب الطاولة سيد ذو شارب خفيف وعينين صافيتين كان شاباً ، أصغر من ان يكون محرّراً ـ حتى أنه كان أصغر من بابا سنّاً . وكان بادي التعب والنعاس كمن يستيقظ في وقت مبكر جّداً من الصباح لكن ملامحه كانت تدلّ على الطيبة ، وشعرنا نحوه بالمودّة . وقال أوزوالد مع نفسه إنّ الرجل ذكي ونحن نعتبر أوزوالد خبيراً في الفراسة (أو معرفة الناس من وجوههم) .

قال :

ـ حسن . إذن أنتما صديقا السيدة ليسلي ؟

أجاب نونيل :

ـ على ما أظن على الأقل أعطت كلا منا شلناً وتمنّت لنا «صيداً جيّداً» .

ـ صيداً جيداً ، ها ؟ حسناً ما هذا الحديث عن شعركِ ؟

أيكّما الشاعر ؟

لا استطيع أن أتصوّر كيف يمكن ان يسأل مثل هذا السؤال ! يقال إنّ أوزوالد تبدو عليه ملامح الرجولة بأكبر من سنّه ومع ذلك قلت لنفسي من السخف أن تنزعج من هذا السؤال لذا قلت :

ـ هذا أخي نوئيل . هو الشاعر

شحب وجه نوئيل شحوباً شديداً فهو يشبه البنات في بعض الامور بصورة تبعث على الاشمئزاز . طلب منّا المحرر الجلوس ثم أخذ القصائد من نوئيل وبدأ يقرأها . وازداد شحوب نوئيل أكثر فأكثر حتى ظننت أنه سيغمى عليه ، مثلما حصل له يوم وضعت يده تحت حنفية الماء بعدما جرحته بالازميل بغير قصد . قرأ المحرر القصيدة الاولى ـ تلك التي تحكي عن الخنفساء ـ فنهض وأدار لنا ظهره لم تكن الحركة تنمّ عن الذوق ، لكن نوئيل فكّر بأنه فعل ذلك «ليخفي عنّا تأثره» كما في الروايات . وقرأ كل القصائد ثم قال :

ـ شعرك يعجبني كثيراً ، أيّها الشاب . سأعطيك .. دعني أفكّر .. كم أعطيك لقاءه ؟

فقال نوئيل :

ـ قدر ما تستطيع لاحظ أنّني احتاج الى مبلغ كبير من المال لاستعادة ثراء عائلة باستبل .

لبس الرجل عويناته وراح ينظر الينا بامعان ثم جلس وقال :

ـ هذه فكرة جيّدة إحك لي كيف فكّرت بمثل هذه المسألة . اقول هل تشربان الشاي ؟ اذ سيأتون لي بالشاي بعد قليل .

ودقّ على جرس المكتب فجاء الصبي حاملا صينيّة عليها ابريق شاي وكوب سميك وماعون واشياء اخرى . ومضى ليأتينا بصينيّة أخرى بامر من المحّرر . وشربنا الشاي مع محرّر صحيفة الـ (ديلي ريكوردر) واظنها كانت لحظة فخر عظيم بالنسبة لنوئيل ، ولو أني لم أفكرّ بهذا الاّ فيما بعد .

سألنا المحرر اسئلة كثيرة وحكينا له الكثير ، ولو أني لا أحكي للغرباء ، بالطبع عن كل اسباب تفكيرنا باستعادة أيّام العز .

وهكذا مكثنا هناك ما يقرب من نصف ساعة ، وعندما قمنا للإنصراف قال الرجل ثانية :

ـ سأنشر كل قصائدك ياشاعري . والآن قل لي كم تستحق ، في رأيك ؟

فقال نوئيل :

ـ لا ادري . لاحظ أنّني لم اكتبها لغرض البيع .

فسأله المحّرر :

ـ لِمَ كتبتها إذن ؟

فأجاب نوئيل بأنه لا يدري .. سوى أنه أراد أن يكتبها فقال الرجل وهو في غاية السرور كأن نوئيل قال كلاماً ذكياً :

ـ الفن للفن .ها ؟

وسأل :

ـ طيّب . هل يفي جنيه استرليني بالغرض ؟

قرأت الكثير عن اناس تعقد الدهشة لسانهم ويشلّ الفرح تفكيرهم فيخونهم النطق . وقرأت عن ناس يقفون مذهولين من الدهشة أو الفرح أو غير ذلك ولكنني لم أكن أتصور كم هو سخيف مثل هذا المنظر الى أن رأيت نونيل واقفا ينظر الى المحرر بذهول . إحمرّ وجهه أولاً ثم ابيضّ ثم صار قرمزيا ، كمن ينشر بفرشاة الرسم على لوحة الالوان الزيتية لونا احمر ليزداد إحمرارا . لكنه لم ينطق بكلمة واحدة لذا اضطر اوزوالد الى القول :

ـ اعتقد ذلك .

فاعطى المحرر نونيل جنياً استرلينياً ذهبياً وشلناً ، وصافحنا كلينا . لكنه مسح بيده على رأس نونيل وقال له :

ـ ابتهجْ ايها العجوز ! هذا أول جنيه تحصل عليه ، لكنه لن يكون الأخير والآن عُدْ الى البيت ، وبعد عشر سنوات يمكنك أن تأتيني بمجموعة أخرى من أشعارك . لا قبل هذا اتفهم ؟ أنا قبلْتُ شعرك لأنّي أُعجبت به كثيراً ، ولكنّنا لا ننشر شعراً في هذه الصحيفة مطلقاً وسأنشره في صحيفة أخرى أعرفها .

فسألته :

ـ ماذا تنشرون في صحيفتكم اذن ؟

سألته لأن بابا يشتري صحيفة الـ (ديلي كرونكل) دائماً ولا اعرف شيئاً

عن الـ (ديلي ريكوردر) ونحن ما اخترناها الاّ لان مكاتبها فخمة وهناك ساعة ضخمة تنيرها المصابيح خارج البناية أجاب الرجل :

ـ أوه . ننشر الأخبار ، والمقالات السمجة عن الشخصيات المعروفة هل تعرفان أيّاً من هذه الشخصيات ، الآن ؟

سأله نوئيل من هي الشخصيات المعروفة ..

ـ آه ، الملكة والأميرات ، والناس الذين يحملون القاباً (*) والكتّاب أو المغنّون أو الممثلون ـ أو الأخيار من الناس أو الأشرار .

فقال أوزوالد :

ـ لا أعرف أحداً قط من الاشرار ،

وتمنّى لو أنه يعرف (دِك ترين) أو (جاك دوفال) ليستطيع أن يحكي للمحرر عنهما .. وأضاف :

ـ ولكني أعرف واحداً يحمل لقباً ـ اللورد توتنهام .

ـ تقصد العجوز المجنون الذي يدعو الى حماية التجارة الوطنية ها ؟ كيف قُدّر لك أن تعرفه ؟

ـ نعرفه عن بعد فهو يمّر عبر المروج المجاورة لنا في الثالثة من عصر كل يوم ، بخطواته الواسعة كأنه عملاق ، وعلى كتفيه عباءة سوداء ، مثل **(اللورد تنيسون) يتلاعب بها الهواء ،** ويتكلّم مع نفسه .

(*) تقصد الروائية حملة الألقاب الانكليزية مثل : الدوق والايرل واللورد والسير وحامل وسام ربطة الساق وحامل وسام الحمام وغير ذلك .

(O) اللورد آلفريد تنيسون شاعر انكليزي كبير من العصر الفكتوري له قصيدة مشهورة يخلّد فيها كتيبة خيالة حاربت ببطولة عظيمة في حرب القرم .
«المترجم»

جلس المحرر ثانية وراحت أصابعه تعبث بقلم أزرق ، وقال :
ـ ماذا يقول ؟
ـ سمعناه مرّة واحدة ، كنّا قريبين منه بما يكفي لفهم ما يقول حيث قال : «إنّ لعنة هذا البلد ، ياسيدي ، هي الدمار والخراب !» ثم انطلق يمشي بخطواته الواسعة ويضرب الشجيرات التي تمتد على جانبي الطريق وكأنها رؤوس أعدائه .
قال المحرر :
ـ لمسة وصفية رائعة .. حسناً ، استمر
ـ هذا كل ما أعرفه عنه وفيما عدا هذا نراه يقف وسط المرج كل يوم ويتلفت من حوله ليرى إنْ كان هناك أحد فاذا لم يجد أحداً بادر الى نزع ياقة القميص المنشّاة .
قاطعه المحرر ـ وهذا يعتبر قِلّة ذوق ـ وقال :
ـ هذا ليس من نسج خيالك ؟
فقال أوزوالد :
ـ ماذا تقصد من فضلك ؟
فقال المحرر :
ـ أعني أنّك لا تحكي من عنديّاتك
فرفع أوزوالد رأسه كبرياء وقال إنه ليس كذّاباً . فضحك المحرر وقال إنّ نسج الخيال والكذب شيئان مختلفان تماماً ، وانه ما قال ذلك الكلام الاّ ليعرف إنْ كان أوزوالد جادّاً أو هازلاً ، فقبل أوزوالد هذا الاعتذار واستمّر في الحكاية :

- اختبأنا بين الشجيرات في أحد الأيام ، ورأيناه .. وقد نـزع ياقته ورماها بين الشجيرات وركّب واحدة بدلها التقطنا الياقة بعـد ذهابه فوجدناها مصنوعة من الورق !

قال المحرر وهو يمد يده في جيبه :

- شكراً . هذه الحكاية تستحق خمسة شلنات ، وهـاكم اياهـا . هل يعجبكما القيام بجولة لرؤية المطابع قبل عودتكما الى البيت ؟

وضعت الشلنات الخمسة في جيبي وشكرته وهـ... هذه الجولة جداً . فنادى على سيد آخر وقال له كلاماً لم نسمعه ثم ودّعنا ثانية جرى كل هذا ونوئيل لم ينطق بحرف واحد ولكنه تكلّم في تلك اللحظة فقال

- ألّفت قصيدة عنك عنوانها «أبيات الى محرّر نبيل» أتريد أن اكتبها لك ؟

ناوله قلم الرصاص الأزرق ، وجلس نوئيل الى طاولة المحرّر وراح يكتب اليكم القصيدة أو ما تذكّره نوئيل منها فيما بعد :

لتمنحُكَ الحياة أفضل بركاتها
أعتقد بأنك جدير بكلّ نعمة
لأنك ستنشر قصائدي
ولك أن تحتفظ بهذه القصيدة مع الأخريات .

قال المحرر :

- أشكرك . لا أظنّني تلقيت قصيدة مديح من أحد قطّ من قبل واؤكد لك اني سأعتز بها .

ثم قال السيد الآخر شيئا عن مشجّعي الاداب والفنون وبعدها ذهبنا

لرؤية المطابع وفي جيوبنا باون وسبع شلنات على الاقل لقد كان صيداً جيّداً بلا أدنى شك !

لكن الرجل لم ينشر شعر نوئيل في الـ (ديلي ريكرردر) أبداً . ومرّ وقت طويل قبل أن نرى قصة في مجلة لدى بائع الصحف وأظن أنّ محرراً من النوع الخامل كتبها وانها لم تكن قصة مسلّية اطلاقاً فقد تحدثت كثيراً عن نوئيل وعنّي ووصفتنا وصفاً مغلوطاً ، وقالت إنّنا شربنا الشاي مع المحرر كما انها نشرت كل قصائد نوئيل اما أنا شخصياً فأعتقد بأن المحرر كان يسخر من القصائد ولكن نوئيل فرح تمام الفرح بنشرها وهذا ماكان يريده .

لم يكن ذلك شعري ، على أية حال وانه ليسرّني ان أقول هذا .

الفصل السادس



(أميرة نوئيل)

جاءت على غير موعد فلم نكن ابدا نبحث عن اميرة انذاك لكن نوئيل قال . من قبل . إنه سيبحث بنفسه عن أميرة ليتزوجها ـ وهذا ما حدث فعلا ' مسألة غريبة ' فنبوءات الناس قلّما تتحقق . باستثناء كلام الانبياء في الماضي طبعا .

لم نحصل على كنز . بل مجّرد اثنتي عشرة قطعة من الحلوى لكننا استمتعنا وكانت مغامرة حقا .

إن متنزه غرينتش (غرينتش بارك) مكان جيد للنزهة واللعب ،

وخاصة الاجزاء البعيدة عن غرينتش . أما الاجزاء القريبة من المروج فهي بديعة ولطالما تمنّيت أن يكون المتنزه قريباً من البيت ، ولكن المتنزهات أشياء يصعب حملها ونقلها .

كنّا أحياناً نقنع إليزا بوضع طعام الغداء في سلة للذهاب الى المتنزه وكانت هي تحب ذلك ـ فهو يوفر عليها تعب تحضير العشاء لنا وكانت تقول احياناً من تلقاء ذاتها :

ـ أعددت لكم بعض المعجّنات ولكم ان تذهبوا الى المتنزه إذا رغبتم فالجو صحو ورائق اليوم .

وكانت تطلب منّا دائماً أن نغسل الأكواب من نافورة ماء الشرب ، وهكذا تفعل البنتان ذلك . أما أنا فكنت دوماً أضع رأسي تحت حنفية الماء وأشرب ، مثل صياد مغامر يروي عطشه من جدول جبلي ـ يضاف الى ذلك أنّي واثق من نظافة الماء كما ان دكي يفعل مثلي وكذلك هوراس لكن نوئيل يفضل دائماً أن يشرب بالكوب ويقول عنه إنّه طاسة ذهبية مسحورة صنعتها عفاريت الغابة .

كان اليوم الذي هبطت فيه الأميرة علينا يوما حاراً رائقاً من شهر تشرين الأول الماضي ، وكنّا قد تعبنا من كثرة التجّول في المتنزه .

ولقد كنّا دائماً ندخل الى المتنزه من البوابة الصغيرة من جهة (كروم هل) إنّها البوابة الخلفية التي تجري عندها الاحداث دائماً في القصص والروايات . وكان الطريق مترباً ولكن حين وصلنا الى المتنزه وجدناه بساطاً رائعاً من الخضرة النديّة فتمدّدنا على العشب لنرتاح قليلاً وصرنا ننظر الى اعالي الأشجار وتمنّينا ان نلعب مثل القرود وأنا فعلت هذا من

قبل لكن حارس المتنزه يمكن أن يخلق لك مشكلة إذا أمسك بك . قالت آليس بعدما استرحنا قليلاً :

ـ ان الطريق الى الغابة المسحورة طويل منهك ، ولكن ما أحلى الوصول ! ترى ماذا سنجد هناك ؟

فقال دِكي :

ـ سنجد غزلاناً لو ذهبنا نبحث فهي تروح الى الجهة الاخرى من المتنزة هرباً من الناس وكعكهم المحلّى .

جاءت كلمة الكعك لتذكّرنا بالغداء ، فتغدّينا وبعد ذلك حفرنا عند أسفل شجرة ودفنّاا الجرائد لأننا ندري أن منظر الجرائد الوسخة المتروكة يفسد جمال المكان وأتذكّر أن ماما كانت تعلّمنا أنا ودورا ذلك حين كنّا صغاراً جداً . وكم أتمنى ان يعلّم كلّ الاباء والامهات أطفالهم هذا الدرس النافع . وكذلك بالنسبة لقشور البرتقال وغيرها .

أكلنا كل ما لدينا من طعام همست اليس :

ـ أرى الغزال الساحر الأبيض هناك بين الاشجار فلنطارده ونذبحه في مغارته .

قال نوئيل : «أنا الدب» وتسلّل بين الاشجار وتبعناه نحن كان الدب الساحر يتوارى عن أنظارنا أغلب الوقت فلا نعود ندري من أين سيقفز الا اننا كنّا نراه أحياناً فنتبعه قال أوزوالد :

ـ سيدور قتال عنيف حين نصطاده وسأكون أنا (الكونت فولكو مـو ـ فوكون)

فقالت دورا :

ـ أنا (غابرييلاّ)
ان دورا هي الوحيدة التي تحب تمثيل الادوار النسائية وقالت أليس :
ـ أنا أمثل دور (سنترام) ويمكن أن يمثّل هوراس دور (السيد الصغير)
ـ وماذا عن دِكي ؟
ـ أوه . ان بامكاني ان أمثل دور الحاج حامل العظام همست أليس :
ـ هسسسس ! انظروا الى فرائه السحري الأبيض يلمع بين الأشجار !
رأيت شيئاً أبيض أنا أيضاً تبين أنه ياقة نوئيل المفكوكة .
رحنا نصطاد الدبّ بين الاشجار وخارجها ثم فقدنا أثره كلّياً . وفجأة وجدنا أنفسنا امام جدار المتنزه ـ في موضع لم يكن فيه جدار من قبل .
لم نجد نوئيل ، بل رأينا في الجدار باباً مفتوحاً فمررنا منه قال أوزوالد :
ان الدّب أخفى نفسه في هذه الممرات الجبلية . وسأجرد سيفي الطيب وأطارده .
وهكذا سحبت المظلة ، التي تجلبها دورا دائماً إتّقاء المطر وذلك لأن بنية نوئيل ضعيفة لا تتحمل أقل برودة ـ ثم انطلقنا .
اما في الجهة الأخرى من الجدار فكانت ساحة اصطبل ، مبلّطة بالطابوق الناري لم يكن هناك أحد لكن آذاننا التقطت صوت رجل ينظف حصاناً ويحسّه في الاصطبل فتسللُنا بهدوء شديد ، وهمست أليس :
ـ هذه مغارة الافعى الوحش . سمعت فحيحها القاتل !
حذار ! عليكم بالشجاعة والحزم !
قطعنا الساحة الصخرية على رؤوس أصابعنا لنجد حائطاً آخر وباباً في

الجهة المقابلة فمررنا منه أيضاً على رؤوس الأصابع كانت مغامرة حقّاً . فهناك وجدنا أنفسنا أمام صفوف من الشجيرات ورأينا شيئاً أبيض يلوح من بين الأشجار قالت دورا إنه الدّب الأبيض . هذه هي عادة دورا .. دائماً تبدأ بالمشاركة في اللّعب عندما يكون الآخرون قد تعبوا وأصابهم الملل . لا أقصد بهذا الاساءة الى دورا ، لأنني أحبها كثيراً فأنا لا أستطيع أن أنسى كم اعتنت بي يوم أصبت بالتهاب القصبات . إنّ نكران الجميل ذنب لا يغتفر . هذا صحيح قال اوزوالد :

ـ ليس دبّاً .

فتابعنا سيرنا جميعاً ، على رؤوس أصابعنا ، في طريق متعّرج قادنا الى مرج . وهناك وجدنا نوئيل كانت ياقة قميصه مفكوكة وعلى وجهه نقطة حبر ، وضعها هو قبل مغادرتنا البيت ورفض السماح لـ (دورا) بازالتها عن وجهه ، كما أن احد شريطي الحذاء مفكوك أيضاً . كان واقفاً ينظر الى بنية صغيرة أحلى فتاة يمكن أن تقع عليها العين .

كانت مثل دمية من الخزف ـ من النوع الذي يباع بستّة بنسات . وجه أبيض وشعر أصفر طويل مشدود الى الوراء بقوة ومجدول بضفيرتين . جبين عريض ومرتفع ، وخدان بارزان مثل رفوف صغيرة تحت عينيها ، وعينان زرقاوان صغيرتان كانت ترتدي ثوباً أسود غريباً مزيناً بالاشرطة وتلبس حذاء ذا أزرار يكاد يصل الى ركبتيها . وساقاها نحيلتان للغاية .

كانت جالسة على كرسي حديقة يشبه الارجوحة وفي حضنها قطيطة زرقاء ـ ليست بزرقة السماء طبعاً ، بل أقرب الى لون أقلام الرصاص .

ولمّا اقتربنا سمعناها تسأل نونيل :

ـ من اين ؟

كان نونيل قد نسي كل شيء عن الدبّ وبدا الآن يمثل الدور المفضّل لديه ، لذا اجاب قائلاً :

ـ انا الأمير قمر الزمان .

بدا الارتياح على البنية اللّطيفة وقالت :

ـ ظننت اول الأمر ، انك ولد من عامّة الناس وعندما رأتنا قادمين سألتنا :

ـ هل انتم جميعاً اميرات وامراء ايضا ؟

قلنا طبعاً :

ـ اجل .

فقالت :

ـ انا اميرة ايضاً .

قالتها بطريقة حسنة للغاية وكأنّها اميرة حقيقية . كنّا في منتهى السرور ، لأنك من النادر ان تلاقي اطفالاً يستطيعون الاشتراك في اللعب رأساً من دون أن تشرح لهم اللعبة . وفوق هذا يقولون لك إنهم «سيتظاهرون» بأنّهم اسود أو سحرة او ملوك امّا هذه البنيّة الصغيرة فانها قالت مباشرة «انا اميرة» ثم نظرت الى اوزوالد وقالت

ـ يخيّل لي اني رأيتك في بادن .

فأجاب اوزوالد بطبيعة الحال :

ـ احتمال كبير .

كان صوت الفتاة غريباً وكانت كلماتها بسيطة تماماً وتلفظها واحدة واحدة . فلم تكن تتكلم مثلنا . سألها هـوراس اوكتافيـوس عن اسم القطة فقالت إنه : «كاتنكا» عندئذ قال دكي :

ـ دعونا نبتعد عن النوافذ لانكم اذا لعبتم قرب النوافذ فان هناك أحداً في الداخل وهو عادة يدق على النافذة ويقول : «لا تلعبوا هنا»

أنزلت الأميرة القطة على الارض بعناية شديدة وقالت :

انني ممنوعة من المشي على العشب

فقالت دورا :

ـ يالللأسف

فقالت الأميرة :

ـ ولكن سأمشي إذا اردتم .

فقالت لها دورا :

ـ لا تفعلي ما هو ممنوع عليك

لكن دكي دلّنا على بقعة من الاعشاب وراء الشجـيرات يخترقهـا ممَر مكسو بالحجارة الناعمة فقمت بحمل الأميرة وانزالها على الممر حتى تستطيع القول بأنها لم تمش على العشب وعندما وصلنا الى تلك البقعة افترشنا البساط الاخضر كلنّا . وسألتنا الأميرة إنْ كنّا نحب «الملبَس» (الآن صرت أعرف كيف تلفظ الكلمة بعدما سألت عمّ الجار آلبرت عنها)

قلنا إنّنا لا نريد . غير أنها اخرجت من جيبها علبة فضية حقيقية وفتحتها لترينا حبات الملبسّ التي لم تكن سوى قطع مدورة ملساء من (الحلوى) اخذ كل واحد منا اثنتين ثم سألناها عن اسمها فبدأت تتكلم

واستمرت تتكلم وتتكلم وتتكلم حتى ظننا أنها لن تسكت قال هوراس اوكتافيوس إن لها خمسين اسماً لكن دكي قويّ بالحساب ويقول إنّ اسماءها لا تزيد عن ثمانية عشر . الاسماء الاولى منها هي بولين . الكساندرا . أليس ، ماري وفكتوريا ـ كلنا سمعنا هذا الاسم ـ وانتهت الاسماء بـ (هيلد غارده كونيغونده) كذا او كذا أميرة كذا وكذا بعدما انتهت من ذكر الاسماء قال هوراس .

ـ شيء جميل حقاً ! أعيدي الاسماء .

فأعادتها ، ولكننا لم نتمكن من حفظها . وذكرنا لها اسماءنا فقالت إنها قصيرة جداً . وعندما جاء دور نوئيل ليذكر اسمه قال إنّه :

الأمير نوبيل قمر الزمان ايفان قسطنطين شارلمان جيمس جون إدوارد بيغز مكسميليان باستبل ، أمير لويسهام . ولكن حين سألته أن يعيد ذكر أسمائه لم يستطع أن يذكر سوى الاسمين الاولين وذلك لان الاسماء الاخرى وردت على لسانه مصادفة فقالت الأميرة .

ـ أنك بلغت من الكبر حداً لم تعدْ معه تعرف اسماءك وكانت تتكلم بمنتهى الرصانة والجدية .

اخبرتنا بأنّها بنت العم الخامسة للملكة فكتوريا فسألناها عن أبناء العمومة الآخرين فلم تفهم السؤال على ما يبدو . مضت تحكي فقالت إنّها أبعدت سبع مرات ولم تستطع ان توضح لنا معنى ذلك غير أنّ اوزوالد يظن أنها تقصد ان بنات عمّ الملكة متعلقات بها الى حد المجيء دائماً ومضايقتها مما جعل الملكة تأمر الخدم بابعادهن ولابد ان هذه الطفلة متعلقة بالملكة تعلقاً شديداً بحيث تحاول أن تراها باستمرار مما

جعل الملكة تبعدها سبع مرات . لاحظنا أنها اعتبرت هذا الأمر يدعو للتفاخر ، لكننّا فكّرنا كم هو صعب على الملكة ان لا تكفّ بنات عمّها عن مضايقتها ..

وفجأة سألتنا الفتاة الصغيرة مستفسرة عن عدم وجود خدمنا ومربياتنا فقلنا لها ان ليس عندنا من هؤلاء أحد في الوقت الحاضر ، فقالت :

ـ ما أحسن هذا ! وجئتم الى هنا وحدكم ؟

فقالت دورا :

ـ نعم جئنا عبر المرج

قالت البنية الصغيرة ، وهي جالسة على العشب باعتدال ويداها السمينتان في حجرها :

ـ أنتم محظوظون جّداً . بودّي أن أذهب الى المرج فهناك قرود ، ذات سروج وأحزمة جلدية بيضاء . وكم كنت أتمنىّ أن أمتطيها لكن مربيتي لا تسمح لي .

فقال هوراس :

ـ أنا سعيد لعدم وجود مربية عندنا فنحن نمتطي القرود كلما توفرت لنا بضعة بنسات ، وفي احدى المرات اعطيت الحارس بنساً اضافياً ليجعل القرود تركض بنا مثل الخيل .

قالت الاميرة ثانية .

ـ انتم محظوظون حقاً !

وعندما اكتسى وجهها بعلائم الحزن ، بدت رفوف خديها أكبر من ذي

قبل . بحيث يمكنك ان تضع عليها قطعة من فئة ستة بنسات فلا تقع ، لو كنت تملك تلك القطعة قال نوئيل :

ـ لا تهتمي فعندي فلوس كثيرة تعالي واركبي القرود معنا الآن .

لكن البنية الصغيرة هزّت رأسها رافضة وقالت إنها تخشى أن يكون هذا التصرف غير صحيح . فقالت دورا أن البنيّة محقّة تماماً وفجـأة هبطت على الجميع واحدة من تلك الحالات المزعجة ، حين لا يقدر أحد على التفكير بشيء يقوله ، فجلسنا ننظر الواحد للآخر ، ثم قالت آليس أخيراً إنّ علينا أن نذهب فقالت البنيّة :

ـ لا تذهبوا منذ الان .. متى يأمرون بارسال العربة لكم ؟

فقال نوئيل :

إنّ عربتنا سحرية ، يجرّها «غريفينان» (*) وتأتي متى شئنا .

فنظرت اليه البنية باستغراب شديد وقالت :

ـ هذا في كتب القصص المصورة

وقد اعتقد نوئيل بأن في الوقت متسعاً لزواجه من الأميرة قبل العودة الى البيت لتناول الشاي ولم تفهم البنية المسألة ولكنها فعلت ما طلبنا منها فقمنا بعقد قرانهما وجعلنا من منديل دورا نقاباً للعروس ، ومن غطاء أحد أزرار قميص هوراس خاتم خطوبة وقد جاء على قيـاس اصبعها الصغـير ثم علمناهـا كيف تشارك في لعبـة «قطيطة الـزاوية» ولعبـة «المطاردة واللمس» وكان ذلك ممتعاً . فلم تكن تعرف من الالعاب غير

(*) الغريفين : حيوان خرافي نصفه أسد ونصفه نسر/ وهو أحد حيوانين يحيطان بدرع الشعار الملكي البريطاني .
«المترجم»

«تنس الريشة» و «كرة المضرب» وما الى ذلك .
وهكذا بدأت تمرح وتضحك فعلاً ولم تعد تبدو مثل الدمية الخزفية وحين جاء دورها لتكون القطيطة وكانت تطار دِكي تسمّرت في مكانها فجأة وبدت كأنها توشك على البكاء ، ونظرنا نحن الى حيث تنظر فرأينا سيدّتين بملابس انيقة محتشمة وشعر مشدود الى الوراء . قالت احدى السيّدتين بصوت فظيع :
ـ بولين ، من هؤلاء الاطفال ؟
كانت ذات صوت رجولي وتلفظ حرف الراء بصورة مشددة قالت البنيّة انهم أمراء وأميرات ـ كلام سخيف في نظر شخص بالغ لا تربطه بك صداقة حميمة . فاطلقت السيدة ذات الصوت المبحوح ضحكة مخيفة قصيرة تشبه نباح أحد كلاب الاسكيمو وقالت :
ـ أحقاً يا أميرة ! ان هؤلاء مجرّد أطفال من العامة أحمّر وجه دورا وهمّت بأن تتكلمّ ولكن البنيّة صاحت :
ـ أطفال من العامة ! آه كم أنا فرحة وحين أكبر سألعب دائماً مع أطفال العامة .
وركضت الينا وبدأت تتفحصنا واحداً واحداً ، بادئه بأليس .
ووصل الدور الى هوراس اوكتافيوس حين قالت السيدة المذعورة :
ـ صاحبة السمو ... أدخلي حالاً !
فأجابت البنية :
ـ لن أدخل !
فقالت السيدة الشديدة :

ـ سيدة ولسون ، إحملي سمّوها الى الداخل .

وحملت البنيّة وراحت تصرخ وترفس بساقيها النحيلتين وحذاءها ذي الازرار وتصيح : «أطفال من العامة أنا فرحى ، فرحى ، فرحى . أطفال من العامة ! أطفال عاديّون !

فعلّقت السيدة البغيظة عندئذ قائلة :

ـ إذهبوا من هنا حالاً والاّ أرسلت في طلب الشرطة !

فتحركنا للذهاب . سخر هوراس منها وفعلت آليس مثله ، لكن اوزوالد نزع قلنسوته احتراماً لها وقال إنّه يعتذر عن الازعاج ، ذلك أن أوزوالد قد تربى على احترام السيدات حتى لو كنّ بغيضات ونزع دِكي قلنسوته هو الاخر حين رآني أفعل هكذا . قال إنّه البادىء ولكن هذا غير صحيح ولو كنت من عامة الاطفال لكنت قلت إنّ دِكي يكذب .

مضينا مبتعدين ، وعندما خرجنا من الساحة المعشبة والمتنزه قالت دورا :

ـ إذن فهي أميرة حقيقية تصوروا .. أميرة تعيش هناك ! فقال دِكي :

ـ حتى الاميرات يحتجن الى أن يعشن في مكان ما . كنت أتصور أن المسألة تمثيل ، فاذا بها حقيقة

وقالت آليس :

ـ آه ، ليتني عرفت لكنت سألتها عن أشياء كثيرة وقال هوراس اوكتافيوس إنّه كان يودّ أن يسألها عما تأكل في العشاء وهل عندها تاج .

أما أنا فقد شعرت بأنّنا اضعنا فرصة لمعرفة الكثير عن الملوك والملكات . كان عليّ أن أدرك أنّ بنيّة ، ينطق وجهها بالغباء مثلها لا

يمكنها قطّ ان تنتحل شخصية غير شخصيتها .

وعدنا الى البيت ، عبر المرج ، وهناك أعددنا خبزاً محمصاً مع الشاي . قال نوئيل ونحن نأكل :

ـ ليتني استطيع أن اعطيها قليلاً منه إنه لذيذ جداً تنهّد وهو يقول هذا ، وكان فمه مملوءاً بالخبز ، فعرفنا أنّه كان يفكّر بالأميرة . وصار الان يقول عنها إنها جميلة مثل الصبح . لكنّنا ما زلنا نتذكر ملامحها وندري أنها ليست كما يقول .

الفصل السابع



(قطّاع الطرق)

أصبح نوئيل مزعجاً تماماً منذ لقائنا مع الأميرة. فصار يلحّ علينا بالذهاب الى المتنزه كل يوم. ومع أنّنا ذهبنا الى هناك عدة مرّات ارضاء له. الا اننا لم نجد ذلك الباب مفتوحاً قط.

وكنّا جميعاً ننتظر من نوئيل أن يفهم ذلك منذ البداية.

ثم فكرنا بأنّ الوقت قد حان لعمل شيء يخرجه من ذهول اليأس الذي يصيب الأبطال إمام الحالات الغامضة المحيّرة. يضاف الى ذلك أنّنا لم نعد نملك بنساً واحداً. فانت لا يمكنك أن تستعيد أيّام العز بالباون

والشلنات الثمانية التي كسبناها في يوم «الصيد الجيّد» هذا اذا لم تنفق المبلغ اساساً ـ فقد انفقنا جزءاً غير قليل من المبلغ لشراء الهدايا بمناسبة عيد ميلاد بابا . فاشترينا له ثقّالة اوراق زجاجية بشكل كعكة عليها صورة كنيسة «لويسهام» في اسفلها ونشافة حبر وعلبة فواكه مجفّفة وماسكة ريشة كتابة من العاج في قعرها منظر لمتنزه غرينتش وقد فرح بابا كثيراً بالهدية وتعجب وزاد عجبه عندما عرف كيف حصل نوئيل واوزوالد على المال لشراء الهدية .

كما انفقنا بقية المبلغ تقريباً في شراء العاب نارية ليوم «الخامس من تشرين الثاني» حيث اشترينا ما قيمته شلنان وستة بنسات من هذه الالعاب بينها صعادات ونفاثات ملونة وشموع رومانية وزوبعة ودوارات نارية تستحق هذا المبلغ .

أعتقد أن شراء المفرقعات والمتفجرات عمل مغلوط صحيح أنك تحصل على كمية كبيرة منها بمبلغ قليل ، وصحيح أنها ليست سيئة مع اولى (دوزينتين) منها او ثلاث ولكنك تمّل منها الى حد السقم قبل أن تشعل منها ما قيمته ستة بنسات وتظل المتعة الوحيدة لهذه المتفرقعات وهي القاؤها في النار غير ممكنة التحقيق .

ويظل المساء يبدو بعيداً دائماً عندما تكون عندك العاب نارية وبما أن اليوم كان غائماً ، كما أظن فقد قررنا اطلاقها بعد الفطور لولا ان بابا قال إنه سيشاركنا في اطلاقها في الساعة الثامنة مساء ، بعد تناول العشاء ، وعليك الاّ تخيّب ظن أبيك اذا كان ذلك في وسعك .

لاحظوا أنّنا كنّا أمام ثلاثة أسباب وجيهة لتجربة طريقة هوراس

اوكتافيوس لاستعادة ايام العز . بأن نتحول الى قاطعي طرق بمناسبة «الخامس من تشرين الثاني» وكان لدينا سبب رابع أيضاً ، وهو افضل الاسباب فانتم تتذكرون ان دورا رأت من النعيب ان نكون قاطعي طريق . ولكن عندما حل اليوم الخامس من تشرين الثاني . كانت دورا تزور عرابتها في مدينة «ستراود» بمقاطعة «غلوسترشر» وعندها قررنا ان نقوم بالعملية ، وهي بعد هناك ، وذلك لأننا ما كنّا نعتبر العملية عيباً ، ولأنّنا عقدنا العزم على القيام بها .

عقدنا جلسة ، بالطبع ، ورسمنا خططنا بمنتهى العناية وجعلنا هوراس رئيساً للعصابة لانه صاحب الفكرة ان بيتنا يقع في شارع (لويسهام) ولكنه قريب جداً من المروج فاذا سلكت الطريق الأقصر المقابل لمعمل الحلويات ، الذي يمرّ من امام المشتل والمستشفى الريفي ، ثم انحرفت الى اليسار ثم الى اليمين . تجد نفسك على قمة التل ، حيث المدافع القديمة الضخمة يحيط بها سياج حديدي ، وحيث تعزف الفرق الشعبية موسيقاها مساء كل يوم خميس اثناء الصيف .

قرّرنا ان ننصب كميناً هناك ، نهجم منه على مسافر غافل وكانت خطتنا ان نأمره بتسليم سلاحه ثم نعود به الى القلعة ونرمي به في زنزانة عميقة مقيداً بالسلاسل ونبعث برسالة الى اهله واصدقائه نطلب فيها فدية . قد تظن اننا لا نملك قيوداً وسلاسل . انت غلطان اذن فقد كانت لدينا كلاب ضخمة الى جانب (نباش) قبل زوال النعمة من «بيت باستبل» العريق .

انطلقنا للعمل في وقت متأخر من عصر اليوم على اساس ان الاختباء

يكون افضل في الظلام . كان الجو ضبابيا فاختبانا قرب السياج ننتظر . وطال انتظارنا بلا جدوى . ذلك ان القادمين كانوا بين رجال اقوياء واطفال مدارس . وما كنا مستعدين للتورط في شجار مع الرجال - وخاصة الغرباء منهم - كما ان قاطع الطريق الحقيقي لا يغامر بحياته ليطلب الفدية من اقارب الناس الفقراء والمحتاجين . لذلك فضلنا الانتظار .

سبق ان قلت انها ذكرى «يوم غاي فوكس»(*) الخامس من تشرين الثاني -ولو لم ننفذ العملية في ذلك اليوم لما استطعنا ابداً ان نكون قطاع طرق ، لان المسافر الغافل الذي اصطدناه كان شخصاً منع من الخروج في ذلك اليوم لاصابته بالانفلونزا لكنه هرب من البيت ليلحق بصديق له من غير ان يلبس معطفاً او يفكر بالاتقاء من البرد ، وكان عصر ذلك اليوم رطباً غائماً مظلماً . وهكذا تجدون انه هو المسؤول عمّا حل به وانه يستحق ذلك .

رأيناه قادماً عن طريق المرج لحظة كنّا على وشك العودة الى البيت بعدما حان موعد الشاي . جاء يبحث عن صاحبه في القرية (لا ادري لماذا نسميّها المرج الاسود بلا كهيث» وعاد خائباً يجّر قدميه جرّاً ويعطس بسبب الزكام همس اوزوالد :

(*) غاي فوكس (GUY FAWKES) الرجل الذي حاول نسف البرلمان البريطاني وقتل الملك جيمس الاول بواسطة المتفجرات في الخامس من تشرين الثاني ١٦٠٥ وقد صار هذا اليوم مناسبة وطنية تحرق فيها دمى ترمز الى فوكس وتطلق فيها الألعاب النارية .

ـ هسس ! مسافر غافل يقترب ! وغمغمت آليس :
ـ أخمدوا اصوات خيولكم وتأكدوا من حشو مسدسّاتكم . ان آليس تميل دائماً الى تمثيل ادوار الاولاد وتطلب من (ايليس) ان يقص لها شعرها مثل الاولاد . و (إيليس) حلّاق مطيع .
قال نوئيل :
ـ تسلّلوا اليه بلا ضجّة ها قد حلّ الغسق ! ولا يمكن لعين بشرية ان تميّز ما نفعله .
وهكذا خرجنا مسرعين نحو المسافر الغافل وطوّقناه فاذا به الجار آلبرت ، الذي تملّكه رعب شديد قبل ان يعرفنا . وهنا صاح اوزوالد مزمجراً وهو يمسك بذراع المسافر الغافل :
ـ سلّم نفسك !
فقال الجار آلبرت :
ـ طيب ، طيب . ها أنا أسلّم نفسي بلا مقاومة . ولا حاجة الى أن تخلع ذراعي .
أفهمناه ان المقاومة لا تنفع ، وأظنه أدرك هذا من البداية .
أمسكنا به من ذراعيه بقوة وسقناه الى البيت نزولاً من على التل ، مؤلفين مربعاً من خمسة اشخاص .
اراد أن يحكي لنا عن صاحبه ، لكنّنا أفهمناه ان من غير المناسب ان يتكلم السجين مع الحرس ، وخاصة عن أشخاص يعرف السجين أنهم مرضى وينقلون العدوى .
وعندما وصلنا الى حيث نسكن قال :

ـ حسناً ، لا اريد ان أخبركم لانكم ستأسفون لذلك فأنتم لم تروا فتى مثله في حياتكم .

فقال هوراس بمنتهى الخشونة :

ـ تكفيني رؤيتك !

فنبّهه اوزوالد الى سوء تصرّفه وكان من واجبه ان يفعل لأنه أخ اكبر . ولكن هوراس كان صغيراً جداً لا يحسن التمييز بين تصرف وآخر ، ثم أنّه لم يجد في تصرفه ما يلام عليه . فقال الجار آلبرت :

ـ أنت عديم الذوق . أريد الذهاب الى البيت لتناول الشاي فأبعدوا أيديكم عنّي .

لكن آليس قالت له بلطف إنّه لن يذهب الى بيته ليشرب الشاي ، بل عليه ان يأتي معنا . فقال الجار آلبرت :

ـ لن أذهب معكم . أنا ذاهب الى البيت . أتركوني فعندي زكام شديد وأنتم تزيدونه سوءاً .

ثم حاول أن يسعل وكانت تلك محاولة سخيفة للغاية ، ذلك لأنّنا كنّا قد رأيناه في الصباح وندري انه مصاب بزكام حاد وكان عليه ان يلزم الفراش ، ثم قال ، وهو يحاول ان يسعل ثانية :

ـ دعوني أذهب لاحظوا انّ مرضي يشتد

فقال دِكي :

ـ كان عليك أن تدرك هذا من قبل .. ستأتي معنا

وقال نوئيل :

ـ لا تكن سخيفاً . قلنا لك من البداية ان لا فائدة من المقاومة لا تخجل من

ـ الاستسلام فنحن خمسة وأنت واحد ...

في تلك اللحظة فتحت اليزا الباب فوجدنا أنّ أفضل شيء هو جرّه الى الداخل من غير اطالة للجدل . إنّ قطاع الطرق لا يتجادلون مع الرهائن .

مضينا به رأساً الى مكان أمين في غرفة اللعب وراح هوراس يتقافز فرحاً ويقول :

ـ الآن ، أنت سجيننا حقاً وفعلاً !

بدأ الجار ألبرت يبكي وهو دائماً يبكي لأقل شيء ، وعجبت لأنه صبر على البكاء طوال تلك الفترة . ولكن آليس بادرت الى اعطائه واحدة من الفواكه المجففة التي اشتريناها للوالد في عيد ميلاده ، وكانت جوزة طرّية . وقد لاحظت أن الجوز من بين الفواكه التي تبقى الى الأخير في قعر العلبة : يؤكل المشمش اولاً ثم يليه التين فالاجاص فالكرز ، ان وجد .

فأكل الجوزة وسكت . ثم اوضحنا له الامر حتى لا يكون هناك ايّ التباس او غموض ، وحتى لا يقول فيما بعد إنّه لم يفهم .

صار اوزوالد زعيماً للعصابة لأننا جميعاً نعرف ان هوراس يفضّل تمثيل دور القس عندما نمثل نحن دور السجناء . فقال اوزوالد :

ـ لن نستخدم القوة لا عنف . وانّما سنحبسك في سرداب عميق مظلم تزحف فيه الافاعي والضفادع والعضايا ، ولا يدخله من ضوء النهار الاّ القليل من خلال نوافذ صغيرة مغطاة بقضبان حديدية ثقيلة .

سنقيّدك بالسلاسل . لا تبدأ بالبكاء من جديد . ياصغيري ، اذ لا داعي لذلك وسيكون فراشك من القش ، وسيضع السجان كوز ماء

بالقرب منك وان الكوز ليس سوى ابريق أيّها الغبي ، ولن يأكلك .. انه ابريق فيه ماء . وطعامك كسرة خبز عفنة ..

لكن الجار آلبرت ليس من النوع الذي يستجيب لجّو اللّعب والمرح .. وأخذ يغمغم بكلام غير مفهوم عن موعد تناول الشاي ..

إنّ أوزوالد عنيد ، لكنه عادل . يضاف الى ذلك أنّنا جميعاً شعرنا بالجوع ، وكان الشاي والخبز المحمّص جاهزين .

فانطلقنا كلنا لنأكل ونشرب ومعنا الجار آلبرت فأعطيناه ما بقي من مربّى الخوخ الذي اشتريناه من ثمن قصائد نوئيل . وابقينا فتات الخبز للسجين .

كان الجار آلبرت شخصاً مزعجاً بكل معنى الكلمة . فقد ظل يتشكى مع أنّنا وضعناه في سجن لا يحلم به ايّ انسان اذ حصرناه في ركن من الغرفة وطوقنا المكان بقطع من سياج قديم وكل ما وقعت عليه أيدينا من كراسي هناك ، بدلاً من حبسه في سرداب الفحم كما كنّا ننوي في بداية الأمر . وعندما اشتكى من برودة سلاسل تقييد الكلاب تفضلت البنتان بتدفئة تلك القيود على النار قبل تقييده بها .

ونزعنا القش عن بعض قناني النبيذ التي ارسلها احدهم الى بابا هدية بمناسبة اعياد الميلاد ـ كان ذلك منذ سنوات ـ وكان القش بعد في حالة جيدة فنتفناه ونثرناه على الارض فصار منه فراش لطيف . وقد استغرقت العملية منّا وقتاً طويلاً ولكن الجار آلبرث لا يعرف معنى الاعتراف بالجميل . جئنا بصينية خشبية لنجعل منها سلة الخبز للسجين ـ لم تكن كسر الخبز متعفنة ، ولكنّنا لم نكن نستطيع الانتظار

حتّى تتعفّن أما عن ابريق الماء فقد استعضنا عنه بوعاء قديم للصابون جئنا به من غرفة النوم الاضافية التي لم يعد احد منّا ينام فيها ومع ذلك ظل الجار آلبرت بادي الحزن وراح يعوي ويصرخ ويحاول الخروج من السجن فكسر ابريق الماء وداس بقدمه على كسر الخبز المتعفن . ولم يكن في الابريق ماء لحسن الحظ ، بل تراب وعناكب . وكتفناه وشددناه الى الجدار لنسرع بالخروج كنّا سنرّتب عملية إنقاذ له على يد أحد أتباعه لو أنه سكت ولم يكن مزعجاً . والحقيقة أن نوئيل كان يتهيأ لتمثيل دور المنقذ لولا ان آلبرت كسر إبريق ماء السجين . .

اقتطعنا ورقة من دفتر مدرسي قديم وجعلناه (هوراس أوكتافيوس) يخز ابهامه بدبّوس وذلك لأن هوراس هو شقيقنا الأصغر ومن واجبنا أن نعلمه الشجاعة أمّا نحن فلا احد منّا يخاف من وخزة الدبّوس فقد فعلنا هذا مئات المرّات . لم يرتح هوراس للفكرة ، لكنه لم يمانع وساعدته أنا قليلاً لأنه كان متردداً لكن تردّده انقلب الى سرور عندما رأى نقطة الدم تكبر وتكبر جراء ضغطي على ابهامه .

هذا ما كتبناه بدم هوراس ، لكن الدم نَفَد حين وصلنا الى كلمة «يعاد» فاضطررنا الى إكمال الرسالة باستعمال صبغ نباتي أحمر ، ليس بلون الدم تماماً ، ولو أني أستعمله لرسم الجروح أثناء اللعب . . .

وبينما كان أوزوالد منكبّاً على كتابة الرسالة سمع آليس تقول للسجين هامسة ان هذا مجّرد لعب سينتهي قريباً ، فكفّ عن النواح ، ولذا تظاهرت بأنّي لم اسمع ما قالت لان على زعيم العصابة ان يتجاهل بعض الامور احياناً . واليكم نص الرسالة :

ألبرت موريسون رهينة في أيدي قطاع الطرق
وعند دفع فدية قدرها ثلاثة آلاف باون
«يعاد» الى ذويه الحزينين وكأن شيئاً لم يكن

شعرت بأن العبارة الأخيرة غير مناسبة ، ولكن نوئيل اكد لي بأنه قرأ مثلها في الجريدة ، إذن فلابدّ أن تكون مناسبة تماماً .

تركنا هوراس يحمل الرسالة . العدالة تقضي بذلك وخصوصاً ان الرسالة مكتوبة بدمه . وطلبنا منه أن يتركها عند باب الجار (المستر موريسون) .

عاد هوراس بمنتهى السرعة . ومعه عمّ الجار ألبرت الذي صاح :

ـ ما هذا يا ألبرت ؟ واأسفاه ، واأسفاه ياابن إخي ! أجدك رهينة في يد عصابة شريرة من اللّصوص .

فقال هوراس :

ـ قطّاع الطرق . تدري أن الرسالة تقول «قطاع الطرق. فقال عم الجار ألبرت :

ـ أرجو عفوكم أيها السادة . قطاع طرق ، طبعاً هذه ياألبرت هي نتيجة ركضك وراء صاحبك بعدما حذرتك أمّك الحنون بصراحة من مغبّة لعبتك السخيفة .

فقال ألبرت إنّ الغلطة لم تكن غلطته وأنّه لم يكن يريد اللّعب .

فقال العم :

ـ هكذا إذن ! ياللوقاحة ! أين الزنزانة ؟

أوضحنا له ما هي الزنزانة ، ورأى فراش القش وابريق المـاء وكسرة

الخبز المتعفّنة وبقية الاشياء فقال :
- حلوة وكاملة . آلبرت أنت . محظوظ أكثر منّي لم أحصل قط على مثل هذه الزنزانة يوم كنت في مثل سنّك أرى من الأفضل ان اتركك حيث أنت بدا آلبرت يبكي ثانية وقال إنّه متأسف وأنه سيحسن التصرف مستقبلاً .
- وعلى أساس هذه القاعدة القديمة المعروفة تتوقع أن أدفع فديتك ، أليس كذلك ؟ لا أظنك تستحق الفدية يابن أخي ؟ إنْ أردت الصدق . يضاف الى ذلك أن المبلغ المذكور في الرسالة يبدو لي اكبر من اللاّزم الحق أنّ آلبرت لا يساوي ثلاثة آلاف باون . ومن غريب المصادفات وسوء الحظ أني لا أملك هذا المبلغ . هل ترضون بمبلغ أقل .
قلنا إنّ هذا ممكن . قال عمّ الجار آلبرت :
- ما رأيكم بثمانية بنسات ؟ إنّها كل ما عندي من قطع نقد صغيرة الآن !
قالت آليس لمّا مدّ الرجل يده بالقطع النقدية :
- شكراً جزيلاً يمكنك توفير هذا المبلغ لأنّنا في الواقع ، كنّا نلعب .
- بالتأكيد آلبرت اللعبة انتهت الآن . يستحسن أن تعود الى البيت وتحكي لأمّك كيف استمتعت باللعب . بعد ذهاب الجار آلبرت جلس عمّه على كرسي (غاي فوكس) ذي المساند واجلس آليس على ركبتيه وجلسنا نحن حول النار ننتظر أن يحين موعد اطلاق الالعاب النارية وانشغلنا بشيّ حبات الكستناء التي ارسل دِكي ليأتي بها . وراح يروي لنا القصص حتى قاربت الساعة السابعة لقد كانت قصصه ممتعة لأنه كان يقلدّ فيها مختلف الاصوات وأخيراً قال :

ـ اصغوا اليّ ياصغار يعجبني أن أراكم تلعبون وتمرحون ولا اظن أنّ هناك ما يمنع آلبرت من اللّعب والاستمتاع فرّد عليه هوراس قائلاً :
ـ لا أظنه استمتع كثيراً هذه المرة .
أمّا أنا فقد فهمت ما يقصده عمّ الجار آلبرت لأني أكبر من هوراس . وتابع العم كلامه :
ـ ولكن هل نسيتم أم آلبرت ؟ ألمْ تفكروا بقلقها لعدم عودته الى البيت إن الذي حدث هو أنّي رأيته يأتي معكم فارتاح بالنا ولكن كيف سيكون حالنا لو أني لم اره معكم ؟ ها ؟ انّ عم آلبرت لا يتحدث بهذه الطريقة الاّ حين يكون جاداً في كلامه أو غاضباً . أمّا في الاحوال الاعتيادية فيتحدث مثل الرجال الطيّبين في الروايات ـ أعني حين يخاطبنا نحن .
لم يقلْ أيّ منّا كلمة واحدة . فأنا كنت مشغولاً بالتفكير وهنا تكلمت آليس اذ يبدو أن الفتيات لا يترددن عن قول ما لا نقوله نحن فقد طوقت عنق عمّ آلبرت بذراعيها وقالت :
ـ نحن متأسفون جداً جداً . لم نفكّر بوالديه .
ألا تلاحظ أنّنا نحاول جاهدين ألاّ نفكر بأمهات الآخرين لأنّنا ..
في تلك اللحظة سمعنا صوت مفتاح الوالد يدور في الباب فقبّل عمّ الجار آلبرت آليس وأنزلها من على ركبتيه وذهبنا جميعاً لاستقبال بابا خيّل اليّ ونحن ذاهبون . أني سمعت عمّ آلبرت يقول شيئاً من قبيل «ياللشحّاذين الصغار المساكين !»
أتراه يمكن أن يقصدنا بهذا القول وكنّا قبل قليل نستمتع معاً بالاحاديث والكستناء المشوية والالعاب النارية ونتلهف الى مزيد من التسلية بعد العشاء !

الفصل الثامن



(الصحفيون)

كان عم البرت هو الذي اقترح أن نجرب العمل في الصحافة قائلاً إنّ مهنة قطاع الطرق ليست مهنة مريحة على الدوام وأنّ الصحافة قد تكون أجزل عطاء .

وكنّا قبلها قد بعنا أشعار نوئيل وما لدينا من معلومات قليلة عن (لورد توتنهام) الى المحّرر الطيب فقلنا لانفسنا لا بأس في أن تكون لنا صحيفة خاصة بنا . لقد رأينا بوضوح كيف أنّ ناشري الصحف لابدّ انهم أناس واسعو الثراء والنفوذ ، بعد الذي شاهدناه من ضخامة البناية ورجل

الاستعلامات في غرفة زجاجية شبيهة بالمتاحف وسجاجيد وثيرة وطاولة كتابة فخمة .

يضاف الى ذلك ما رأيناه من حفنة النقود التي أخرجها المحرر من جيب سرواله بلا خوف واعطاني منها قطعة خمسة الشلنات .

أرادت دورا ان تكون رئيسة التحرير وكذلك أوزوالد لكنه عاد فانسحب اكراماً لها لأنّها فتاة وعرف فيما بعد صدق الحكمة القائلة بان القناعة فضيلة بذاتها ذلك ان كل واحد كان يريد أن يضع في الصحيفة ما يريد بلا حساب للمجال وكان ذلك امراً سيئاً حقاً ! فقد حاولت دورا قدر ما تستطيع ثم قالت في النهاية انها ما كانت لتقوم بمهمة المحرر لو لم تترك وحدها ، وأنّ بالامكان مشاركة الآخرين في تحرير الصحيفة .

وهكذا كان . ثم قال أوزوالد كأخ طيّب :

ـ سأساعدك اذا اردت يادورا

فقالت :

ـ أنت تخلق من المتاعب اضعاف ما يسببه الباقون !

هيّا كنْ أنت المحرر وتمتع ! أنا تخلّيت عنها لك .

ولكنها لم تتخلّ فعلاً بل تولّينا مهمة التحرير معاً وسمحنا للجار آلبرت بأن يكون مساعد التحرير ، لأن قدمه جرحت بمسمار في حذائه فتقيحت .

بعد انتهائنا من اعداد المواد وترتيبها قام عمّ الجار آلبرت بنسخها على الآلة الكاتبة وارسلنا النسخ الى جميع اصدقائنا ، فلم يبق أحد بالطبع ، يمكن أن يشتري الصحيفة ، ولم ننتبه الى هذه الحقيقة الاّ بعد

فوات الاوان . وقد اطلقنا على الصحيفة اسم (لويسهام ريكوردر) اكراماً لمدينه لويسهام المدينة التي نعيش فيها ولان كلمة ريكوردر تذكّرنا بالمحرر الطيّب .

ولو ترك الأمر لي لحرّرت صحيفة جيدة بنفسي ، ولكن المحرر لا يجوز له ان يكتب كل موضوعات الصحيفة . نعم لا يجوز له ذلك ولو ان العملية ليست سهلة بالمرّة فانت كمحرر عليك انّ تملأ الصحيفة بما يرسله لك الكتاب الاخرون .

ليتني أملك الوقت الكافي لأكتب كل ما في الصحيفة بنفسي حينئذٍ ، ولن تكون صحيفة مرقّعة . لم يكن لدينا وقت كاف لجعلها صحيفة مصوّرة . ومع ذلك فقد رسمت صورة السفينة الغارقة مع ركابها في النسخة الاولى ، لكن الآلة الكاتبة لا ترسم صوراً فاضطررنا الى الغاء الصورة من النسخ التالية . أما الوقت الذي استغرقه تحرير الصحيفة فشيء لا يصدق ! واليكم الصحيفة :

(لويسهام ريكوردر)

يصدرها : دورا وأوزوالد باستبل

المقال الافتتاحي

وراء صدور أيّة صحيفة سبب . وسبب اصدارنا صحيفتنا هذه هو بيعها وكسب المال .

فاذا كان ما كتبناه يدخل السعادة والبهجة الى القلوب الحزينة فانّ جهودنا لم تذهب سدى لكننا نريد كسب المال ايضاً . ان صحفاً كثيرة تتظاهر بأنها لا تهتم بغير تحقيق السعادة للقلوب الحزينة لكنّنا لسنا

مثل تلك الصحف والافضل الا يكون الانسان مخادعاً .

«هيئة التحرير»

ستنشر الصحيفة قصتين متسلسلتين واحدة يكتبها دِكي والاخرى نكتبها جميعاً القصة المتسلسلة تعني نشر فصل واحد في كل عدد ، ولكننا سننشر كل الفصول دفعة واحدة ، اذا كان لدى دورا وقت كاف لاستنساخها .أمّا قصّة دِكي فتنشر بعدئذٍ

قصة متسلسلة
(بقلمنا جميعا)
(الفصل الأول بقلم دورا)

أخذت الشمس تتوارى خلف البرج الرومانتيكي الشكل ، بينما كان هناك غريبان ينحدران من على سفح التل اكبرهما رجل في ريعان الشباب والاخر صبي جميل يذكّر كل واحد بشخصية (كوينتن دوروارد) (*) ووصلا الى القلعة التي كانت فيها (الليدي أيشيا) الحسناء تنتظر منقذيها .

واطلت السيدة الجميلة من نافذة صغيرة في البرج ولوّحت بيدها الزنبقية حين راتهما يقتربان فلوحا لها بالمقابل وانطلقا بعد ذلك الى نزل قريب ليأخذا قسطاً من الراحة ..

(الفصل الثاني)

(بقلم : آليس)

لم تكن الأميرة تشعر بأي ارتياح في البرج لأن عرابتها -وهي جنّية - قالت لها إن جميع انواع المخاطر والاشياء المخيفة ستحصل لها إذا لم

(*) كونيتين دوروارد - هو بطل رواية بهذا الاسم للكاتب الانكليزي (السير والتر سكوت) وهي رواية مغامرات تاريخية تدور حوادثها في اواخر القرون الوسطى .

«المترجم»

تصطد جرذاً كل يوم فصارت تصطاد الجرذان حتى لم يبق منها واحد . لذلك ارسلت حمامتها الزاجلة الى الغريبين النبيلين ترجوهما ان يرسلا اليها بعض الجرذان لتقدمها كل يوم الى الساحرة الى أن تبلغ سن الرشد بعد بضعة أيام وعندئذ يزول تأثير السحر عليها لذلك قامت الساحرة .. (متأسفة جداً لأن المجال لا يكفي للاستمرار)

(المحررة)

(الفصل الثالث)

(بقلم : مساعد التحرير)

(لا اقدر .. الافضل الاّ أكتب .. لا أدري كيف !)

(الفصل الرابع)

(بقلم : دِكي)

عليّ الآن أن أعيد رسم خطواتي وأحكي لكم شيئاً عن بطل قصّتي . أعلموا أنه درس في مدرسة خاصة ، حيث يأكلون الديك الرومي والأوز في العشاء ولا يأكلون لحم الضأن مطلقاً ، وحيث يستطيع الطالب أن يلتهم من الفطائر قدر ما يشاء ـ لذلك نمت أجسامهم وصاروا أقوياء جداً . وقبل أن يترك المدرسة تحدّى المدير في منازلة رجل لرجل وتغلّب عليه .. نعم هكذا . تلك هي التربية التي جعلته قادراً على محاربة الهنود الحمر وجعلت منه الغريب الشاب الذي تحدّث عنه الفصل الأول .

(الفصل الخامس)

(بقلم : نوئيل)

أظن أنّ الوقت قد حان لحدوث شيء في القصة : هكذا إذن خرج التنّين ينفث النار من منخريه وقال :

تقدم أيها الرجل الجسور والحقيقي
يعجبني أن أؤذيك !(*)

(هذه لغة انكليزية ركيكة «المحرر» لا يهمني فهذه لغة التنّين ثم من قال لكم إن التنين لا يتكلّم انكليزية ركيكة ؟ «نوئيل») .

لذا ردّ البطل ، الذي اسمه (نوئيلونينورس) على التنّين قائلاً :

سيفي حادّ وفأسي قاطعة
وأنت لست بضخامة العديد من التنانين
التي رأيتها .

(لا تُكثر من الشعر يانوئيل . كنْ منصفاً إذ لا احد من الباقين يقدر على قول الشعر ـ «المحرر»

ثم انصرفوا الى العمل بجد ، وتغلّب البطل على التنّين مثلما تغلّب على مدير المدرسة في الفصل الذي كتبه دِكي . وهكذا تزوج الأميرة وعاشوا عيشة .. (لا لم يعيشوا .. لا الى الفصل الأخير . «المحرر» .

(*) وردت العبارة بلغة انكليزية عامية استرالية كما تقول النواميس . «المترجم»

(الفصل السادس)

(بقلم : هوراس آوكتافيوس)

أعتقد أنّها قصّة لطيفة للغاية ..ولكن ماذا عن الجرذان ؟ لا أريد أن أقول اكثر من هذا .. دورا يمكنها إضافة ما تبقى من فصلي .

(الفصل السابع)

بقلم : هيئة التحرير)

وهكذا ، وبعد موت التنّين كثر عدد الجرذان ، لأن التنين كان يأكلها مع الشاي غير أنّ الجرذان تكاثرت بدرجة هائلة وعاثت بالبلاد فساداً ممّا جعل الليّدي أيشيا الجميلة (التي يطلق عليها لقب الأميرة أحياناً) تعلن انها لن تتزوج غير الرجل الذي يستطيع انقاذ البلد من وباء الجرذان . عندئذ جاء الأمير ـ الذي لا يبدأ اسمه الحقيقي بحرف النون بل هو «اورساوالدو» وشهر سيفه السحري فجاء التنين وانحنى للعروسين باحترام وأخذا منه وعداً بحسن السلوك ومن ثم سامحاه على أخطائه السابقة وأمرا باعطائه كل العظام المتبقية من حفلة فطور العرس . وهكذا تزوج الأمير الاميرة وعاشا عيشة سعيدة .
(ماذا حصل للغريب الاخر ؟ «نوئيل» الجواب : أكله التنين لأنه كان يسأل اسئلة كثيرة . «هيئة التحرير» .)

(معلومات مفيدة)

الذهاب من لندن الى مانشستر يستغرق أربع ساعات وربع الساعة في الوقت الحاضر ، ولكنّي لا أظن أن أحداً يفكر بهذه المسألة .

تحذير فظيع :

ولد شرّير اعطاني معلومات مفيدة جداً عن الزنجبيل فقد فتح جرّة كبيرة لحفظ الزنجبيل واخذ منه كمية كبيرة والقى مكانها قطعاً من الرخام حتى ارتفع سطح الشراب الى ما كان عليه ولكنه لم يخبرني بهذه الفعلة الا يوم الأحد . بعدما أوشك الشراب الذي في الجّرة على النفاد . لا أدري ماذا كان شعوره في تلك اللحظة ولا استطيع أن اتصور كيف سيدافع عن هذا السلوك السيء ولو كنت مكانه لشعرت بالخزي .

(ارشادات علمية)

يجب دائماً اجراء التجارب العلمية في الهواء الطلق . ولا تستعملوا البنزين في التجارب .

«دكي»

(ملاحظة هذه الارشادات جاءت بعدما احرق دكي حاجبيه)

«المحرر»

محيط الارض (٢٤٠٠) ميل وقطرها (٨٠٠) ميل هذا ما اعتقده أنا على الأقل . وربما كانت هذه المسافات بالعكس .

«دكي»

(ملاحظة : كان عليك أن تتأكد من صحّة الأرقام قبل ذكرها)

«المحرر»

(الزاوية العلمية)

لا يتمتع العلم باهتمام كافٍ في دور حضانة الاثرياء والطبقات الراقية في القرن التاسع عشر ولكن الأمر مختلف عندنا .

فمن غير المعروف أنّك اذا وضعت حبّات صغيرة من الكافور في ماء دافىء فانها تتحرك وتتقلب فيه فاذا القيت بضع قطرات من زيت خفيف ـ مثل زيت الزيتون ـ في الماء ابتعدت عنه حبات الكافور بسرعة ثم تتوقف عن الحركة فلا تلق أية قطرات زيت اضافية الى درجة ان تتعب من العملية ، لأن حبات الكافور لن تتحرك أكثر من ذلك كما ان الكثير من المتعة والفائدة العلمية يزول نتيجة الجهل بهذه المعلومات .

ولو وضعت قطعة نقد من فئة ستة بنسات تحت شلن في كأس نبيذ ونفخت الى الاسفل من جانب لرأيت قطعة ستة البنسات تقفز وتصبح فوق الشلن ربّما لا استطيع أنا القيام بهذه التجربة ولكن ابن عمي يستطيع لأنه يعمل في البحرية .

* * *

(ردود على اسئلة المراسلين)

نونيل : اسلوبك شاعري جدا ، ولكن نأسف لضيق المجال .

أليس : لا شيء قط يجعل شعرك مجعّدا ، فلا تتعبي نفسك المهم ان يغتسل الانسان ويكون نظيفا . لا اقصدك أنت بالذات بل بصورة عامة .

هوراس أوكتافيوس : لم نقل قطّ إنك قصير وسمين ، ولكن المحرر لا يعرف علاجا لهذه الحالة .

نوئيل : إذا بقي شيء من الورق بعد إنجاز هذه الصحيفة فأنا مستعد لمقايضته بالمحبرة التي عندك او بالسكين التي تفيد في أستخراج الحصى من حوافر الخيل ولكن ليس بلا مقابل .

هوراس اوكتافيوس : هناك أسباب كثيرة لتوقف ماكنتك البخارية عن العمل يمكنك أن تسأل دكي فهو يعرف احد تلك الاسباب اعتقد أنه سبب توقف ماكنتك .

نوئيل : اذا تصورت أن ملء الحديقة بالرمل يجعل السرطانات تحفر فيه اعشاشها فانت لا تملك عقلاً بالمرة .

أنت عدلت قصيدتك عن معركة ووت لو مراراً . بحيث صرنا لا نقدر على قراءة شيء منها سوى المقطع الذي يرفع فيه (الدوق ويلنغتون) سيفه ويقول كلمات لم نستطع قراءتها هي الاخرى . لماذا كتبت القصيدة على ورق النشاف بقلم ارجواني ؟

«المحرر»

(لأنك تعرف من الذي اختلس قلمي . «نونيل»)

* *

(شعر)

هجم الآشوري هجوم الذئب على قطيع
وقيل إن الطريقة التي هجم بها مخيفة
لكنها لا تقارن بطريقة هجوم المحررين علي
لو وقع مني فتات خبز او انسكب الشاي ارضا .
«نونيل»

(حقائق مدهشة)

لو امسكت فار تجارب من ذيله وعلّقته فان عينيه تخرجان من مكانهما .

لا يمكنك أن تعمل بنفسك نصف ما يعمله اطفال القصص والروايات من اشياء ـ آشكال ولعب وغير ذلك ـ لماذا ياترى .

« أليس »

لو أخرجت النواة من ثمرة ووضعت لوزة مكانها واكلت الاثنين لوجدت طعمهما لذيذاً جداً ـ أنا اكتشفت هذا بنفسي .

«مساعد التحرير»

لو وضعت يدك المبللة في رصاص بدرجة الغليان فلن تشعر بألم اذا ما سحبت يدك بالسرعة اللازمة . انا لم اجرب هذا قط .

«دورا»

(الصف القططي)

مقالة توجيهية

لو أتيح لي ان أفتح مدرسة فسوف أجعلها مختلفة في كل شيء فلا يدرس الطالب فيها دروساً لا يحبّها . وبدلاً من وجود مدراء ومديرات ستكون هناك قطط . ويلبس الطلاّب فيها جلود قطط ويتعلمون مواء الفرح (*) وستقول القطة العجوز :

ـ الآن ـ ياأعزائي ، سأعدّ الى الثلاثة فتموؤن كلّكم معاً ـ ونروح نموء مثل القطط ولن تعلمنا المواء الشديد . لكننا سنعرفه دون حاجة الى

(*) مواء الفرح : مواء القطط الخافت الإقرب الى الغمغمة الذي يدل على الرضا ـ ويختلف عن اشكال المواء الاخرى في النبرة .

التعليم . الاطفال يعرفون بعض الاشياء من غير تعليم .

«آليس»

* *

(شعر)

(قامت دورا بترجمته الى الفرنسية)(**)

حين كنت صغيرا وكنت أحمق

اشتريت كمانا بثمانية عشر بنسا

وكانت الالحان التي عزفتها

تنساب في البعيد فوق التلال

مقطع آخر من القصيدة نفسها :

شكرا جزيلا لك ايتها البقرة

لأنك اعطيتني حليبا لذيذا

في كل الصباحات والليالي

آكل الخبز وأشرب من حليبك

* *

(تسليات)

من الخطأ الاعتقاد بأن القطط تحبّ اللّعب والمرح فكثيراً ما أحاول ان أجر القطّة الى اللّعب معي ، لكنها لا تبدي ايّ اهتمام باللعبة مهما تكن بسيطة .

«هوراس اوكتافيوس»

(* *) واحد من ابيات القصيدة كتب باللغة الانكليزية .

«المترجم»

إن عمل القدور والاواني من الطين شيء ممتع ولكن لا تجعل الكبار يعلمون بذلك فالافضل ان تفاجئهم بما صنعت ثم عليك أن تبين لهم ان تنظيف اليدين من الطين أسهل من ازالة الحبر عنها .. اسهل بكثير .

«دكي»

* *

(سام ريدفين أو حكاية دفن لصّ الادغال)

(بقلم : دكي)

قال المستر ريدجواي ، وهو يدخل غرفة الطعام الانيقة في بيته بالغابة :

ـ عندي لك أخبار سيئة يا آني . سام ريدفين ، لصّ الأدغال ، يحوم الآن في هذا الجزء من الغابة . أمل أن لا يهجم علينا هو وعصابته .

فقالت آني ، الفتاة الرقيقة ذات الستة عشر ربيعا :

ـ أرجو ذلك .

وفي تلك اللحظة سمع طرق على باب الكوخ ، وجاء صوت خشن يأمرهم بفتح الباب ، فصاحت الفتاة :

ـ هذا سام ريدفين ، لصّ الأدغال يا أبتاه .

فجاء الصوت الخشن قائلاً :

ـ هو نفسه .

وفي اللحظة التالية تحطّم باب الصالون وهجم الى الداخل سام ريدفين تتبعه عصابته .

الفصل الثاني

وسرعان ما تغلّب اللصوص على والد آني وقيّدوا الفتاة بالحبال والقوا بها على أريكة الصالون ووضع سام ريدفين حراساً حول الكوخ قاطعاً بذلك الطريق على أيّة مساعدة من الخارج ولكن لا يخطر على البال أن مشهدا مختلفا يجري في مكان آخر من الغابة .

قال الرجل الطويل وهو يشق طريقه بين اشجار الغابة :

ـ لابد انّهم من الهنود الحمر .

كان ذلك الرجل هو المحقّق البوليسي المشهور (جيم كارلتون) واضاف

ـ اعرفهم . إنّهم من الآباشي (*)

(*) قبيلة الأباشي «APACHES» من قبائل الهنود الحمر المقاتلة التي قاومت بشدة حملة الاحتلال والاستيطان التي نظمها المستعمرون البيض في اعقاب الحرب الاهلية الامريكية ـ اواسط النصف الثاني من القرن التاسع عشر وشملت الولايات الغربية والجنوبية الغربية والشمالية الغربية على نحو خاص وقد برز من الاباشي قادة مقاومة مشهورون منهم (جيرونيمو) فقد وقفوا بوجه التوسع الابيض دفاعا عن ارضهم وحريتهم وقد كتبت روايات كثيرة عن كفاح الهنود الحمر خلال تلك الفترة فكان من الكتاب والروائيين من انصف الهنود الحمر ودافع عن قضيتهم مثل الروائي الامريكي (هاوارد فاست) في روايته المشهورة (الحدود الاخيرة) ومنهم من أيد التوسع والاستيطان الابيض مثل الروائية الامريكية (إيدنا فيربر) في اعمال روائية مثل (سيمارون) و (كيف تمّ فتح الغرب) أمّا السينما الامريكية فقد عملت على تشويه سمعة الهنود الحمر ونضالهم في غالبية افلامها .

في تلك اللحظة برز عشرة هنود حمر يضعون على وجوههم اصباغ الحرب فرفع كارلتون بندقيته واطلق النار عليهم فقتل عدداً منهم ثم اسرع صوب الكوخ الخشبي المتواضع الذي تعيش فيه خطيبته (آني ريدجواي) التي يسميها البعض «زهرة الادغال»

الفصل الثالث

كان القمر ما يزال عند الأفق ، وكان (سام ريدفين) يحتسي الخمر مع بعض من افراد عصابته بعدما سطوا على محتويات القبو . وراحت الخمر المعتقة تجري كالماء في كؤوس ذهبية تعود لصاحب الكوخ المستر ريدجواي .

لكن آني استطاعت أن تعقد صداقة مع احد أفراد العصابة ، وهو رجل نبيل الملامح طيب القلب إنضمّ الى العصابة خطأ ، وتطلب منه ان يذهب لابلاغ الشرطة بأسرع ما يمكن .

صار سام ريدفين يقهقه بصوت عال ويقول :

ـ ها ! ها ! أنا مرتاح الان .

فلم يكن يعلم أن اجله قد اقترب وفي تلك اللحظة اطلقت آني صرخة مدوّية فانتفض سام ريدفين من مكانه وسحب مسدسه .

وصاح برجل دخل الكوخ :

ـ من أنت ؟

فاجاب الرجل القادم :

ـ أنا (جيم كارلتون) البوليس السري المشهور
فارتخت يد (سام ريدفين) وسقط منها المسدس ، ولكنه هجم ، في اللحظة التالية على جيم مثل كبش جبلي غاضب فصرخت آني صرخة رعب لأنها بدأت تحب لصّ الادغال العنيف .
(تتمة القصة في نهاية الصفحة ان وجد لها مكان)

(شؤون مدرسية)

منظر السبورة الجديدة فظيع الى ان تغسل بالحليب احب النقاط الخضر المؤشرة عليها لانها تساعدني على رسم الاشكال اعرف طريقة جيدة تجعل الطباشير يحدث صريراً عند الكتابة ، ولكني لا أريد استعمالها هنا حتى لا يعرفها الاخرون .

«سكرتير التحرير»

النعناع يساعد كثيراً على فهم الحساب فالصبي الذي كان يحتل المركز الثاني دائماً في امتحانات اوكسفورد المحلية كان يعتمد في نجاحه على النعناع ومرّة اعطاني حبتين وحين سأله المعلّم :
«اتاكل نعناع ؟» أجاب : «كلا ياسيدي» ثم قال لي فيما بعد إنه لم يكذب على المعلم لانه كان يمصّ حبة نعناع ولا يأكلها ومن حسن الحظ انّ المعلم لم يسألني فما كنت استطيع التفكير بمثل هذا التخلص بل كنت سأجيبه قائلا : «نعم»

«أوزوالد»

(غرفة السفينة «مالابار»

(شعر نونيل)

(مؤلف قصيدة «حلم الاجداد القدامى»)
إسمعوا !
ما أشدّ صخب الأمواج العاتية والرعد
إنها النواقيس تعلن موت بحّارة
السفينة النبيلة «مالابار»
وضباطها وركابها
كان ظهر يوم رائق جميل
حين غادرت السفينة الطيّبة الميناء
وقال الناس : «من الذي يخطر بباله
أنها ستصبح في الحال لعبة بيد العاصفة !»
كانت ، والحق يقال ، جميلة المنظر
وهي تنساب على الامواج منشورة الاشرعة
لكن القبطان كان متشائماً
وكأنها كانت قارب انقاذ صغير !
أنظر الى القبطان تراه حازماً لكنه متشائم
يرمي بابنه على الصخور
آملاً ان ينقذ ابنه الحبيب
من الغرق .
واأسفاه على المحاولة الفاشلة

فالرياح كانت تزمجر
ولم ينج احد
وهكذا كان غرق السفينة «مالابار»
فلنقرع الاجراس للابطال .

«نوئيل»

(ارشادات لاصحاب الحدائق)

لا فائدة من زراعة بذور الكرز على أمل ان تصبح اشجاراً تعطي ثمراً ، لانها لا تصلح لهذا الغرض !

أليس لن تعطي ادواتها الزراعية لاحد ثانية ، لأن نوئيل استعارها مرّة وتركها تحت المطر . هو ينكر ذلك .

بذور وابصال

يستحسن ان تحصل عليها من الدكاكين لا من حفلات العشاء وذلك لأنها لا تنمو اذا كانت مطبوخة اما البطاطا فلا تنمو من البذور ، بل من البطاطا المفرومة . بينما تنمو اشجار التفاح من ترقيد الاغصان ، وهذا اقل خسارة .
كما تنمو شجرة البلوط من البلوطة ان الكل يعرفون هذا وعندما يقول نوئيل انه لا يستطيع زرع شجرة من نواة خوخ ملفوفة باوراق البلوط فانما يبين لنا بأنه لا يعرْف من البستنة سوى زراعة زهرة القطيفة وعندما مررت بحديقته بدت لي الشجيرات وكأنها اعشاب وطفيليات وخاصة بعد قطع الزهور منها .

ومرّة تحداني احد الاولاد بأن آكل واحدة من الابصال . ان الكلاب مغرمة ونشيطة جداً بأمور البستنة من ذلك ان كلبنا «نباش» يزرع العظام دائماً ولكن لم ينبت منها واحد اذ لا يمكن ان تنبت اشجار من العظام واعتقد ان هذا هو سبب نباحه الحزين في الليل ولعله لم يحاول قط ان يزرع قطعاً من بسكيت الكلاب ، لأنه اشد تعلّقاً بالعظام ، وربما لأنه يريد التأكد من نجاح محاولة انباتها اولاً .

«سام ريدفيرن» او دفن لص الادغال

(بقلم : دِك)

(الفصل الرابع والأخير

إنّ هذه القصة ستكون جميلة لو انهم سمحوا لي بانهائها في الصفحة الأولى ، كما أردت لكنني نسيت الان النهاية التي كنت اريد . كما ان كتاب الهنود الحمر ضاع منّي ، وسرقت منّي كل اعداد مجلة (اولاد انكلترا) وان البنات يتحدّثن عن فقدان المجلّات : «نعم الخلاص !» لذا أعتقد أنّهن السارقات والجميع يريدون مني أن أخبرهم باسم الرجل الذي تزوجته (أني) ولكني لن افعل ، ولذلك لن يعرفوا من هو .

* *

لقد فرغنا الآن من كتابة كل ما نستطيع في الصحيفة وهو عمل يحتاج الى تفكير طويل . ولا ادري كيف يقدر الكبار على كتابة كل ما يريدون لابد ان ذلك يسبب لهم الماً شديداً وخصوصاً كتب الدراسة .

اما الجار ألبرت فلم يكتب سوى فصل واحد من القصة المتسلسلة وكان بامكانه أن يعمل المزيد لو اراد وهو لم يكن يقدر على الكتابة لأنه لا يحسن تهجي الحروف . ولكنه يدّعي انه يحسن التهجيّ بينما يستغرق ذلك منه وقتاً طويلاً وقد يعجز عنه وما يزال عندنا موضوع او اثنان في انتظار الكتابة انني سئمت الكتابة ، لكن دورا تقول انّها ستكتبهما .

(مطلوب استشارة قانونية)

كمية من الخيوط الممتازة نقدمها هدية لمن يخبرنا بوجود او عدم وجود قانون يحرّم شراء البارود على الاولاد دون سنّ الثالثة عشرة .

«نوبيل

سعر هذه الصحيفة شلن واحد . تضاف إليه ستة بنسات ثمنا لصورة السفينة الغارقة «مالابار» مع ركابها فاذا بعنا مئة نسخة منها فسوف نكتب صحيفة اخرى .

هكذا كنّا سنفعل . لكنّنا لم نفعل فقد اعطانا عمّ الجار البرت شلنين هذا كل ما هنالك أيمكننا استعادة ايام العزّ بشلنين !

(الفصل التاسع)



لم يعد العمل في الصحافة أفضل الطرق الى الثروة . كلنا نشعر بهذا الآن . واما قطاع الطرق فلم يعد الناس يهابونهم كما في الماضي .

أنا واثق من أننا فعلنا كل ما في وسعنا لاستعادة أيام عزّنا . كنّا نعرف قيمة تلك الأيام لأنّنا نعلم كم كانت عائلة باستبل ثريّة . دورا واوزوالد يمكن أن يتذكرا كيف كان بابا يأتينا دائماً باشياء حلوة من لندن .

وكانت أيام عيد الميلاد تحمل الينا الديكة الرومية والاوز وعلب الفواكه المحلاة والحلوى الفرنسية في علب أنيقة مغلفة بالحرير والمخمل

والشرائط الذهبية . كانوا يسمونها خوخا مجففا ولكن الخوخ المجفف الذي نشتريه من البقالين مختلف تماما . امّا الان فلم تعد تلك الاشياء الجميلة تاتينا من لندن . ونسي باعة الديكة الرومية والخوخ المجفف عنوان ابي قال أوزوالد :

ـ كيف نستطيع استعادة ايام العز الزائل تلك .

لقد جرّبنا التنقيب عن الكنوز والكتابة والزواج من اميرات والاشتغال بالصحافة

فقال هوراس اوكتافيوس :

ـ والعمل كقطاع طرق

أسرعت دورا تسأله :

ـ متى جرّبتم ذلك ؟ ألم أقل لكم إن هذا عمل سيء ؟

فبادرت آليس ، كالعادة ، الى الاجابة قائلة :

ـ لم يكن سيئاً بالطريقة التي نفذناها . إختطفنا الجار البرت فقط .

وبذلك سبقت اوزوالد الذي كان سيرد على دورا قائلا «من طلب منك نصائح بهذا الشأن ؟» وهو ردّ غير لائق . وقد فرح اوزوالد لان آليس سبقته ولم يردّ هو قالت دورا باحتقار :

ـ أوه الجار آلبرت !

فشعرت بمزيد من الارتياح وذلك لاني رغم سكوتي خفت ان تروح دورا تمثل دور الأخت الكبرى الناصحة . هذا الدور الذي يعجبها ان تمثله دائماً .

رفع دِكي عينيه عن الصحيفة التي كان يقرأها وقال :

ـ هذا شيء ممكن .
وراح يقرأ بصوت مسموع :
مئة باون استرليني تؤمّن لك المشاركة في صفقة رابحة لبيع براءات اختراع مفيدة حيث يدفع المبلغ على اقساط اسبوعية من عشرة باونات ولا حاجة الى الحضور شخصيا بل يمكنك الكتابة الينا على العنوان التالي :
شركة جوبلنز
٣٠٠ درب الشارع القديم .
قال أوزوالد :
ـ أتمنّى ان نشارك في هذه الصفقة .
كان صبيا في الثانية عشرة من العمر الّا ان دماغه كان اكبر من سنّه :
فرفعت أليس راسها عن لوحتها وكانت تحاول تلوين ثوب ملكة الجن بصبغة النيل . وهي صبغة لا تزول .
والطريف ان هذه الصبغة لا تميز بين شيء واخر وهي لا تزول مهما فركتها ولا تتاثر الّا قليلا بالماء الحار قالت أليس :
ـ حذار من الصبغ ! و .. لا فائدة ياأوزوالد من التفكير في هذا الموضوع . من أين لنا أن نحصل على مئة باون ؟
فقال أوزوالد موضحاً بعدما حسب المبلغ في ذهنه حين كانت أليس تتكلم :
ـ عشرة باونات في الاسبوع تعني خمسة بالنسبة لنا لان المشاركة تعني نصف المبلغ .

كان نوئيل يعض على قلمه برفق ـ وبينما كان منهمكاً بكتابة الشعر كالعادة رأيت الشطرين الاولين :

ترى لماذا صبغة النيل

ليس لها في القبح من مثيل !

وهتف فجأة :

ـ أتمنّى لو تنزل علينا جنّية من المدخنة وترمي لنا بجو[illegible] حوهرة قيمتها مئة باون بالضبط .

فقالت دورا :

ـ وقد تعطيك مئة باون ايضاً .

فقالت آليس :

ـ وربما جاءت واعطتنا خمسة باونات كل اسبوع .

فقلت أنا :

ـ أو خمسين .

فقال دكي :

ـ أو خمسمائة .

ورأيت هوراس أوكتافيوس يفتح فمه ليتكلم وعرفت أنّه سيقول : «أو خمسة الاف» فبادرت الى القول :

ـ أقول انها لا تعطينا خمسة بنسات ولكن لو تسمعون كلامي ونحاول انقاذ سيد عجوز ثري من خطر مميت فانه سيعطينا جرّة مملوءة نقوداً وعندها نستطيع المشاركة في المشروع ودفع خمسة باونات اسبوعياً خمسة باونات في الاسبوع يمكن شراء الكثير بها .

عندئذ قال دِكي :

ـ لماذا لا نقترض المبلغ

فقلنا : «ممّن»

فقرأ علينا الاعلان التالي من الصحيفة :

(قروض بلا رسوم ـ عقود خاصة)

مصرف شارع بوند

المدير : ز . روزنباوم

نعطي سلفاً نقدية من عشرين باوناً الى عشرة الاف باون لقاء وصل موقع من قبل سيدات او سادة ومن غير ضمان لا رسوم ولا استفسارات شعارنا السرية المطلقة .

سأل هوراس أوكتافيوس :

ـ ما معنى هذا كلّه ؟

فقالت دورا موضحة :

ـ معناه ان هناك سيداً كريماً عنده اموال كثيرة ولا يعرف الناس الفقراء حتى يقدم لهم المساعدة ولذا وضع اعلاناً في الصحيفة يبيّن فيه انه سيساعدهم بقروض من امواله . وهذا كل معناه أليس كذلك يادِكي .

فأجاب دِكي بالايجاب وقال هوراس عن الرجل إنه «المحسن الكريم» مثل الرجل الذي في رواية (الانسة إيدج ورث) واراد نوئيل ان يعرف ما المقصود بالوصل الموقع باليد ، وقد عرف دِكي معنى الوصل لأنه قرأ عنه في أحد الكتب . فهو مجرّد رسالة تقول فيها إنّك ستدفع المبلغ عندما تستطيع . وتضع عليها اسمك وتوقيعك .

فقالت آليس :
ـ بلا استفسارات !آه ، يادِكي أتعتقد أنّه سيقرضنا المال ؟
فقال دِكي :
ـ نعم ، أعتقد . عجباً لماذا لا يذهب بابا الى هذا السيد الكريم ! لقد رأيت اسمه في اعلان على طاولة كتابة أبي .
قالت دورا :
ـ ربما ذهب .
لكننا كنّا واثقين من أنه لم يذهب ولو كان فعل لكانت لديه نقود يشتري بها الاشياء الجميلة التي نريدها . في تلك اللحظة قفز «نباشّ» فأسقط وعاء ماء التلوين . ياله من كلب مهمل . ترى لماذا يكتسب ماء التلوين لوناً قبيحاً دائماً اسرعت دورا لتأتي بمنشفة . أمّا هوراس فقد سكب على يديه بضع قطرات من ذلك الماء وقال إنه أصيب بالطاعون . واعجبتنا اللعبة فقمت أنا بدور طبيب عربي ولففت على رأسي منشفة حمام باعتبارها عمامة وعالجت الطاعون ببضع قطرات من حامض سحري . وبعدها حان موعد العشاء حيث رحنا . بعده نبحث الموضوع من كل الوجوه ثم استقر رأينا على وجوب الذهاب لزيارة المحسن الكريم في اليوم التالي . وبالطبع اراد الجميع الذهاب ، ولكّننا فكرنا بأنّ السيد «م .ك» اختصاراً لاسم المحسن الكريم ـ قد لا يرتاح لعددنا الكبير ، وكثيراً ما لاحظت ان اسوأ ما في الامر هو أنّنا ستة أطفال وان الناس يعتبرون العدد ستة كبيراً جّداً عندما يكونون اطفالاً يبدو أن التعبير قد خانني بعض

الشيء ، أعني أنهم لا يمانعون ان تكون هناك ستة ازواج احذية او ستة كيلوات من التفاح أو ست برتقالات خصوصاً في المعادلات ، ولكن حين يتعلّق الأمر بالأطفال فانهم لا يرتاحون لفكرة أن يكون عندك حتى خمسة اولاد وبنات . أستقر الحال على أن يذهب دكي بالطبع لأنه صاحب الفكرة بينما كانت دورا تعتزم الذهاب الى بلاكهيث لزيارة سيدة عجوز صديقة للوالد ، ولذا لم تستطع الانضمام الينا .

وقالت آليس ان ذهابها أمر لابدّ منه لأن الاعلان يقول «سّيدات وسادة» ولأنّ المحسن الكريم قد لا يوافق على اعطائنا المال ما لم نكنْ من الجنسين .

قال هوراس اوكتافيوس إنّ آليس ليست سيدة جليلة القدر وقالت آليس إنّه لن يذهب معهم بأية حال من الاحوال . ثم وصفها بالقطّة القبيحة وراحت هي تبكي لكن اوزوالد يحاول دائماً تسوية الخلافات لذا قال :

ـانتما سخيفان صغيران .. كلاكما !

وقالت دورا :

ـ لا تبكي ياآليس . فهو يقصد أنّك لست سيدة بالغة .

عندئذ قال هوراس :

ـ ماذا تتصورين أقصد غير هذا يا مكروهة .

فقال دِكي :

ـ لا تكن مكروهاً أنت نفسك ياهوراس . لا تضايقها وقل لها إنّك

متأسف . والاّ جعلتك تتأسف فعلا ! وهكذا قال هوراس إنه متأسف عندئذ قبلته أليس وقالت انها متأسفة أيضا فعانقها هوراس وقال :

ـ الآن أنا متأسف حقّاً وصدقاً .

وانتهى الخلاف بينهما .

كان نوئيل معنا حين ذهبنا الى لندن آخر مرّة . فقالت دورا إنّها ستصطحبه معها الى بلاكهيث اذا اخذنا هوراس معنا هذه المرّة . فقد رأينا أن نأخذه معنا حسماً للخلاف .

فكرنا اول الأملا ، بأن نمزق جوانب من ملابسنا القديمة ونرقعها بخرق مخالفة لنبين للسيد (م .ك) كم نحن محتاجون ولكن دورا عارضت هذه الفكرة لأنّ فيها خداعاً . اذ أنّنا بذلك نتظاهر بالفقر الشديد .. ان دورا محقّة احياناً ولو أنّها اختنا الكبرى . عندئذ فكرنا بارتداء أفضل ما لدينا من ملابس حتى اذا رآنا السيد (م .ك) لا يظنّنا فقراء للغاية ونخشى ألاّ نردّ له نقودهم ولكن دورا قالت إنّ هذا ايضاً غير صحيح . ولذلك وجدنا أن الصدق الحقيقي ـ كما قالت دورا ـ هو أن نذهب لزيارة الرجل كما قالت دورا ـ هو أن نذهب لزيارة الرجل كما نحن ، حتى من غير أن نغسل وجوهنا وأيدينا ولكن عندما نظرت الى وجه هوراس ، ونحن في القطار ، تمنيّت لو أننا لم نلتزم بالصدق الى هذا الحد .

قليل ممن يقرأ هذا يعرف ما معنى أن يسافر المرء بالقطار ولذا لن احكي لكم عن السفرة ـ ولو أنها ممتعة ، وخصوصاً عندما صعد

مفتش التذاكر من محطة ووترلو واختبأ هوراس تحت المقعد متظاهراً بانه كلب بلا تذكرة سفر . وغادرنا القطار عند (تشيرنغ كروس) ومنها تحولنا الى قصر (وايت هول) لرؤية الحرس الملكي ثم الى حدائق قصر سان جيمس لنفس الغرض . ورحنا نتفرج على واجهات المحلات والمخازن في شارع بروك وشارع بوند . وهناك رأينا لوحة نحاسية على مدخل مجاور لمحل لبيع القلانس والقبعات ـ قبعات فخمة زاهية لا تحمل بطاقات اسعار . قرعنا جرس المدخل ففتح الباب صبي سألناه عن السيد روزنباوم لم يعاملنا الصبي بأدب ولم يسمح لنا بالدخول . عندئذٍ اخرج دكي بطاقة زيارة كانت واحدة من البطاقات التي تحمل اسم بابا ، ولكن الاسم الاول لوالدنا ودِكي واحد : «السيد ريشارد باستبل» .

فكتبنا عليها اسماءنا تحت اسمه . كنت احمل قلم تلوين وردي اللون في جيبي بالصدفة كتبنا به اسماءنا .

ثم اغلق الصبي الباب بوجوهنا ولبثنا ننتظر على درجات السلّم لكنه سرعان ما عاد ليسألنا عمّا نريد فقال دِكي :

ـ سلفة نقدية يافتى . ولا تجعلنا ننتظر هنا طول النهار !

فطلب منّا الانتظار ثانية . وطال انتظارنا حتى شعرت بالخدر في ساقيّ ولكن آليس لم تهتم لأنّها كانت مشغولة بالنظر الى القّبعات والقلانس وأخيراً انفتح الباب وقال الصبي :

ـ السيد روزنباوم سيستقبلكم .

فمسحنا احذيتنا عند المدخل ومن ثم صعدنا سلّماً مغطّى

بالسّجاد الناعم لنصل الى غرفة . كانت جميلة تمنيت عند دخولها لو أننا ارتدينا أحسن ملابسنا ، أو اغتسلنا على الأقل ، ولكن فات الأوان .

كانت ستائر الغرفة من المخمل وارضها مفروشة بسجّادة ناعمة . وكانت مزدحمة بالاشياء الرائعة ، دواليب من خشب الماهاغوني المذهب ، آنية خزفية ، تماثيل وصور . وكانت هناك صورة لرأس كرنب (لهّانة) وديك مذبوح وارنب ميّت تبدو كانها حقيقية . انا مستعد لأن أعطي كل شيء في الدنيا ثمناً لها . كان فراء الارنب يبدو طبيعياً الى درجة انّي لم امل من النظر الى الصورة .
أمّا آليس فقد أعجبتها صورة الفتاة ذات الجّرة المكسورة وكان هناك الى جانب الصور ساعات وشمعدانات ومزهريات واقداح مذهّبة . وصناديق سكاير وقناني عطور واشياء كثيرة مبعثرة على الكراسي والمناضد . كان مكاناً مدهشاً ، وكان في وسط هذه الروعة سيد عجوز نحيف يلبس سترة سوداء طويلة جداً ، وله لحية بيضاء طويلة وأنف مقوّس مثل منقار العقاب . ويلبس عوينات ذات إطار من ذهب نظر الينا نظرة من يعرف تماماً كم هي قيمة ملابسنا . وبينما راح الكبار منّا يفكرون بالعبارات التي يبدأون بها الكلام . بعدما حييّناه جميعاً قائلين : «صباح الخير» بدأ هوراس الكلام قبل ان نتمكن من ايقافه فقال :

ـ هل أنت السيد (م.ك) .

فقال السيد العجوز النحيف :

ـ السيد ماذا .
فأجاب هوراس :
ـ السيد (م ك) .
غمزت اهوراس بأن يسكت فلم ينتبه لي بل رآني السيد (م ك) فأشار الي بيده أن اسكت فسكت ومضى هوراس :
ـ (م . ك) تعني «المحسن الكريم» .
أطرق السيد العجوز مفكراً لحظة ثم قال :
ـ والدكم ارسلكم الى هنا ، كما أظن .
فأجاب دِكي :
ـ كلاّ ، لم يرسلنا . لماذا تظن ذلك .
فأشار السيد العجوز الى بطاقة الزيارة . فأوضحت له اننا استخدمنا البطاقة لأن اسم الوالد مثل اسم دِكي .
ـ ألا يدري أنكم جئتم إليّ .
فقالت آليس :
ـ لا لن نخبره قبل ان نحصل على صفقة الشركة ، لأن أشغاله تسبب له قلقاً شديداً في الوقت الحاضر ولا نريد ان نتعبه أكثر باشغالنا قبل ان ننجح وسوف نعطيه نصف حصتنا من الشركة .
رفع السيد العجوز النظارة عن عينيه ومرّر اصابعه بشعره ثم قال :
ـ إذن لمَ جئتم .
فقال دِكي :

ـ رأينا إعلانك ، ونريد مئة باون مقابل وصل موقع من قبلنا . وقد جاءت شقيقتي معي حتى نكون من كلا الجنسين ونحن نريد المبلغ لتدخل في شركة صفقة رابحة لبيع براءات اختراع . ولا ضرورة لذهابنا شخصيا ـ

قال السيد (م .ك)

ـ لا أظنني فهمت ما تقول ولكنني أود ايضاح مسألة قبل الدخول في تفاصيل هذا الموضوع : لماذا أطلقتم علي اسم (المحسن الكريم) ؟

قالت آليس وهي تبتسم له متظاهرة بأنها غير خائفة ولو أني واثق انها كانت في منتهى الخوف :

ـ حسناً الحقيقية ... انها منتهى الطيبة منك أن تحاول العثور على الفقراء المحتاجين لتساعدهم وتقرضهم المال .

غمغم السيد (م.ك) وقال :

ـ ه م م م م ! إجلسوا

وأزاح الساعات والمزهريّات والشمعدانات عن بعض المقاعد فجلسنا . كانت مقاعد مبطنة بالمخمل وارجلها مذّهبة كتلك التي في القصور الملكية ثم قال :

ـ أليس الواجب أن تكونوا في المدرسة الان بدل التفكير بالفلوس ؟ لماذا لم تذهبوا الى المدرسة ؟

فأخبرناه بأنّنا سنذهب الى المدرسة حتماً عندما يتمكن الوالد من تغطية نفقات الدراسة ولكنّنا أردنا في الوقت نفسه ، أن نعمل ما نقدر عليه لاستعادة ايام عزّ عائلة باستبل وقلنا في انفسنا أن شركة

العلامات التجارية هذه يمكن ان تكون صفقة جيدة .

سألنا الرجل اسئلة كثيرة واخبرناه بكل ما نعتقد بأن والدنا لا يمانع فيه واخيراً قال :

- تريدون اقتراض بعض المال . متى تعيدونه الي ؟

فأجاب دِكي :

- حال ما يتوفر لدينا ، بالطبع .

ثم التفت السيد (م .ك) الى اوزوالد قائلاً :

- تبدو لي اكبر الجميع سنّاً .

فأوضحت له ان الفكرة هي فكرة دِكي ، وكوني أنا الاكبر لا يعني هنا شيئاً عندئذٍ تحوّل الى دِكي وقال :

- أنت صغير ، على ما أظن .

فأجاب دِكي بالنفي ، ولو أنه فكّر مرّة بدراجة هندسة التعدين والمناجم والاشتراك في حملة التنقيب عن الذهب .

فقال السيد (م .ك)

- صغير لا عامل منجم (*) أقصد أنك لم تبلغ سن الرشد فقال دِكي :

- سأبلغ السن في مدى عشر سنوات .

فقال السيد (م .ك) :

- إذن ، فقد تنكر الدين .

(*) تتشابه كلمتا صغير (Minor) وعامل منجم او منقب عن المعادن (MiNER) في اللفظ الى حد كبير ، وخصوصاً حين لا تكون طبيعة الجملة محددة او واضحة . «المترجم»

فسأله دكي :
- ماذا ؟
(كان الواجب ان يقول : «أرجو المعذرة ، لم اسمع جيّداً ما قلت.
لو كان المتحدث أوزوالد لكان أجاب بهذه الطريقة ، لأنها اكثر ادبا
ولياقة من كلمة «ماذا ؟» وحدها)
أعاد المحسن الكريم العبارة :
- تنكر الدين أقصد أنك قد ترفض تسديد الدين ولا يجبرك القانون
على ذلك .
فقال دكي وهو ينهض من كرسيّه :
- آه طيّب . إن كنت تظننا محتالين ..
فقال المحسن الكريم
- اجلس، اجلس. كنت . اداعبك فقط . ثم تحدث قليلاً ، واخيرا
قال:
- لا أنصحكم بدخول تلك الشركة . فهي عملية احتيال انها اعلانات
كثيرة يراد بها الاحتيال كما انه ليست عندي مئة باون ، اليوم ،
أقرضكم ايّاها .
ولكني سأقرضكم باوناً يمكنكم أن تنفقوه كما يحلو لكم وعندما
تبلغ (يادكي)) الحادية والعشرين تعيده اليّ فقال دكي
- سأسدده لك قبل هذا الوقت بكثير . شكراً .. جزيلاً ،
وماذا عن الوصل ؟
فقال المحسن الكريم :

ـ آه ، تكفيني كلمة شرف منك . تدري أنه بين السادة والسيدات (وانحنى إنحناءة لآليس) كلمة الشرف أقوى من الوصل الموقع باليد .

ثم أخرج من جيبه جنيهاً ذهبياً . وأبقاه في يده وهو يتكلّم فنصحنا كثيراً بعدم التورّط في التجارة فنحن بعد صبيان ثم دعانا الى الاهتمام بدروسنا ـ ضارباً على هذا الوتر الحساس في نفوسنا .

حتى اذا عدنا الى المدرسة كانت معنوياتنا عالية . وكان طوال الوقت يقلب الجنية الذهبي في يده وينظر اليه وكأنه اكتشف جماله الفريد فجأة واخيراً مدّ يده بالجنية الى دكي وعندما مدّ دِكي يده ليأخذه أعاد المحسن الكريم الجنية الى جيبه وقال :

ـ لا . لن اعطيك الجنية الذهبي بل ساعطيك خمسة عشر شلناً وزجاجة العطر الجميلة هذه ، ان قيمتها اكثر من خمسة شلنات وعندما تتمكن من اعادة الدين في المستقبل فيجب ان تدفع لي الباون بالاضافة الى ستين بالمئة من المبلغ كفائدة .. ستين بالمئة ، ستين بالمئة .. سأله هوراس أوكتافيوس :

ـ ما معنى ذلك :

فقال المحسن الكريم إنه سيخبرنا عندما نسدّد له الجنية وأن ستّين بالمئة من المبلغ ليس بالشيء المخيف .

أعطي دِكي المبلغ وطلب من غلامه أن يستدعي عربة أجرة وضعنا كلّنا فيها وصافحنا واحداً واحداً ، وطلب من آليس ان تعطيه قبلة ففعلت وفعل هوراس نفس الشيء متناسياً وساخة

وجهه ، ودفع المحسن الكريم أجرة لسائق العربة . وحدّد له محطة القطار التي يحملنا اليها وهكذا عدنا الى البيت .

في مساء ذلك اليوم تلقّى بابا رسالة ببريد الساعة السابعة وعندما قرأها جاء الى غرفة نومنا . لم تكن دلائل الحزن بادية على وجهه كالمعتاد إنّما كانت تلوح عليه علائم الجدّية المفرطة حين قال :

ـ كنتم في زيارة للسيد روزنباوم .

فحكينا له كل ما حصل واستغرقنا وقتاً طويلاً في ذلك وكان بابا خلاله جالساً بصمت على كرسّيه ذي المساند ، وكانت تلك مناسبة حلوة ، ذلك لان الوالد قليلاً ما كان يأتي ليتحدث الينا :

فقد كان مضطراً الى التفكير بالعمل طول الوقت . وبعدما اخبرناه بكل شيء قال :

ـ أنتم لم تسيئوا التصرف هذه المرة ياأطفال بل ربما احسنتم التصرف لان السيد روزنباوم بعث لي برسالة طيبة للغاية .

فسأله اوزوالد :

هل هو صديقك يابابا .

فكّر والدي قليلاً قبل ان يجيب قائلاً

ـ أحد المعارف اشتركت معه ببعض الصفقات التجارية من قبل وهذه الرسالة .

وسكت لحظة ثم عاد يقول :

ـ لا ، لم تسيئوا التصرف ابداً ، اليوم لكني اريد منكم مستقبلا الا

تفعلوا امراً جديا مثل محاولة الدخول في شركة دون استشارتي . هذا كل ما اريده منكم انا لا اريد التدخل في العابكم ولكنكم ستستشيروني في امور التجارة ، اليس كذلك .

قلنا بالطبع ذلك يسعدنا وقالت آليس التي كانت جالسة على ركبتي الوالد :

ـ لم نشأ ان نزعجك .

فقال الوالد :

ـ ادري اني لا اقضي معكم وقتاً كافياً ، لان الشغل يأخذ اكثر وقتي ، واشغالي ليست مستقرة ولكني لا اتقبل فكرة ان اترككم وحدكم هكذا .

كان بادي الحزن بشكل جعلنا نقول كلنا اننا نحب ان نبقي وحدنا . فزاده كلامنا حزناً على حزن عندئذ قالت آليس :

ـ لا نقصد هذا بالضبط يابابا بل نقصد اننا صرنا نشعر بالوحدة احياناً منذ وفاة ماما ومن ثم ساد الصمت حيناً من الوقت . لبث بابا معنا الى ان حان موعد نومنا وعندما قال لنا «طابت ليلتكم» كان صوته دافقاً بالبهجة ولما اخبرناه بذلك قال :

ـ حسناً الحقيقة ان هذه الرسالة ازاحت عن نفسي بعض الهموم ولا ادري ماذا يقصد ولكني واثق بان «المحسن الكريم» يفرح لو علم انه ازاح شيئاً من الهم عن نفس اي انسان انه من هذا النوع من الناس كما اعتقد .

اعطينا زجاجة العطر لدورا ، ولم يكن من النوع الجيد الذي

تصورناه ولكن كانت عندنا الشلنات الخمسة عشر وكان ذلك امراً طيباً وكذلك كان المحسن الكبير .

بقينا سعداء فرحين كأننا استعدنا ايام العز والرفاة الى ان انفقنا الشلنات الخمسة عشر . فالانسان لا يلاحظ واقع الحال طالما كانت في جيبه نقود . وهذا ما يفسر لنا لماذا نجد الاطفال الذين يحصلون على مصروف جيب بانتظام لا يفكرون بالبحث عن كنز اذن ربما كان عدم حصولنا على مصروف الجيب نعمة متنكرة ، ولكن ياله من تنكر متقن ، مثل تنكر الاوغاد في الروايات . ويبدو كأن تنكر هذه النعمة زاد اتقاناً عندما انفقنا الشلنات واخيراً وافق الباقون على السماح لاوزوالد بتجربة طريقته في البحث عن كنز وان لم يكونوا متحمسين لذلك ولو كان الامر متعلقاً بولد ضعيف الشخصية ، بعكس اوزوالد لكان ترك المحاولة بسبب عدم التشجيع . لكن اوزوالد يعرف ان البطل يجب ان يعتمد على نفسه حسب . لذلك اصر على تنفيذ خطته وسرعان ما وجد الاخرون ان الواجب يقتضي مساعدته والعمل معه على تنفيذ الخطة .

الفصل العاشر



(اللّورد توتنهام)

إن أوزوالد ولد ذو شخصية قوية وعزيمة لاتلين فلم يتراجع قطّ عن فكرته الأصلية . وكان مؤمنا أشدَّ الإيمان بأن الكتب لاتخطيء ، وبأنه أحسن طريقة لاستعادة أيام العز تكون بانقاذ سيد عجوز من خطر . فيحيطك برعايته كواحد من أبنائه : ولكن فضَّلت أن تبقى إبن أبيك فتوقع أن يكافئك السيد العجوز على عملك الإنساني بشكل من الأشكال . وهذا مايحصل في الروايات على الأقل ـ كأن تغلق له نافذة القطار ، أو تعيد له كيس نقوده الذي يقع منه ، أو تنشد له بعض

التراتيل حين يطلب ذلك منك فجأة ـ وبذلك يبتسم لك الحظ .

قلت إنَّ الآخرين كانوا مترددين ولم يظهروا إهتماما كبيرا بفكرة الإنقاذ ، قائلين ، إنه ليس هنالك خطر مميت ، واذن ، علينا ان نخلق مثل هذا الخطر لكي نستطيع انقاذ السيد العجوز منه ، فقال أوزوالد إنَّ هذا غير مهم . ومع ذلك أخذ يفكر في تجربة طرق اسهل في البداية .

لبث ينتظر في المحطة . وراح يغلق النوافذ للشيوخ العاجزين على أمل الحصول على اي تقدير ، ولكن دون جدوى ـ إلى ان سئم ناظر المحطة والعاملون الآخرون من وجوده . وهكذا فشلت المحاولة الأولى . ولم يطلب اليه أحد أن ينشد بعض التراتيل ، مع أنه حفظ تراتيل قصيرة لهذا الغرض . وعندما وقعت قطعة نقود من فئة شلنين من أحد الرجال المسنين قرب صالون حلاقة إيليس التقطها أوزوالد ليعيدها للرجل ، فأمسك به الشيخ من ياقة سترته وقال عنه إنه لصٌّ صغير . وكان الأمر سيعود بنتائج سيئة على أوزوالد لو لم يكن ولداً شجاعاً . وكان يعرف شرطي المنطقة معرفة جيدة . فجاء هذا الشرطي للدفاع عنه ، مما جعل الرجل العجوز يعتذر ويقدم لأوزوالد قطعة من فئة ستة بنسات . فرفضها أوزوالد بازدراء مؤدب ، ولم يحصل شيىء غير هذا .

وبعدما جرَّب أوزوالد بنفسه اكثر من مرة ولم يخرج بنتيجة قال لإخوته واخواته :

هذه مضيعة للوقت ، مالم نحاول انقاذ سيد عجوز من خطر مهلك . هيَّا ـ تحركوا بهمة ونشاط .. ولنفعل شيئاً !

كانت تلك ساعة الغداء ، وراح «نباش» يدور حول الصغار يأكل

الفتات ويلعق الصحون . وقد كان هناك الكثير من الفضلات في ذلك اليوم ، لأنه يوم لحم الضأن البارد . قالت آليس :

إن الانصاف يقضي بأن نجرِّب طريقة أوزوالد ـ فقد جرَّب معنا كل الطرق التي فكرَّنا بها . مارأيكم في إنقاذ اللورد توتنهام ؟

اللَّورد توتنهام هو السيد العجوز الذي يقطع المرج في الساعة الثالثة من عصر كل يوم . وعندما يبلغ منتصف المسافة ينزع ياقة قميصه الورقية الوسخة ـ إن لم يكن هناك أحد بالقرب منه ـ ويرميها بين الأدغال ويستبدلها بواحدة نظيفة .

قال ديكي :

اللَّورد توتنهام مناسب للخطَّة ، ولكن أين الخطر المهلك ؟ لم نستطع أن نهتدي الى حل . فلم يعد هناك قطاع طرق في بلاكهيث ... مع الأسف . ومع أن أوزوالد اقترح أن ننقسم الى فريقين : قطاع طرق ومتقذين ، الاَّ أن دورا ظلَّت تصر على القول بأن قطاع الطرق أناس اشرار ، حتى اضطررنا الى ترك الفكرة . ثم قالت آليس :

مارأيك بكلبنا «النبَّاش» ؟

وفي الحال انتبهنا جميعاً الى هذه الفكرة الجميلة . إن «النبَّاش» كلب قوي وحسن التربية ، ويحسن القيام ببعض الأعمال ولو أننا لم نستطع قط أن نعلمه الاستجداء . ولكن اذا أمرته بالهجوم فلن يتردَّد لحظة واحدة ، حتى لو قلت له مجرَّد عبارة «امسكه !» بصوت هامس .

وهكذا رتبَّنا الموضوع . قالت دورا إنها لاتريد الاشتراك معنا في اللعبة لأنها فعلة شريرة ، وهي تدري أنَّ ما تقوله سخيف . لذلك

استبعدناها ، فذهبت الى غرفة الطعام لتطالع كتاباً هناك ، ولكي تقول إنها لم تشترك معنا ، إذا ماحصلت لنا مشكلة .

كانت الخطة تقضي بأن تختبىء آليس وهوراس في الدغل الذي يرمي اللورد توتنهام فيه ياقته الورقية الوسخة . وهناك يهمسان للنباش ، بعبارة : «أمسكه !» وعندما يهجم الكلب ويتشبث بثياب اللّورد توتنهام نسرع نحن لإنقاذه من محنته المخيفة . وعندئذٍ سيقول اللّورد : «كيف يمكن أن أكافئكم يامنقذيَّ ايهًا الفتيان النبلاء ؟» وبالتالي يسير كل شيىء على مايرام .

مضينا الى المرج ، ونحن خائفون أن نكون قد تأخرنا . وكان أوزوالد قد أوضح للآخرين معنى التقاعس فوصلوا الى الدغل بعد الثانية عصراً بقليل ، وكان الجو اميل الى البرودة . فأختبأت آليس ومعها هوراس والكلب النباش ، ولكن الكلب لم يعجبه المكان وكنا نسمع صوت نباحه الاحتجاجي الخافت بينما كنا ، نحن الثلاثة ، نقطع الطريق جيئة وذهاباً . وسمعنا آليس تقول : «أنا (بردانة) جداً ! ألم يأتِ حتى الآن ؟» . اما هوراس فخرج من مكمنه وراح يقفز في مكانه إلتماساً للدفء ، ولكننا طلبنا منه أن يتحمل ويتعلم كيف يكون ولداً إسبارطياً ، وأن يشكر

(*) منسوب الى مدينة اسبارطة اليونانية القديمة التي وقف محاربوها الثلثمائة بوجه الجيوش الفارسية واوقفوا زحفها في القرن الخامس قبل الميلاد ، بفضل بسالتهم وصمودهم حتى صاروا مضرب مثل في التحمل والصبر على الشدائد .

«المترجم»

اللَّه لأنه لايعاني من تسمم شديد نهش أمعاءه طوال الوقت . إن هوراس أوكتافيوس هو شقيقنا الأصغر ون نسمح لانفسنا بأن نتركه يتربى على الاسترخاء والضعف . يضاف الى ذلك أنَّ الجو لم يكن بتلك البرودة . كل ماهنالك أنه كان لابساً جوارب قصيرة جعلت ركبتيه تتعرضان للبرد . وهكذا ظل الثلاثة في مخبئهم ينظرون الاشارة . واخيراً ، وبعدما بدأ الثلاثة الآخرون ، الذين كانوا يروحون ويجيئون في الطريق ، يشعرون بلسعة البرد رأوا عباءة اللُّورد توتنهام العريضة التي يتلاعب بها الهواء تقترب من بعيد كجناحي طير . فأسرعنا نقول «آليس» محذرين :

إششش ! هاهو يقترب . عليك أن تطلقي الكلب حال ماتسمعين اللُّورد يحكي مع نفسه ـ فهو دائماً يتكلم مع نفسه عندما ينزع باقته .

ثم رحنا ، نحن الثلاثة ، نتمشىَّ مبتعدين ونصفر ألحاناً كأننا لانضمر شيئاً . كانت شفاهنا شبه متيبسة من البرد ، لكننا استطعنا أن نصفر .

جاء اللُّورد توتنهام يسير بخطواته الواسعة وهو يكلِّم نفسه . وكان الناس يسمونه «نصير حماية الطبيعة المجنون» . ولاأدري مامعنى ذلك ـ ولكن لااعتقد أنَّ من اللائق أن يطلق الناس تسميات كهذه على (لورد) . سمعناه يقول ، وهو يمرُّ بالقرب منا :

خراب البلد ياسيدي ! خطأ قاتل ، خطأ قاتل ! وعندما التقينا رأيناه يقترب من مكمن الكلب «النباش» وآليس وهوراس . فتابعنا سيرنا حتى لايشك باننا نراقبه ـ وفي اللحظة التالية سمعنا نباح النباش ولاشيء

سواه . فلمَّا التقينا رأينا النباش العجوز الطيب عاضاً على سروال اللُّورد توتنهام بإصرار شديد ، لذا انطلقنا نركض نحوه .

كان اللُّورد قد نزع ياقة قميصه من جهة واحدة ـ فانتصبت واقفة تحت أذنه ، وراح يصيح : «النجدة ، النجدة ، جريمة قتل !» ، وكأنه تدرَّب قبل لحظات على اطلاق صيحة الاستغاثة هذه . فيما راح النباش يزمجر من بين أنيابه المطبقة على سروال الرجل . وعندما وصلنا وقفت أنا وقلت :

دِكي ، يجب أن ننقذ هذا العجوز الطيب . فصاح اللُّـورد بغضب شديد :

ليذهب العجوز الطيب الى ....(لاأذكر الكلمة) .

أبعدوُا الكلب عني !

فقال أوزوالد :

مهمَّة خطرة ... ولكن من ذا الذي يتردّد ، في هذه الحالة ، عن القيام بعمل شجاع حقاً ؟

في اثناء ذلك كان النباش يجرجر سروال اللّورد توتنهام ويزمجر واللّورد يصرخ مستغيثاً ، وهو يرقص خوفا والكلب متشبث به كالقدر المحتوم ، بينما راحت ياقته نصف المفكوكة تتراقص حول رقبته . عندئذ قـال نوئيل :

اسرع قبل فوات الأوان .

فقلت للُّورد توتنهام :

لاتتحرك ، ياسيدي العجوز وسأبذل جهدي لتخليصك من محنتك .

فلبث الرجل ساكناً وانحدرت أنا على الكلب وأمسكت به وهمست قائلاً : «أطلق سرواله ، ياسيدي ، أطلقه !» فأبعد النبّـاش أنيابـه عن ساق اللّورد ، وأعاد هذا ربط باقته ـ فهو لايبدل باقته بحضور أحد أبداً ـ وقال :

أنا في غاية الامتنان ، بالتأكيد . ياللوحش الشرّير !

هاكم اشربوا نخب صحتي .

فأوضح له دِكي بأننّا لانتعاطى المسكرات ولانشرب في صحة الآخرين فقال اللورد توتنهام :

حسناً . أنا ممتنٌّ لكم على أية حال . الآن أراكم جيداً ـ فأنتم لستم من أبناء الشوارع بالطبع ، بل أبناء ذوات ، أليس كذلك ؟ مع ذلك فهذا لايمنع من أخذ إكرامية من ولد عجوز ! فأنا ماكنت امتنع عن ذلك عندما كنت في مثل سنكم .

وأخرج من جيبه نصف باون فضياً .

كان ذلك منتهى السخف . ولكن ، بعد أن فعلنا فعلتنا هذه شعرت بأن من الدناءة أن نأخذ قطعة النقد من الرجل الذي وضعناه نحن في مثل هذا المأزق . لم يذكر اللّورد شيئاً عن جعلنا أولاده ـ فلم أدر ماذا أفعل . أطلقت سراح النباش وكنت على وشك أن أقول للّورد العجوز إننا بخدمته وأننا لانتقاضى أجراً عن عمل الخير باعتبارها أحسن طريقة نكفّر بها عن الذنب الذي اقترفناه في حق السيد العجوز ، لولا أن الكلب اللّعين أفسد العملية كلها . إذ ما أن أطلقته حتى راح يتقافز من حولنا وينبح نباح الفرح ويحاول أن يلعق وجوهنا . كان يتباهى بما قام به من

عمل . ففتح اللَّورد توتنهام عينيه متعجبا وقال :

يبدو أن الكلب يعرفكم .

عندئذٍ أدرك أوزوالد أن الخطة قد فشلت تماماً فالقى على اللَّود التحية وحاول الهرب . لكن اللَّورد : قال «لم العجلة !» وأمسك بنوئيل من ياقة سترته فصرخ نوئيل مستغيثاً فخرجت آليس من الدغل مسرعة ، وذلك لأن نوئيل كان أحب إخوتها الى قلبها . لا أدري لماذا . فنظر اليها اللَّورد توتنهام وقال :

إذن ، فهناك المزيد منكم !

وعندما تبعها هوراس خارجاً من الدغل سأله اللَّورد :

أنت بقيَّة العصابة ؟

فقال هوراس إنَّ خمسة منا فقط مشتركون في العملية .

استبدَّ الغضب باللَّورد توتنهام وانطلق يمشي مبتعداً جاراً نوئيل من ياقته . فلحقنا به وسألناه الى أين يعتزم الذهاب به فأجاب :

الى مركز الشرطة .

عندئذ قلت أنا بمنتهى الأدب :

حسناً ، اذن . لاتأخذ نوئيل ، فهو ضعيف ويمكن أن يتأذّى بسهولة . يضاف الى ذلك أن الذنب ليس ذنبه . فاذا أردت أن تأخذ أحداً فخذني أنا ـ لان الفكرة فكرتي أنا بالذات .

توقَّف اللَّورد توتنهام ، ثم قال :

كان عليكم أن تفكروا بهذه النتيجة .

كان نوئيل يبكي ويتلوّى طول الوقت ، وقد شحب وجهه حتى لم تبق فيه

قطرة دم . فقالت آليس :

آه ، اوجوك د ع نوئيل يالـورد توتنهـام الرحيم الطيب العـزيز . سيغمى عليه إن ظلّ على هذه الحال .. أدري ذلك .. فهو سريع الإغماء . آه ، ليتنا مافعلنا هذا ! دورا قالت إنّه عمل شرّير !

فقال اللّورد :

دورا عاقلة .

وفكّ أصابعه عن ياقة نوئيل فطوقت آليس عنق أخيها بذراعيها وراحت تخفف عنه ، لكنه ظلّ خائفاً ووجهه شاحِب شحوباً شديداً . ثم قال اللّورد توتنهام :

أتعطوني كلمة شرف أن لاتهربوا ؟

فأعطيناه كلمة شرف . فقال :

إذن ، اتبعوني .

وسار الى احدى المصطبات ، فتبعناه وتبعنا النبّاش وذيله بين رجليه - حالة الكلب حين يشعر بأنه ارتكب ذنباً . ثم جلس اللّورد توتنهام وجعل أوزوالد ودِكي وهوراس اوكتافيوس يقفون أمامه وقفة المذنب ، بينما سمح لكل من آليس ونوئيل بالجلوس ، وقال :

أنتم أطلقتم الكلب عليَّ ، وحاولتم أن تجعلوني أعتقد بأنكم أسرعتم لإنقاذي [illegible] ستأخذون نصف الباون الفضي مني . ان هذا السلوك هو الأشدّ .. لا ... بل قولوا لي ماغرضكم من ذلك ياسادة ... قولوا الحقيقة .

لذا وجدت نفسي مضطراً الى الاعتراف بأن فعلتنا أبعد ماتكون عن

الشهامة ، ولكني قلت له إنيَّ ماكنت سآخذ نصف الباون المكافـأة . فسألني :

إذن لم فعلتم هذه الفعلة ؟ أريد الصدق .

فقلت :

الآن بدأت أرى كم كانت الفكرة سخيفة ، وقالت دورا إنَّه عمـل مشين ، ولكننا لم ندرك هذا الّا بعد ارتكاب الخطأ . أردنا أن نستعيد أيام الرفاهية ، وقد ذكر في الروايات انك اذا انقذت سيداً عجوزاً من محنة مهلكة فإنَّه يجعلك واحداً من أولاده . واذا أردت البقاء عند والدك الحقيقي فإنَّه سيعطيك رأس مال لتعمل بالتجارة الى أن تصبح رجلاً ثرياً . ولمَّا لم تكن هناك محنة مهلكة ، فقد إستخدمنا «النباش» لهذا الغرض . وهكذا ......

شعرت بخجل شديد لم استطيع معه الاستمرار في الكلام : لقد بدا العمل الذي ارتكبناه حقيراً كل الحقارة . قال اللّورد توتنهام :

يالها من طريقة جميلة لاستعادة أيام العز والرفاهية .. عن طريق الخداع والاحتيال ! أنا أرتعب من الكلاب . لو كنت انسانـاً ضعيف الأعصاب لكانت الصدمة قد قتلتني . ماذا تظنون انفسكم ، ها ؟

رحنا نبكي كلنا باستثناء أوزوالد ، بينما قـال الآخرون أنـهُ بكى هو أيضاً . ومضى توتنهام قائلاً :

حسناً ، حسناً . أرى أنكم متأسفون . فليكن هذا درساً لكم ، ولن نتكلم في هذا الموضوع بعد . أنا رجل عجوز ، لكني كنت يوماً ما صغيراً مثلكم .

عندئذ زحفت أليس بجلستها على المصطبة حتى اقتربت من الـرجل فوضعت يدها على ذراعه : بدت أصابعها الصغيرة الوردية من خلال ثقوب قفازها الصوفي ، وقالت :

أعتقد أنك طيب جداً لانك سامحتنا ونحن حقاً متأسفون جداً جداً . إنمَّا أردنا أن نكون مثل اطفال الروايات ـ لكن حظنا ليس مثل حظهم . كل ما يفعلونه ينجح . لكن نحن متأسفون ، جداً ، جـداً . أدري أنَّ اوزوالد لايأخذ نصف الباون . إنني شعرت بالخجل حال ما قلت أنت هذه مكافأة من ولد عجوز وهمست في أذن هوراس .

بأنني أتمنىً لو لم نقم بهذه الفعلة . حينئذٍ وقف اللورد توتنهام فبدا مثل اللَّورد نلسـون في لوحـة «موت نلسـون» ، حليق الوجـه نبيل الملامح . وقال :

تذكروا دائماً ـ أن لاترتكبوا عملاً مشيناً أبداً ، سواءً من أجل المال أو من أجل أي شييء آخر في الدنيا .

فوعدناه بأن لاننسى ذلك مطلقاً . فرفع قبعتـه لنا تحيـة ورفعنا نحن قلانسنا ردّاً على تحيته . ومضى هو في طريقه وعدنا نحن الى البيت .. لم أشعر طيلة حياتي بمثل هذا الهوان ! قالت دورا : «لقد نبهتكم» ، لكننَّا لم نعر كلامها اهتماماً . ولم يؤثر فينا سوى حديث اللَّورد توتنهام عن الشهامة . انقطعنا عن الذهاب الى المرج اسبوعاً بكامله ، ثم مضينا الى هناك ولبثنا من قرب المصطبة بانتظار اللَّـورد . فلمَّا وصـل قالت لـه أليس :

أرجوك يالورد توتنهام .. لقد انقطعنا عن المجييء الى المرج لمـدة

اسبوع عقاباً لنا لأنك أخليت سبيلنا . وقد جلب كل واحد منا هدية لك إذا قبلتها فمعناه انك سامحتنا فعلاً .

فجلس على المصطبة وقدَّمنا له هدايانا . فقدم له أوزاوالد بوصلة قيمتها ستة بنسات ـ اشتراها بفلوسي أنا متقصداً ان أوزوالد يشتري أشياء مفيدة دائماً . تعطلت الابرة عندما كانت البوصلة عندي ، لكن اللُّورد توتنهام الذي كان أميرالاً ، لا يصعب عليه إصلاحها . وعملت له آليس علبة لأدوات الحلاقة مطرَّزة بوردة . واعطاه هوراس سكينه الصغيرة ـ نفس السكينة التي قطَّع بها أزرار أحسن بدلة لديه . وقدَّم له دِكي كتابه المفضل (أبطال البحرية) لأنه أفضل مايملك ، بينما أهداه نوئيل قطعة شعرية كتبها له خصيصاً ، يقول فيها :

عندما ينكِّس العار والخطيئة رأس الانسان .

كما يفعلان بنا الآن يملؤنا الخجل حزناً وألماً

لن نتصرّف بعد الآن تصرفاً غير شهم .

بدا الارتياح على اللُّورد توتنهام ، فشكرنا وتحدث معنا قليلاً وعندما ودَّعنا قال :

الجُّوراقَ تماماً ، أيها الزملاء . وتصافحنا .

وصار يحييِّنا بايماءة من رأسه كلما تقابلنا . فإذا كانت البنتان معنا (رفع قبعته بالتحية . إذن فهو لم يعد ينظر الينا على أننا أناس نفتقر الى الشهامة)

الفصل الحادي عشر



(العاشق القشتالي) *

يوم اكتشفنا فجأة أنّنا نملك نصف كراون (الكراون يساوي خمسة شلنات) ، قررّنا أن لابدَّ من تجربة طريقة دِكي لاستعادة أيام العز مادامت الفرصة لم تفتنا بعد ، ذلك أن وجود نصف كراون لدينا فرصة لاتتكرَّر . وعزمنا على أن لانضيع المزيد من الوقت في محاولات العمل في الصحافة او قطع الطرق وماشاكل ذلك ، بل نبادر الى طلب النموذج

(*) قشتالي : أحد ابناء مدينة قشتالة الاسبانية او منسوب اليها مثل اللغة والتراث الشعبي وغير ذلك .

«المترجم»

والتعليمات الخاصة باعلان لكسب باونين في الاسبوع في اوقات الفراغ . كنّا قد رأينا الاعلان في احدى الصحف من قبل ، وكانت تساورنا الرغبة دائماً في تجربة هذا المشروع ، ولكننا ماكنّا قادرين على توفير أجور البريد اللاّزمة . يقول الاعلان : «بإمكان أيِّ سيد أو سيدة الحصول بسهولة على باونين في الاسبوع خلال أوقات الفراغ . وللحصول على النموذج والتعليمات ارسل شلنين فتأتيك في البريد المسجل وان المراسلات سرِّية» . صفقة طيبة بالنسبة لنصف الكراون الذي تملكه دورا ، والذي جاءها هدية من «أمها في التعميد» . قالت إنها لاتمانع في اقراضه لـ «دِكي» بشرط أن يعيد المبلغ اليها قبل عيد الميلاد ، اذا كنّا واثقين من أن طريقة دِكي ستعيد الينا أيام العز . كانت تلك الشروط سهلة بالطبع . فالحصول على باونين في الاسبوع من العمل خلال ساعات الفراغ يجعلك قادراً على تسديد جميع ديونك بسهولة ، ويبقى لديك من المال مايزيد على المبلغ الذي بدأت به .

كان دِكي يعتقد دائماً بأن طريقته هذه هي الافضل لاستعادة أيام العز والرفاهية . وقد فرحنا لأن الفرصة أتيحت له أخيراً لتجربة هذه الطريقة ، وذلك لأنها تعني حصول كل واحد منّا على باونين في الاسبوع ولأننّا سئمنا من تكراره القول : «لماذا لا تجربون طريقة النموذج والتعليمات في أوقات الفراغ ؟» .

عندما اكتشفنا وجود نصف الكراون اسرعنا ننظر في اعلانات الصحيفة التي كان نوئيل قد جعل منها قبعة أميرال ولكن لحسن الحظ لم يمزق الاعلان الذي نبحث عنه . فاشترينا حوالة بريدية وطابعاً بقيمة

شلنين واتفقنا على اتفاق المبلغ الباقي في شراء شراب الزنجبيل احتفالاً بدخولنا عالم الأعمال . والتجارة .

أخذنا بعض الأوراق الانيقة من مكتب بابا وكتب دِكي الرسالة فوضعنا معها الحوالة والصقنا عليها الطابع وكلَّفنا هوراس بالقائها في صندوق البريد . ثم شربنا شراب الزنجبيل ولبثنا ننتظر النموذج والتعليمات وقد بدالنا كأننا انتظرنا طويلاً . وملَّ ساعي البريد رؤيتنا ونحن نركض اليه كلَّما جاء حيث نستوقفه في الطريق ونسأله .

ولكن في صباح اليوم الثالث جاءنا الرد . وكان عبارة عن رزمة كبيرة ، مغلقة ـ كما ورد في الاعلان . يعني ان الرزمه تحوي علبة أو صندوقاً . فقد وجدنا داخل الصندوق قطعاً من ورق المقوّى الصلب ، مضلعة مثل الواح الصفيح التي تسقَّف بها أقفاص الدجاج ، وكمية كبيرة من الاوراق ، بعضها مطبوع ، ووسط هذه الكومة كانت قنينة ، متوسطة الحجم سوداء مسدودة بقطعة فلّين ومختوم عليها بشمع أصفر .

وقفنا ننظر الى الصندوق ومحتوياته ، وراح البعض منا يقلب الأوراق المطبوعة ليرى ما الذي كتب عليها ، بينما ذهب أوزوالد يبحث عن مفتاح للفلّينة ليرى ما في داخل القنينة . فوجد المفتاح في أحد أدراج خزانة الأواني والصحون ـ بينما المفروض أن يكون في درج الجدار بغرفة الطعام . ولمَّا عاد كان الآخرون قد قرأوا اغلب الاوراق المطبوعة . فقالت دورا :

لاأظن المشروع حسناً ولا أرىٰ من المناسب أن نبيع الخمور . كما انه ليس من السهولة أن تبدأ فجأة ببيع أشياء لاتملك عنها أيَّة فكرة .

قالت آليس :

لاأدري . أعتقد أني أستطيع .

بدا عليهم الحزن جميعاً ، ولو أن أوزوالد تساءل كيف يمكن للمرء أن يحصل بهذه الطريقة على باونين في الاسبوع . قال دِكي :

حسناً . ماعليك سوى جعل الناس يذوقون ما في القنيّة . إنه نوع من النبيذ ـ اسمه «العاشق القشتالي» ـ وتغريهم بالشراء . ثم تكتب الى التاجر وتخبره بأن هناك من يريد شراء النبيذ . لتحصل على شلنين عن كل دزينة قناني تبيعها . فعليك اذن أن تبيع عشرين دزينة اسبوعياً لتحصل على الباونين . ولا أعتقد أننا نقدر على بيع كل هذه الكمّية .

قالت آليس :

قد لانستطيع في الاسبوع الأول ، ولكن كلمّا وجد الناس النبيذ جيداً زاد طلبهم عليه . وحتى لو حصلنا على عشرة شلنات في الاسبوع فتلك بداية طيبة ، أليس كذلك ؟

قال اوزوالد إنها فكرة طيّبة حقّاً . وقام دِكي باخراج الفلينة من فم القنينة بالمفتاح فتكسرت ودخلت نتف صغيرة فيها في النبيذ . وجاءت دورا بالقدح الطبي المؤشر بمقادير الجرعات ، فقرّرنا أن يأخذ كل واحد منا جرعة بقدر ملعقة الشاي لنعرف ماهو النبيذ ومـا مذاقـه . قالت دورا :

لاأكثر من ملعقة شاي ، مهما يكن طعمه لذيذاً . كانت دورا تتصرَّف وكأن القنينة ملكها ، لمجّرد أنها أقرضتنا المال اللاّزم . ثم صبَّت مقدار ملعقة شاي وشربته أولاً لأنها الاكبر سناً . فسألناها كيف هو ، ولكنها

لم تستطع الكلام في تلك اللحظة . بل قالت بعدئذٍ :

انه يشبه الشراب المقوّي الذي تناوله نوئيل في الربيع ، ولكن ربما كان طعم النبيذ الاسباني هكذا .

ثم جاء دور أوزوالد . فوجده حاراً يحرق الامعـاء ، لكنه لم يقـل شيئاً . وربما أراد أولاً أن يسمع : ما يقوله الآخرون . فقال عنه دِكي إنه شراب وحشي ، بينما قالت آليس إنَّ باستطاعة نوئيل ان يتذوق النبيذ قبلها .

أما نوئيل فقال عنه إنه شراب الآلهة ، لكنه ظل ينفخ واضعاً منديله على فمه ، ورأيت أنا كيف احتقن وجهه .

وأخذ هوراس اوكتافيوس جرعته فبصقها على النار في الحال . وكان ذلك تصرفاً سيئاً وعديم الذوق . وقد قلنا له هذا .

ثم جاء دور آليس فقالت :

نصف ملعقة شاي فقط يادورا . لايصح أن نستهلك النبيذ كلَّه .

وشربت الجرعة الصغيرة ولم تقل شيئاً . عندئذٍ قال دكي :

اصغوا إليَّ . هذا الشغل لايعجبني . لن أدور على الناس بائعاً هذا الشراب الشيطاني . لان الذي يريد القنينة يستطيع الحصول عليها . مارأيكم في اجراء قرعة ؟

وفازت آليس بالقرعة . فقالت :

أنا أعرف عيب هذا الشراب إنه يحتاج الى سكَّر .

وفي الحال انتبهنا جميعاً الى أن هذا هو عيب الشراب فعلاً . فجئنا بقطعتين من السكر وسحقناهما على أرض الغرفة بمطرقة خشبية حتى

تحوّلتا الى مسحوق ناعم وضعناه في القدح وسكبنا عليه مقدار ملعقة شاي من النبيذ فتغيَّر طعم النبيذ ولم يعد سيئًا للغاية . فقال دِكي :

ألا تلاحظون أنه يصبح طيب المذاق عندما تتعوَّدون عليه . أظنه شعر بالأسف لأنه استعجل في طرح اقتراح فكرة القرعة . قالت آليس :

بالطبع . لكن صار فيه طعم التراب . علينا أن نسحق السكَّر بعناية في ورقة نظيفة قبل وضعه في القنينة .

قالت دورا إننَّا سنخدع الناس عندما تجعل مذاق الشراب أفضل مما هو عليه في الواقع . لكن آليس قالت إن دورا تجعل دائماً من الحبَّة قبَّة وأن الأمر ليس فيه خداع بالمرَّة . ثم قالت :

لاحظي أني سأخبرهم ، بمنتهىٰ الأمانة ، عما فعلناه للنبيذ ولهم أن يفعلوا نفس الشيىء مع القناني التي يشترونها .

عندما سحقنا ثماني قطع أخرى من السكر بعناية داخل أوراق صحيفة نظيفة ووضعنا المسحوق في القنينة ورججناها جيداً ثم سددنا فوهة القنينة بسداد من ورق اسمر ـ غير ورق الصحف ـ حتى لاتتسرَّب سموم حبر الطباعة الى النبيذ وتقتل الناس . وأعطينا لكلبنا «نباش» جرعة صغيرة منه فلفظها من فمه بشدَّة وظل يعطس فترة طويلة . وصار ، بعدئذٍ ، يهرب ليختبىء تحت الأريكة كلما أخرجنا له القنينة .

سألنا آليس لمن ستحاول أن تبيع النبيذ فأجابت :

سأعرضه على كل من يأتي الى بيتنا . يمكننا أيضاً أن نحاول بيعه على ناس خارج البيت . علينا أن نحسب حسابنا جيداً . لان القنينة بقي فيها نصفها أو أكثر بقليل ونحسب حساب السكر أيضاً .

لم نشأ ان نخبر اليزا ـ لا أدري لماذا . اذ في ذلك اليوم اسرعت اليزا بفتح الباب ليخرج مسؤول الضرائب ورجل آخر معه جاءا بالخطأ الى بيتنا وهما يقصدان البيت المجاور . فلم تسنح الفرصة لآليس لأن تعرض عليهما نبيذ «العاشق القشتالي» . ولكن حوالي الخامسة مساء تسللّت أليزا خارجة في زيارة قصيرة لواحدة من صديقاتها كانت تعمل لها قبعة خاصة بالذهاب الى الكنيسة . وفي تلك الاثناء سمع طرق على الباب ، فأطلّت آليس من فوق سياج الشرفة لترى من الطارق . وانطلقت لتفتح الباب قائلة :

تفضل بالدخول .

قال الشخص الواقف عند الباب :

جئت لأرى أباك يا آنسة . هل هو في البيت ؟

فقالت آليس ثانية :

هلاّ تفضلت بالدخول ؟

عندئذٍ قال الشخص ـ الذي يبدو أنه رجل :

هو في البيت إذن ؟

لكن آليس ظلّت تقول : «هلاّ تفضلت بالدخول ؟» فدخل الرجل أخيراً بعدما مسح حذاءه بلبّادة المدخل . ثم أغلقت آليس الباب الخارجي . واذا بالزائر هو القصاب حاملاً مظروفاً بيده . لم يكن مرتدياً بدلته الزرقاء التي يلبسها اثناء العمل ، بل سروالاً عريضاً قصيراً من النوع الذي يشدّ عند أسفل الركبة . وتقول آليس إنه جاء على دراجة هوائية . قادت آليس الرجل الى غرفة الطعام ، حيث انتصبت قنينة النبيذ والقدح

الطبيّ على المائدة . وظل الباقون واقفين على السلّم ، بينما نزل أوزوالد . بحذر وراح يختلس النظر من فرجة الباب . قالت آليس بمنتهى الهدوء .
استرح من فضلك .
(وبعدها قالت لي إنها شعرت حينها بالسخف) . فجلس القصاب . ووقفت آليس ساكنة تماماً ولم تقل شيئاً ، بل راحت تعبث بالقدح الطبيّ ثم وضعت السدّادة الورقية في فوهة القنينة . فقال القصاب لمّا ملّ الصمت :
قولي للوالد رجاءً إنيّ أريد أن أحكي معه . فقالت آليس :
سيأتي في الحال ، على ماأعتقد .
ثم وقفت ساكنة ولم تنطق بكلمة واحدة . ولم تلبث أن شعرت بأنها تتصرف بطريقة حمقاء وانطلق هوراس يضحك . فرجعت اليه ووبّخته بهدوء شديد على ضحكه ولاأظن أن القصاب شعر بشيىء من ذلك . لكن آليس انتبهت وخرجت من ذهولها . وتكلمت فجأة بل راحت تتكلّم بسرعة كبيرة ولابد أنها كانت تحضّر ماستقوله . فأغلب ما قالته مأخوذ من التعليمات . قالت :
أودّ أن أسترعي اهتمامكم الى عينة (نموذج) من النبيذ الإسباني الموجود عندي الآن . نوع يسمى الـ . . كذا القشتالي أو غير ذلك . وبسعر زهيد لايساوي أبداً طعم النبيذ أو جودة نوعيته .
قال القصاب :
حسناً ... إنما أنا لم اسمع به قط من قبل !
فسألته آليس :

أتحب أن تذوق قليلاً منه ؟

فأجاب القصاب :

أشكرك شكراً جزيلاً ياآنسة . بالتأكيد .

فصبَّت له أليس بعضاً منه . ولما ذاق القصاب بضع قطرات ولعق شفتيه ظننًا أنه سيبدي إعجابه بالنبيذ ، لكنه لم يفعل . بل وضع القدح على المائدة كما هو (أعدنا النبيذ الى القنينة بعد ذهابه من باب الاقتصاد) وقال :

إسمحي لي ياآنسة .. أليسَ طعمُه حلواً أكثر من اللازم ؟

أعني .. بالنسبة للنبيذ الاسباني ؟

فقالت أليس :

النبيذ الأصلي ليس هكذا . ولو اشتريت منه دزينة فسوف تجده مختلفاً تماماً . نحن نفضله مع السكَّر . أتمنَّى ان تشتري بعض القناني .

سألها القصاب عن السبب فلبثت ساكتة بعض الوقت ثم قالت :

لامانع عندي من إخبارك : أنت نفسك رجل أعمال ، أليس كذلك ؟ نحن نحاول كسب زبائن لأننا نحصل بذلك على شلنين عن كل دزينة قناني . اي حصَّة ... شيىء من هذا القبيل .

قال القصاب . وهو ينظر الى ثقب كبير في سجَّادة الغرفة :

عمولة .. نعم ... فهمت

ثم تابعت أليس كلامها :

هناك أسباب ، كما تلاحظ ، لرغبتنا في استعادة ثروتنا بأسرع

مانستطيع .
قال القصاب ، وهو يتأمـل ورق الجدران العتيق الممـزَّق في بعض المواضع :
أفهم ذلك
وهكذا استمرت آليس تقول؛
- وهـذه تبدو طـريقة طيبـة . فقـد دفعنـا شلنـين ثمنـاً للنمـوذج والتعليمات . ويقول الاعلان أنك تستطيع ان تكسب باونين اسبوعيا بسهولة في أوقات الفراغ فقال القصاب :
أرجو بصدق أن تقدري ياآنسة .
وسألته آليس ثانية إن كان سيشتري بعض النبيذ ؟ فقال الشيري هو نبيذي المفضَّل .
فسألته آليس أن يتناول قليلا منه فقال :
لاياآنسة ، شكراً . هو نبيذي المفضل ولكنَّه لايلائمني .. إطلاقاً . وانما عندي عم يشربه . مارأيك في ان أطلب له نصف دزينـة كهديـة بمناسبة عيد الميلاد ؟ حسنا ياآنسة . هاك الشلن العمـولة عـلى أية حال .
واخرج من جيبه حفنة من النقود واعطاها منها شلنافقالت اليس :
ظننت أن تاجر النبيذ هو الذي يدفع العمولة .
فقال القصاب إنهم لايـدفعون عن نصف دزينـة . ثم قال إنـه لا يستطيع انتظار الوالد طويلا حبّذا لو تطلب اليس من والدها ان يكتب له . وعرضت عليه أن يحتسي قليلاً من النبيَذ . الاّ انّه قال شيئا من قبيل

لن أفعل ولو أعطوني العالم !» . ثم ودَّعته الى الباب الخارجي وعادت بالشلن تسأل :

مارأيكم :

فقلنا :

اول نجاح .

وقضينا ذلك المساء كلّه نتحدث عن ثروتنا التي بدأنا نستعيدها .

.لم يأت أحد في اليوم التالي . ولكن . جاءت في اليوم الثالث سيدة تطلب تبرعات لبناء ميتم لأطفال البحارة الموتى . رأيناها قادمة فذهبت مع اليس لاستقبالها . وعندما أوضحنا لها أننا لانملك سوى شلن واحد نريده لحاجة أخرى . سألتها اليس فجأة :

أتحبين بعض النبيذ ؟

فقالت السيدة . بادية الاستغراب :

شكرا جزيلا .

لم تكن سيدة شابة . كانت لابسة عباءة سميكة مطرّزة تمزّق التطريز في بعض المواضع فيها فظهرت من تحته بطانة العباءة . وكانت تحمل أوراقا مطبوعة ـ للدعاية ـ عن البحارة الموتى في حقيبة يد بالية من جلد الفقمة .

أعطيناها مايعادل ملعقة طعام من النبيذ في القدح الطبي . ماان ذاقته حتى هبّت واقفة بمنتهى السرعة ونفضت ثوبها واغلقت حقيبتها بشدة وقالت :

أيها الأطفال الشريرين الملاعين ! لماذا تحتالون عليّ بهذا الشكل ؟

ألا تخجلون من انفسكم ! سأكتب لوالدتكم عن هذه التصرفات .. أيتها الطفلة الفظيعة ! كنت سأتسمم ، لكن أمَّك ... فقالت آليس :

أنا شديدة الأسف . لكن القصَّاب استذوقه . وكل ماهنالك أنه حلو المذاق . أرجوك الَّاتكتبي لماما . لان بابا يحزن كثيراً عندما تأتيها رسائل .

وأوشكت آليس على البكاء . فقالت السيدة وقد بدا عليها الاهتمام :

ماذا تقصدين ، أيتها الطفلة الغبية ؟ لماذا [illegible] أن تتلقى أمك رسائل .. ها ؟

قالت آليس :

آه ، أنت ... !

وبدأت تبكي ثم خرجت وأغلقت باب الغرفة وراءها .

عندئذٍ قلت أنا :

والدتنا توفيت . والآن هلَّا ذهبت أرجوك ؟ نظرت اليَّ السيدة برهة ، ثم تغيرت ملامحها تماماً وقالت :

أنا متأسفة جداً . ماكنت أدري . لم أعد مستاءة من موضوع النبيذ . يمكنني القول انَّ اختك الصغيرة لم تقصد به الاساءة .

تلفَّتت حولها تتأمل الغرفة ، مثلما فعل القصاب ، وقالت ثانية :

ماكنت أدري . أنا متأسفة جداً .

لذا قلت أنا :

لابأس عليك .

وصافحتها مودعاً . لم نستطع ، بالطبع ، أن نطلب منها شراء النبيذ

بعد الذي قالته . لكني أعتقد أنها ليست من النوع السيىء من الناس . فانا يعجبني الناس الذين يعتذرون حين يتوجَّب عليهم الاعتذار ، وخصوصاً البالغين ـ فهم لايفعلون هذا الّا نادراً . أتصور أن هذا هو الذي يجعلنا نفكر بهم كثيراً .

بقينا ـ أنا وآليس ـ مهمومين بعد هذا فترة طويلة . وعندما عدت الى غرفة الطعام رأيت كم هي مختلفة عما كانت عليه في حياة أمي .. ونحن مختلفون ، وبابا مختلف .. وكل شيىء . أنا فرِح لأني لست مضطراً الى التفكير بهذا الموضوع كل يوم .

ذهبت الى آليس واخبرتها بما قالته السيدة . وانتظرت الى أن انتهت من بكائها فأعدنا قنينة النبيذ الى مكانها وقررنا أن لانبيع منه لمن يأتي الى بيتنا . ولم نخبر الآخرين بما قررناه ـ بل قلنا لهم انَّ السيدة لم تشترِ شيئاً منه . ثم خرجنا الى المرج . ومرَّ بنا بعض الجنود . وكان هناك عرض للدمىٰ . وعندما رجعنا الى البيت كنا في حالة نفسية أفضل .

علا الغبار القنينة حيث وضعناها . وكانت ستظل هناك حتىٰ تغطيها طبقات سميكة من الغبار ، لو لم يأت قسٌّ الى بيتنا أثناء غيابنا ـ انه [الأب بريستوف] ، قسّيسنا . كنا جميعاً نحبه ، ولا نفكِّر طبعاً ببيع النبيذ للناس الذين نحب لنحصل على باونين اسبوعياً في اوقات الفراغ . لكن هذا كان قسيَّساً آخر ، مجرَّد قسيس سائب . وسأل اليزا : ان كان الأطفال الأعزاء يرغبون في الذهاب الى مدرسته يوم الأحد . نحن نقضي عصر الأحد مع الوالد دائماً . ولكن بما أنه ترك اسم كنيسته مع أليزا ، طالباً منها أن تدعونا للذهاب ، فكرنا بأن من الواجب أن نزوره ، لمجرَّد

أن نبين له أننا مشغولـون عصر كل يـوم أحد . كمـا فكرنـا بأن من المستحسن أن نأخذ النبيذ معنا . فقالت أليس :

ـ لن أذهب مالم تذهبوا كلكم أيضاً . ولن أتكلّم عنكم .

بينما قالت دورا إنَّ من رأيها ألَّا نذهب فسخـرنا من هـذا «الرأي» ! وانتهي الأمر بأن جاءت معنا ، وأنا سعيد لأنها فعلت ذلك .

قال أوزوالد إنّه سيتولّى الكلام إذا أراد الآخرون . وكان قد حفظ مايريد قوله من أوراق التعليمات المطبوعة .

قصدنا مقر القس في وقت مبكر من عصر يوم الآحد وقرعنا جرس الباب . كان بيتاً جديداً مبنياً بالآجر الأحمر وليس في الحديقة المحيطة به شجرة واحدة ، بل مجرَّد تراب وحصى شديد الاصفرار . كان كل شيىء نظيفاً وجافاً . ولقد كنَّا على وشك ان نقرع الجرس عندما سمعنا أحداً في الداخل ينادي : «جين ! جين !» . فقلنا في انفسنا إننا لسنا [جين] بأية حال من الاحوال . كان نوعاً من الاصوات جعلنا نرثي لحال البنية .

فتح الباب وظهرت أمامنا خادمة بثوب أسود أنيق جدا شدت عليه صدرية بيضاء . ولاحظنا أنها كانت تشد حزام الصدرية وهي قادمة . كانت محمرَّة الوجه . وأعتقد أنهَّا [جين] .

سألناها إن كان باستطاعتنا مقابلة السيد مالو ـ القسيس ـ فقالت الخادمة إنةَّ كان مشغولاً باعداد الموعظة . ولكنها سترى إن كان ذلك ممكناً . فقال أوزوالد :

لابأس . هو سألنا أن نأتي .

فادخلتنا البيت جميعاً وأغلقت الباب الخارجي وتقدمتنا الى غرفة نظيفة ومرتبة للغاية فيها مكتبة حافلة بكتب مجلَّدة بقماش أسود ولصقت عليها عناوين مكتوبة على قصاصات ورق أبيض . وكانت هناك بعض الصور القبيحة وأرغن أرضي صغير . وكان السيد مالو مستغرقاً في الكتابة على منضدة ذات أدراج ، ينقل عن كتاب . كان رجلاً قصير القامة متين البنيان يلبس عوينات .

قلب الأوراق التي كان يكتب فيها حين دخلنا ـ ولا أدري لماذا فربما كان منزعجا . فقد سمعنا ونحن في الخارج صوتاً يعنِّف جين أو غيرها . أرجو أن لايكون ذلك لأنها سمحت لنا بالدخول ، ولو أني مازلت أشك . قال القسيس :

ـ حسنا . ماهذا الذي يجري ؟

قالت دورا :

ـ أنت طلبت منّا المجيىء ، بشأن مدرستك الصغيرة ليوم الأحد . نحن من عائلة باستبل في درب لويسهام .

قال :

ـ أوه ، أه ، نعم . هل انتظر مجيئكم غداً ؟

رفع قلمه وصار يقلبه بيده . ولم يطلب إلينا الجلوس ، الّا أنَّ البعض منا جلس . قالت دورا :

ـ نحن نقضي عصر الأحد مع الوالد دائماً . لكننا أردنا أن نشكرك لتلطفك بدعوتنا الى هنا .

وقال أوزوالد :

ـ ونود أن نسألك شيئاً آخر وأعطى اشارة الى آليس لتصب قليلاً من النبيذ في القدح الطبيِّ . ففعلت ذلك وراء ظهر أوزوالد بينما هو يتكلَّم .

قال القسيس : وهو ينظر الى ساعته :

ـ وقتي محدود . (أو ضيِّق) .

وغمغم بكلام غير واضح ثم مضى يقول :

ـ قل لي ماذا يقلقك ، ايها الرجل الصغير ، وساحاول أن أساعدك بكل ما في وسعي . ماذا تريد ؟

فاختطف اوزوالد القدح من يد أخته ودفع به الى الرجل قائلا :

ـ أريد رأيك بهذا الشراب .

سأل الرجل :

ـ بهذا ... ماهو ؟

قال أوزوالد :

ـ الكمية قليلة ، لكنها تكفي لأن تذوقها .

وكانت اليس ، لفرط اضطرابها ، قد صبّت في القدح مايقرب من النصف . قال القسيس وهو يتناول القدح

ـ كمية قليلة ؟

فمضى اوزوالد يقول :

ـ اجل . فرصة نادرة . لذيذ النكهة ، حلو المذاق وتدخّلت اليس لتضيف الى الكلام كعادتها :

ـ طعمه يشبه حقا ، بعض انواع الجوز البرازيلي . نقّل القسيس نظراته بين اليس واوزوالد ، فيما راح اوزوالد . يتلو ماكان قد حفظه من

أوراق الدعابة ، بينما ظل القسيس ممسكاً بالقدح بعيداً عن وجهه حتى كأن فيه عدوى زكام :

ـ إنه من نوعية لم تعرض من قبل بمثل هذا السعر ...
شراب الـ «الآمورو المعتّق اللذيذ» ... ما اسمه ؟

فقال هوراس :

ـ آموروليو .

فردّ عليه أوزوالد :

ـ العاشق ... هوراس .. أنت أسكت . (العاشق القشتالي) . النبيذ الحقيقي لما بعد الغداء .. منعش وكذلك ...

قال السيد مالو ، وهو يبعد القدح عن وجهه اكثر من ذي قبل :

ـ خمر ؟

وأضاف بصوت عميق ورنّان (أظنه يتكلّم كما يفعل في الكنيسة) :

ـ ألا تعرفون ؟ ألم تتعلموا أبدا أنّ شرب الخمر والكحول ـ أجل .. و «البيرة» هو الذي يجعل نصف بيوت انكلترا تعجّ بالاطفال التعساء والآباء والامهات البائسين ؟

فقالت أليس بلهجة قاطعة :

ـ ليس الامر كذلك لانك يجب ان تضع فيه سكرًا .. ثماني قطع مثلا وان ترج القنية . وكلنا أخذنا منه اكثر من ملعقة شاي ولم يمرض أحد منا قط ان شيئا اخر هو الذي سبّب الاذى لهوارس أوكتافيوس إنها حبّات البلّوط التي عثر عليها في المتنزه ، على الارجح .

استولى الذهول على رجل الدين ولبث حائرا لايدري ماذا يقول .. و في

تلك اللحظة انفتح الباب ودخلت سيدة . كانت تضع على رأسها قبعة بيضاء بشرائط وزهرة بنفسجية قبيحة . كانت طويلة القامة تبدو قوية البنية على نحافتها . وأعتقد أنها كانت تنصت من وراء الباب . وهنا تساءل القس :

ـ ولكن لماذا .. لماذا جئتم بهذا السائل الكريه ، هذه اللّعنة التي حلّت في بلادنا ، إليّ أنا لأتذوقه ؟

فقالت دورا ، التي لاتميز مطلقاً متى تكون اللعبة قد انتهت :

ـ فكّرنا بأنك قد تشتري بعضاً منه . اذ جاء في الروايات ان راعي الكنيسة يحبّ قنينة نبيذ الـ «أولد بورت» . وهذا الشيري الجديد لايقلّ عن ذاك جودة ـ مع السكّر ـ بالنسبة لمن يجب الشيري . واذا اشتريت دزينة منه استطعنا نحن أن نكسب شلنين .

هتفت السيدة (صاحبة الصوت المخيف !) :

ـ رحمتك يا آلهي ! مخلوقات صغيرة واطئة شريرة !

أليس لديهم من يعلمهم شيئاً أفضل ؟

فنهضت دورا وقالت :

ـ لا ، لسنا تلك المخلوقات التي تتحدثين عنها . لكننا أسفون لأننا جئنا الى هنا نتلقىّ شتائم . نحن نريد أن نعيش مثلما يعيش السيد مالو . كل ما هنالك أنّ أحداً لايصغي إلينا لو ألقينا المواعظ مثله . لذلك لافائدة لنا من أخذ المواعظ من الكتاب المقدس كما يفعل .

كان ذلك كلاما ذكيا من دورا ، ولو أنّ فيه خشونة . ثم قلت أنا لعلّ من الافضل أن نذهب . فقالت السيدة :

ـ أعتقد ! .

ولكن حين بدأنا نلفُّ القنينة والقدح الطبيَّ تمهيداً للذهاب ، قال رجل الدين :

ـ لا ... يمكنكم تركها هنا .

وقد أقلقنا بقاؤها هناك بدرجة كبيرة .

عدنا الى البيت مشياً على الاقدام بسرعة فائقة ، ولم نتكلَّم كثيراً في الطريق . وذهبت البنتان الى غرفتهما رأساً . وعندما ذهبت اليهما لأخبرهما بإعداد الشاي والفطائر وجدت دورا تبكي بشدة وآليس تحتضنها وتخفِّف عنها . أخشى ان يكون هذا الفصل حافلاً بالبكاء ، ولكن ماذا بوسعي أن أفعل ! فالبنات ميَّالات الى البكاء أحياناً . وأظن أن هذه طبيعتهن ، وعلينا ان نرثي لحالهن . كانت دورا تدمدم :

ـ لافائدة . كلكم تكرهونني ، وتعتبرونني سخيفة وفضولية ، بينما انا أحاول أن أفعل الشيىء الصحيح ... آه ، أنا أحاول أوزوالد ، اخرج من هنا ولا تأت ثانيةً لتضحك عليَّ !

فقلت :

ـ انا لااضحك عليك ياإختاه . لاتبكي يافتاتي الكبيرة . لقد علَّمتني ماما أن أنادي بـ «أختاه» مذ كنا صغاراً قبل ولادة بقية إخوتي ، ولكني ماعدت أناديها هكذا بعدما كبرنا ، الَّا قليلاً . مسَّدت على شعرها فأراحت رأسها على يدي ، بينما ظلت متشبثة بآليس . كانت تتكلَّم بلهجة هي بين الضحك والبكاء ، كما يفعل الناس حين ينفعلون فيقولون اشياء لايقولونها في الاحوال الاعتيادية :

ـرحماك ، رحماك ياألهي . أنا أحاول ... أحاول . عندما توفيت ماما قالت : «دورا ، إعتني بالآخرين وعلّميهم حسن الاخلاق وأبعديهم عن المتاعب واجعليهم سعداء . قالت : «إعتني بهم لأجلي ياعزيزتي دورا» . وحاولت ... وكلكم تكرهوني لأني حاولت . واليوم تركتكم تفعلون مافعلتم ولو أنيَّ كنت أعلم طول الوقت أنها فعلة سخيفة .

أمل ألّا تعتبروني شخصاً قليل الفطنة . وهنا قبّلتُ (دورا) مطيبا خاطرها . فالبنات يحببن ذلك . ولن أتهمها بعد الآن بالاستبداد لأنها الأخت الكبرى . وقلت لها كل هذا ، ولو أني اكره هذا النوع من الاحاديث . ولكن لابدَّ لي من الاعتراف بأنيَّ قسوت عليها . لن أفعل هذا ثانية ، فهي فتاة كبيرة طيبة . طبعاً ماكنا نعلم من قبل بما قالته ماما لها وماكنّا سنضايقها كما فعلنا حتى الآن . لم نخبر الصغار بالأمر . وانمّا طلبت من أليس أن تخبر دِكي . وقررّنا نحن الثلاثة أن نخبر الآخرين بما حصل إذا دعت الضرورة .

وهكذا نسينا موضوع النبيذ . ولكن في الساعة الثامنة دقَّ بابنا ، فذهبت اليزا لتفتح الباب واذا بالقادم الخادمة المسكينة [جين] ، خادمة القس . حاملة رزمة ملفوفة بورق اسمر ومعها رسالة . وبعد ثلاث دقائق استدعانا بابا الى مكتبه .

رأينا على المنضدة الرزمة مفتوحة وظهرت منه قنينة النبيذ والقدح الطبيَّ . وكانت في يد الوالد رسالة ثم أشار الى القنينة وتنهَّد وقال :

ـ ماذا كنتم تفعلون هذه المرَّة ؟

كانت الرسالة تحمل كتابة ناعمة بحبر أسود تغطّي أربع صفحات

كبيرة .

تكلَّم دكي أولا فأخبر الوالد بالحكاية كلها ، بالقدر الذي يعرفه ، لأننا ـ أليس وأنا ـ لم نخبره بحكاية أرملة البحَّار .

بعدما فرغ دكي من قصته سألت أليس الوالد إن كان رجل الدين قد كتب يقول إنه سيشتري دزينة من شراب الشيري في كل الأحوال ؟ قائلة انَّ النبيذ مع السكر ليس سيىء المذاق . فأجاب بالنفي ، قائلاً إنهَّ لايعتقد بان رجال الدين يستطيعون شراء مثل هذا النبيذ الغالي . ثم أعرب الوالد عن رغبته في ان يذوق النبيذ فأعطيناه كل ماتبقى في القنينة . وذلك لأننَّا ، ونحن عائدون الى البيت ، كنَّا قد قرَّرنا ترك محاولة كسب باونين اسبوعيا في وقت الفراغ .

وما أن ذاق بابا النبيذ حتى فعل مثلما فعل هوراس أوكتافيوس يوم تناول منه مقدار ملعقة شاي . لكننَّا لزمنا الصمت . ثم راح يضحك حتى ظننت أنه لن يتوقف .

أعتقد أن الشيري هو السبب ، لأني متأكد من أنيَّ قرأت في مكان ما بأن «الخمر يبهج قلب الانسان» . لقد شرب الوالد قليلاً منه فقط ، وهذا يدلُّ على أنهَّ نبيذ جيد لما بعد الغداء . فهو منعش و ... نسيت بقيَّة الإعلان

قال بعدما فرغ من الضحك :

ـ حسناً ياأطفال . لاتفعلوا هذا ثانية . لان سوق الخمور مكتظةً بالتجار والموزعين . وأعتقد أنكم وعدتم باستشارتي قبل العمل في التجارة . أليس كذلك ؟

فقال دكي :

-تقصد قبل شراء بضاعة . لكن هذه الصفقة على أساس (العمولة) فقط .

فضحك الوالد ثانية . أنا سعيد بحصولنا على نبيذ (العاشق القشتالي) ، لأنه جعل بابا يبتهج ويضحك . إذ لايمكنك أن تجعل بابا ، يضحك دائما مهما بذلت من جهود . حتى لو ألقيت نكاتا أو أعطيته جريدة فكاهية .

الفصل الثاني عشر



(نبل أوزوالد)

ان الجزء المتعلق بالنبل في الحكاية يأتي في النهاية . ولكنك لا يمكن ان تفهمها الّا اذا عرفت كيف بدأت . لقد بدأت الحكاية ، كما هي الحال مع كل حكايات تلك الأيام ، بالتنقيب عن الكنز .

تركنا ، بالطبع ، فكرة العمل في التجارة حال ما وعدنا والدي باستشارته في هذه الامور ولا افهم كيف ولكن الحديث مع الكبار حول موضوع ما يجعل حتى اشجعنا واقدرنا على الكلام يعجز عن بيان قيمة ذلك الموضوع .

نحن لا نمانع في ان يتدخل عمّ الجار آلبرت ، احياناً في امر نقوم به او في حديث بيننا ، لكننا سعداء لانه لم يطلب منّا قط وعداً بان نستشيره في اي أمر من الامور . ومع ذلك وجد اوزوالد ان الوالد كان محقاً في طلبه كل الحق . واحسب اننا لو كنا نملك مئة الباون ودفعناها ثمناً لحصة في تجارة بيع العلامات التجارية الرابحة ، لكنّا اكتشفنا بعد فوات الاوان أنّنا ارتكبنا خطأ فادحاً ان بابا يقول هذا وهو لابد يعرف الامور احسن منّا ، كانت افكار كثيرة تدور في اذهاننا في تلك الايام لكنها تواجه صعوبة التنفيذ دائماً . من ذلك فكرة هوراس اوكتافيوس في انشاء لعبة بولنغ من جوز الهند في هذا الجانب من المرج . حيث لا يوجد مثيل لهذه اللعبة . لم تكن لدينا عصي ولا كرات من خيوط الصوف . بينما رفض البقال . اعطاءنا اثنتي عشرة دزينة من جوز الهند الا بموافقة خطية من الوالد ولما كنا لا نريد استشارة بابا في هذا الموضوع قررنا الغاء الفكرة وعندما البست اليس كلبنا «نباش» بعض ثياب الدمى وعزمنا جميعاً على تعليمه الرقص على موسيقى ارغن محمول ، توقفنا عن المشروع حينما تذكر دِكي انه سمع مرة بان سعر الارغن سبعمائة باون . هذا سعر ارغن الكنيسة الكبير بالطبع ، ولكن حتى الارغن الصغير الذي يقوم على ثلاث ارجل لا يباع عادة بشلن وسبعة بنسات ، وهو ما كنا نملكه حين خطرت هذه الفكرة على بالنا ، لذا صرفنا النظر عنها هي الاخرى .

في يوم ممطر رطب كما أذكر ، كان عشاؤنا من مرق لحم الضأن المفروم كنت أعتقد أن الآخرين سيتركون قطع اللحم في الصحون لو لم يقل اوزوالد انه طبيخ لذيذ من لحم غزال احمر اصطاده ادوارد .

وسرعان ما تحولنا الى «اطفال الغابة الجديدة» وغدا لحم الضأن الذ من ذي قبل فليس في ذهن اي من اطفال الغابة الجديدة لحم صيد يمكن ان يكون سيء الطعم .

بعد العشاء سمحنا للبنتين باقامة حفلة شاي للدمى بشرط ان لا تنتظرا منّا غسل الاكواب والصحون . وبينما كنّا نشرب آخر ما في الأكواب من الشاي ـ الذي كان شراب السوس ـ قال دِكي :

ـ هذا يذكّرني بشيء .

فسألناه :

ـ بماذا ؟

أجاب دكي في الحال ، بينما فمه مملوء بالخبز المنقوع بشاي الحفلة . ليس حسناً ان تمسح فمك بظاهر كفّك بل بواسطة منديلك ، اذا كان لديك منديل . لم يفعل دِكي هكذا ، بل قال :

ـ لعلكم تذكرون يوم بدأنا البحث عن كنز قلت لكم حينذاك إنّي فكرت بمسألة . لم استطع أن أحكي عنها لأنّي لم أفرغ من التفكير بها .

قلنا :

ـ أجل نذكر

قال :

ـ حسناً ، شراب السوس هذا ..

فقالت آليس برقّة :

ـ الشاي .

قال ، وباله مشغول بما كان ينوي ان يقوله :

ـ طيبّ .. الشاي إذن .. جعلني أفكّر بـ ..
لكن نوئيل قاطعه صائحاً :
ـ أقول : لننته من حفلة الشاي العتيقة هذه ونعقد مجلساً حربياً .

وهكذا استخرجنا الاعلام والسيف الخشبي والطبل وراح اوزوالد يقرع الطبل بينما انصرفت البنتان الى غسل الاكواب والصحون الى ان جاءت اليزا لتقول ان احد الاسنان يؤلمها بجنون ويطعن في اعصابها مثل طعن السكين فمضى اوزوالد في الحال لانه لا يرد لك طلباً ابداً اذا كلمته بأدب .

وحين فرغنا من تغيير ثيابنا جلسنا حول نار مخيم اشعلناها وبدأ دِكي الحديث مرة اخرى :

ـ كل واحد في العالم يريد الفلوس بعض الناس يحصلون عليها وان الناس الذين يكسبون الفلوس هم الذين يملكون بصيرة ويفكرون بالامور وانا فكرت بأمر واحد .

سكت دِكي وراح يدخّن غليونه بهدوء ـ نفس الغليون الذي ننفخ منه فقاعات الصابون في الصيف وظل سليماً حتى الان ـ ونحن نضع فيه اوراق الشاي عادة بدل التبغ في مثل هذه المناسبة ، ولا نسمح للبنات بالتدخين ابداً . فليس صحيحاً ان تسمحْ للفتيات بالتدخين وذلك لان الغرور يصيبهن الى حد كبير اذا سمحت لهن بفعل كل ما يفعله الرجال قال اوزوالد :

ـ هيا ، أخرج الجوهرة .

ـ الاحظ ان القناني الزجاجية تكلف بنساً . هوراس اذا تجرأت على

الضحك ارسلتك تجول في الشوارع تبيع القناني العتيقة ، ولا تحصل على اية حلوى الا من ثمن القناني التي تبيع ، انت ايضاً يانوئيل .
فبادرت آليس تقول :
ـ نوئيل لم يكن يضحك ساخراً هو يبدو هكذا لانه مهتم جداً بما تقول . تأدب ياهوراس ولا تقم بهذه الحركات . استمر ياعزيزي دِكي
فاستأنف دِكي الحديث .
ـ لابدّ أنّ مئات الملايين من قناني وزجاجات الادوية تباع سنوياً . ولأنّ الادوية تختلف والامراض تختلف فان «آلاف القناني تستهلك يومياً» فاذا افترضنا ان الفي قنينة اوزجاجة تفرغ يومياً وهذا على اقل تقدير ، فالكميات كبيرة جداً والناس الذين يبيعون هذه القناني يربحون منها اموالاً طائلة لان سعر القنينة شلنان وتسعة بنسات والكبيرة منها ثلاثة شلنات . ونصف الشلن ، بينما لا تكلف القنينة مثل هـذا الثمن كما قلت :
فقالت دورا :
ـ الدواء هو الذي يكلف لاحظ كم هو غـالٍ العلك المحـلّي أو أقراص النعناع عند العطار .
فقال دِكي موضحاً :
ـ لأن طعمها لذيـذ اما الاشيـاء الكريهـة فليست غاليـة لاحظي كم تستطيعين ان تشتري من الكبريت ببنس واحد ، وكذلك الشبّ نحن لا نضع الاشياء اللذيذة في الادوية عادة .
ثم مضى يحكي لنا كيف اننا عندما نخترع ادوية نكتب الى محـرّر

الجريدة حول الموضوع وسينشر هذا الخبر في جريدته وسيبعث الناس بأثمان الدواء . وعندما يشفون من امراضهم سيكتبون الى الجريدة يمتدحون زيوتنا ومراهمنا التي شفتهم من امراضهم بعدما يئسوا من علاجها .

قاطعته دورا :

ـ بلا دهون ومراهم . هذه ادوية مزعجة .

وايدتها آليس فقال دِكي لا يقصد ذلك وانما ادوية في قناني وزجاجات والان وبعد ان تمت تسوية الموضوع لم نجد فيه آنذاك نوعاً . من العمل بالتجارة الّا بعد ان بين لنا عم البرت الحقيقة وشعرنا لذلك بأسف شديد .

كان همنا منصرفاً الى ابتكار ادوية . قد تتصورون المسألة سهلة ، بسبب اعلانات الأدوية الكثيرة التي تشاهدونها في الجرائد ، فهي اصعب من ذلك بكثير كان علينا اولاً ان نحدد نوع الامراض التي نريد معالجتها . ونشبت بيننا مناقشة حامية ، كما في البرلمان .

دورا ارادت شيئاً يطرّي البشرة ويجعل الوجه ساحراً ولكنّنا تذكرنا كيف التهب وجهها وتشققت بشرتها حين استعملت صابون (روزابيللا) الذي قالت عنه الاعلانات انه يجعل أشدّ الوجوه خشونة في طراوة الحرير فاقتنعت وتراجعت عن طلبها . واراد نوئيل ان نصنع الدواء اولا ثم نبحث عن المرض الذي يعالجه لكن دِكي خالفه في الرأي قائلاً ان الادوية اكثر من الامراض واذن فمن الافضل ان نختار مرضاً معّيناً لكي ننتج له الدواء اللاّزم .

اما أوزوالد فقد فضل الجروح ، وأنا ما زلت اعتبر هذا احسن اقتراح ، لكن دِكي قال :

- أين نجد الجروح ، وخاصة الآن بعدما انتهت الحروب اننا لن نبيع قنينة واحدة في اليوم !

تخلى اوزوالد عن الاقتراح من باب الذوق ، لان فكرة قناني الادوية هي فكرة دِكي . واراد هوراس اوكتافيوس انتاج دواء لمعالجة هذا الشعور بالضيق الذي يجعل الوالدين يعطيان الطفل مسّهلاً ، فأوضحنا له ان البالغين قلما يشعرون بمثل هذا الضيق حتى لو اكلوا كثيراً فاقتنع وسكت ثم قال دِكي إنّه لا يهتم قيد شعره بنوع المرض الذي نختاره إنّما المهم عنده ان نسرع بالاتفاق على اختيار مرض ايّاً كان فقالت آليس :

- يجب أن يكون من الامراض الشائعة وان يكون الدواء محدداً لا مثل اوجاع الظهر ولا مثل الادوية التي تقول الاعلانات انها تعالج مئات الامراض ما هو اكثر الامراض انتشاراً .

فقلنا جميعاً في الحال :

- الزكام

وهكذا استقر الامر على نوع المرض ثم كتبنا اسم الدوام الذي سيوضع على القناني والزجاجات والامراض التي يعالجها . كانت الورقة التي كتبنا عليها اسم الدواء وتفاصيل الامراض كبيرة على قنينة خل فارغة اخترناها لهذا الغرض لكننا كنّا ندري ان العلامة ستكون اصغر من ذلك بكثير عند طبعها بالمطبعة . وجاءت العلامة على الشكل التالي :

(دواء باستبل)
العلاج الاكيد للزكام
لمعالجة السعال والربو وضيق التنفس
وجميع الامراض الصدرية
جرعة واحدة تشفيك في الحال
قنينة واحدة تقضي على الزكام
وخصوصاً القنينة ذات الحجم الكبير
ثمنها ثلاثة شلنات وستة بنسات
تجنب الادوية المغشوشة
سارع الى طلب الدواء ـ من المنتجين مباشرة
انتاج
د ، أو ، ر ، أ ، ن ، هـ أو باستبل
١٥٠ شارع لويسهام
لندن / القطاع الجنوبي الشرقي
(ندفع بنساً واحداً عن كل قنينة فارغة)
تعاد الينا

* * *

كانت الخطوة التالية ، بالطبع ان يصاب احدنا بالزكام ليجرب الدواء وكلنا اردنا ذلك لكن الفكرة كانت فكرة دِكي وقال إنه أحق من غيره بدخول التجربة فتركناه يفعل وفي نفس الوقت نزع فانيلته الصوفية . وفي اليوم التالي وقف في العراء غير مرتد سوى رداء النوم ، ثم نقعنا له

قميصه بالماء قبل ان يلبسه ولكن كل ذلك ضاع سدى .
يقولون ان اي واحد من هذه التصرفات يسبب الزكام ولكن لم يحصل شيء من هذا القبيل .

عندئذ انطلقنا جميعاً الى المتنزه هناك غطس دِكي في البركة بثيابه وحذائه ولبث في الماء اطول فترة ممكنة ، وكان الجو بارداً ، ووقفنا نشجعه . وعاد الى البيت بثياب مبللة . والجميع يقولون ان الانسان يصاب بالزكام حتماً في مثل هذه الحالة ، ولكن لم يحصل شيء سوى تلف حذائه بالماء . بعد ذلك بثلاثة ايام بدأ نوئيل يسعل ويعطس فاحتج دِكي . فقال نوئيل :

ـ ليس ذنبي . كان المفروض ان تصاب انت بالزكام وأنجو أنا منه .
وقالت آليس انها كانت تدري ان نوئيل سيصاب بالزكام عندما وقف عند البركة يشجّع دِكي .

رقد نوئيل في الفراش وبدأنا نحن بتحضير الادوية اسفنا لانه اصيب بالزكام ولكنه كان مستمتعاً بدخول التجربة .

حضّرنا ادوية كثيرة فاعدت آليس شاياً من الاعشاب الطبية مع الماء والملح ثم اضافت اليها قليلاً من البقدونس . ان اوزوالد يعتقد جازماً بأن البقدونس ليس من المفروض ان يؤكل وحتى الببغاوات تكره البقدونس كرهاً شديداً وأعتقد بأنه لا يلائم صحّة نوئيل . والظاهر أن دواء آليس لم ينفع في معالجة الزكام إطلاقاً .

كان عند أوزوالد مقدار لا بأس به من الشّب ، وقليل من زيت التربنتين ، الذي يعرف الجميع كم مفيد لعلاج الزكام وقليل من السكر

وبعض اليانسون . كان أوزوالد قد وضع هذا الخليط مع بعض الماء في قنينة ولكن إليزا كانت قد رمت بالمواد في كيس الزبالة ، ولم تكن عندي أيّة فلوس لاشتري غيرها .

وطبخت له دورا بعض انواع العصيدة التي قال نوئيل عنهـا إنها خففت من اوجاع صدره ، ولكن ما فائدة العصيدة ؟
اذ لا يمكنك وضعها في قناني وبيعها على أنّها دواء .. انه عمل غير نزيه . ولن يصدّقنا الناس .

وقام دِك باعداد مزيج من عصير اللّيمون والسكر وقليل من اوراق ورد لسان الثور (آذان الدبّ) الجافة وصبّ عليه ماء حاراً فصار شراباً دافئاً حسناً شرب منه نوئيل قليلاً وأعجبه مذاقه . أمّا فكرة نوئيل نفسه فكانت شراب السوس ، فوافقناه على اقتراحه ، ولكن شراب السوس كان ذا لون وطعم لا يساعدان على تعبئته في قناني وبيعه بسعر مناسب .

أعجب نوئيل كثيراً بدواء هوراس اوكتافيوس وكان ذلـك إعجابـاً سخيفاً ، إذ لم يكن الدواء سوى أقراص نعناع مذابة في ماء حار مع قليل من صبغة الكوبالت التي اضفت عليه لوناً ازرق ولم يكن في ذلك اي ضرر لأن علبة الوان هوراس من النوع الفرنسي الذي يحمـل عبارة «صبغة غير سامة» ويعني أنك تستطيع أن تبلل الاقلام بلسانك دون خوف من التسمم .

كانت اصابة نوئيل بالزكام مسألة طريفة وممتعة فقد اشعلنا له النار في غرفته التي تؤدي الى غرفتي دِكي وأوزوالد ، وصارت البنتان تقرآن له بصوت مسموع طوال النهار لتسليته وهما لا تفعلان هذا لك حين

تشفى من مرضك كان بابا قد ذهب الى (ليفربول) لانجاز بعض الاعمال وعمّ آلبرت في (هاستنغز) كنا سعيدين لهذا لأنه يعطينا الفرصة لتجربة كل الادوية ، ولاسيما أن البالغين يتدخلون في الصغيرة والكبيرة وكأنّنا نعطي نوئيل مادة سامّة !

استمر الزكام واشتد اذاه على رأس نوئيل ، ولكنه ليس من النوع الذي يجبر الانسان على استعمال الكمادات والبقاء في السرير ولقد طال الزكام شديداً على رأس نوئيل لمدة اسبوع وحدث ان تعثّر اوزوالد بآليس على درجات السلّم فوجدها تبكي .

قال :

ـ لا تبكي ، ياسخيفة انك تدرين أنّني لم أسبّب لك أذى كنت سأشعر بالأسف الشديد لو أني آذيتها ، ولكن ليس صحيحاً ان تجلسي على درجات السلّم في الظلام وتجعلي الناس يتعثرون بك اثناء صعودهم او نزولهم وتذكري انهم يتألمون كثيراً اذا سبّبوا لك شيئاً من الاذى . قالت آليس :

ـ آه يا أوزوالد ، ليس هذا هو السبب . لا تكن لئيماً . أنا بائسة للغاية فارحمني .

فمسح اوزوالد على رأسها بحنان وطلب منها أن تسكت فقالت :

ـ أنا أبكي لحال نوئيل لاني ارى المرض قد اشتد عليه وان البحث عن دواء شيء حسن ، ورغم أنّه مريض فان اليزا لن تبعث في طلب الطبيب بل تقول هذا مجرد زكام كما أعرف أنّ اجور الطبيب باهظة وقد سمعت بابا يخبر (العمة إميلي) بهذا في الصيف الماضي . لكن نوئيل مريض وقد

يموت أو غير ذلك .

وصارت تبكي ثانيــة فمسح أوزوالــد على رأسهــا مرة أخــرى مطيّباً خاطرها ، لأنه يعرف كيف يجب أن يتصرف الاخ الطّيب وقال :

ـ لا تحزني .

لو كنّا شخصيات في رواية لوجدت أوزوالد يحتضن أخته الصغيرة بحنان ويذرف الدموع معها وأضاف أوزوالد :

ـ لماذا لا نكتب للوالد .

فزاد بكاء آليس وقالت :

ـ ضيعت الورقة التي فيها العنوان لان هوراس اخذها ليرسم على ظهرها ولا استطيع العثور عليها الان فقد بحثت عنها في كل مكان . أقول لك ما سأفعل لا ، لن اقول انا خارجة لاستطلع اخبار الاخــرين ، و ارجوك ياأوزوالد اذا سألتك إليزا قل لها إنّي هنا .. هل تعدني بذلك .

سألها :

ـ أخبريني ماذا ستفعلين ؟

لكنها رفضت الاجابة وكانت لديها أسباب معقولة للرفض . فقلت لها عندئذ انـي لا اعدها بالسكوت ما دامت ترفض الاجابة .

لم أقصد بالطبع أن أتكلم . إنّما لأن سكوتها كان تصرفاً لئيماً .

وهكذا خرجت آليس من الباب الجانبي بينما كانت إليزا مشغولة باعداد الشاي . ولبثت في الخارج فترة طويلة حتى انها لم تحضر لتناول الشاي وعندما سألت اليزا اوزوالد عنها قال انه لا يدري وربما هي مشغولة بتنظيف ادراج خزانتها . فالبنات يفعلن هذا عادة ويستغرقن فيه وقتاً

طويلاً . ظلّ نوئيل يسعل بعد الشاي لمدة طويلة ونادى على آليس فأخبره أوزوالد بأنها تقوم بعمل ما سرّي لم يكن أوزوالد من النوع الذي يكذب وهمست لأوزوالد بأن كل شيء على ما يرام . وفي وقت متأخر من عصر اليوم قالت اليزا انها ذاهبة لتبعث رسالة في البريد .

وان هذه العملية تستغرق ساعة لأنها تذهب عادة الى دائرة البريد عبر المرج بدل ان تلقي الرسالة في صندوق البريد القريب ، وذلك لانها رأت في احدى المرات صبياً يلقي بعيدان ثقاب مشتعلة في صندوق البريد ويحرق ما فيه من رسائل لم يكن الولد واحداً منّا وعندما سمعنا طرقاً على الباب بعد ذهاب إليزا بوقت طويل ظنّنا أنها عادت وانها نسيت مفتاح الباب الخلفي فاضطرت الى طرق الباب الأمامي . أرسلنا هوراس ليفتح الباب لأنّه يحبّ الجري والمكانِ يتّسع للأطفال من سنّه . الا اننا سمعنا وقع أقدام اخرى تصعد الدرج فاستولت علينا الدهشة الى أن فتح الباب واذا بالقادم عم آلبرت وكان بادياً عليه التعب الشديد فقال اوزوالد :

ـ يسعدني مجيئك لان آليس بدأت تتصّور أن نوئيل .

أسكتتني آليس ، وقد أحمّر وجهها خجلاً وانتفخ أنفها من شدة البكاء وقالت :

ـ كل ما هنالك إنّي قلت إنّ نوئيل يحتاج الى طبيب ثم سألت عمّ آلبرت وهي تتمسّك بذراعه :

ـ ألا تظنّ ذلك

قال عمّ آلبرت :

ـ دعني أراك أيها الشاب

وجلس على حافة السرير فصار يهتز وذلك لان الجسر الذي يسنده من الاسفل كان قد انكسر في العام الماضي اثناء لعبة الحرامية والحراس ، اذ جعلنا منه سجناً راح عمّ آلبرت يجّس نبض نوئيل وهو يتكلم .

ـ اكتشف الطبيب العربي العظيم ، وهم يحتفلون مبتهجين في خيامهم في سهول هاستنغز العذراء ، ان الزكام اصاب راس الملك . فركب بساطه السحري في الحال وامره ان ينطلق به ولا يتوقف الاّ قليلاً في السوق لكي يشتري بعض الفاكهة المنقوعة بمحلول السكرّ

واخرج من جيبه حفنة من الشوكولاته وبعض حلوى الزبد والعنب واعطاها لنوئيل . وعندما شكرناه جميعاً قال :

ـ الطبيب ينطق بالحكمة ، أقول لكم : قد آن الأوان لأن ينام الفتى أسمعتم ؟ يمكنكم أن تذهبوا .

فخرجنا فيما ظلت دورا مع عمّ آلبرت لترتيب فراش نوئيل وجعله ينام مرتاحاً في الليل ، ثم جاءا الى الغرفة الزجاجية حيث سبقناهم فجلس الرجل في كرسي «غي فوكس» وقال :

ـ والآن ..

قالت آليس :

ـ يمكنك أن تخبرهم بما فعلت أنا أعتقد أنّهم سيغضبون ولكن لا يهمني .

قال عمّ آلبرت :

ـ أعتقد أنّك تصرّفت بمنتهى الحكمة أنا سعيد لأنك بعثت البرقية وجّرها

من ذراعها الصغيرة وأجلسها على ركبته .

عندئذ عرف اوزوالد سرّ آليس لقد ذهبت لتبعث ببرقية الى عمّ آلبرت في هاستنغز . ومع ذلك كان من رأي أوزوالد أن تخبره آليس . على أية حال هي أخبرتني بما كتبت في البرقية قالت : «عدْ إلينا لقد سبّبنا الزكام لنوئيل وأعتقد أننا نقتله» وبلغت كلفة البرقية ، مع العنوان ، عشرة بنسات ونصف البنس .

ثم بدأ عمّ آلبرت يسألنا فعرف الأسباب كلّها : كيف أنّ دكي حاول التقاط الزكام ، لكن الزكام راح الى نوئيل . وعرف موضوع الأدوية وكل التفاصيل فقال بلهجة صارمة :

ـ انتبهوا اليّ ما عدتم اطفالا صغاراً حتى ترتكبوا مثل هذه الحماقات . الصحة اعز شيء لدى الانسان فلا تعرضوا صحتكم للخطر . كنتم على وشك أن تقتلوا أخاكم الصغير بأدويتكم الثمينة . إحمدوا الحظ . آمّا نوئيل المسكين ! فسألته آليس :

ـ آه ، هل تعتقد أنه سيموت ؟

وراحت تبكي فقال عمّ آلبرت :

ـ لا ، لا ولكن لاحظوا كم كان تصرفكم سخيفاً وأظنّ أنكم وعدتم والدكم ..

وتحدّث الينا طويلاً . وهو يستطيع أن يجعل السامع يشعر بالذنب الى حد كبير . ثم سكت . وقلنا له إنّنا متأسفون للغاية

فقال :

ـ تعرفون أنّي وعدت بأن آخذهم جميعاً الى مسرح التمثيل الصامت .

فأجبنا بالايجاب . وكنّا ندري أيضاً أنه لم يكن يعتزم أن يأخذنا الى المسرح في تلك اللحظة . ومضى يتكلم :

ـ حسناً ، سآخذكم اذا أحببتم أو آخذ نوئيل الى البحر لمدّة اسبوع ليشفى من زكامه فماذا تفضلون ؟

كان يدري بالطبع أنّنا سنقول : «خُذْ نوئيل» ، وهذا ما قلناه فعلاً ، لكن دِكي أخبرني فيما بعد بأن هوراس لم يكن راضياً قط .

لبث عمّ آلبرت معنا الى أن عادت إليزا ثم ودّعنا قائلاً : «تصبحون على خير» بطريقة شعرنا معها بأنه قد غَفَر لنا خطأنا .

ذهبنا الى النوم ولابّد أنّ الوقت كان منتصف الليل حين أفاق أوزوالد من نومه فجأة فقد كانت آليس تهزّه واسنانها تصطك من البرد وتقول :

ـ آه أوزوالد أنا تعيسة جداً .. أظنني سأموت ، هذه الليلة ! فطلب منها اوزوالد أن تعود الى سريرها وتكفّ عن الثرثرة ، ولكنّها قالت :

ـ لابدّ أن أخبرك . تمنيت لو أنيّ أخبرت عم آلبرت .

أنا سارقة ، واذا مُت الليلة فاني أعرف الى أين يذهب اللصوص يوم القيامة .

وجد أوزوالد أنّ لا جدوى من السكوت فجلس في فراشه وقال :

ـ استمّري

ظلت آليس واقفة ترتجف وقالت :

ـ ما كانت عندي فلوس كافية للبرقية ، ولذلك أخذت قطعة ستة البنسات الزائفة من الخزينة ودفعتها مع خمسة البنسات التي معي ، أجور للبرقية . لم أخبرك لأنّي خفت أن تمنعني وأنا لا أطيق ذلك ولو أنك

ساعدتني لكنت اصبحت سارقاً مثلي . آه ، ماذا سأفعل ؟
فكر أوزوالد دقيقة ثم قال :
- كان الأفضل أن تخبريني ومع ذلك يمكن أن نصلح الأمور باعادة الفلوس الى الخزينة عودي الى سريرك . أنا زعلان عليك ؟ لا ياغبيّة ! إنّما لا تكتمي عليّ شيئاً من هذا القبيل في المستقبل .
فقبّلت أوزوالد ، وسمح لها بذلك ، وعادت الى سريرها .
في اليوم التالي اصطحب عمّ آلبرت معه نوئيل قبل أن يتمكن أوزوالد من اقناع آليس باخبار الرجل عن موضوع ستة البنسات كانت آليس متألمة ، ولو أقل مما كانت عليه في الليلة الماضية : من الممكن أن يشعر الانسان بالبؤس الشديد في الليل اذا ارتكب عملا خاطئاً وهو في كامل وعيه . هذه حقيقة أعرفها لم يكن أيّ منّا يملك شيئا من النقود عدا إليزا وما كانت لتعطينا بنسا واحداً ما لم نخبرها بما نريد أن نفعل بالنقود وما كنّا لنكذب عليها أو نأخذ نقودا دون علمها وكان أوزوالد قلقاً يفكّر بكيفية الحصول على قطعة ذات ستة بنسات ليعطيها الى موظف البرقيات خوفاً من أن يكتشف القطعة الزائفة ويخبر الشرطة فيأتوا للقبض على آليس في أيّة لحظة لا أظنني عشتُ يوما بهذه الدرجة من السوء قبل الآن كنّا نستطيع أن نكتب الى عمّ آلبرت بالطبع لكن هذا يستغرق وقتاً طويلاً ، وكل لحظة تأخير تزيد من الخطر على آليس فكرنا وفكّرنا ، ولكننا لم نتوصّل الى طريقة للحصول على ستة بنسات قد يكون المبلغ صغيراً ، لكن حرّية آليس تعتمد عليه .
كان الوقت قد قارب الغروب حين قابلت (السيدة ليسلي) في «المتنزه»

كانت مرتدية معطفاً من الفراء البنّي وفي يدها حفنة من الزهور الصفراء . توقفت لتحكي معي وتسألني عن (الشاعر) فأخبرتها بأنه مصاب بالزكام ، وتساءلت مع نفسي ما اذا كانت تقرضني ستة بنسات لو طلبت منها ذلك ولكني عجزت عن ايجاد الكلمات المناسبة لا تتصوروا كم هي صعبة المسألة . تحدثت معي قليلاً . وفجأة اوقفت عربة أجرة وصعدت اليها وهي تقول :

ـ ما كنت أتصور ان الوقت متأخّر الى هذه الدرجة .

وذكرت للسائق العنوان الذي تقصده وما أن تحركت العربة حتى القت إليّ بالزهور الصفراء من النافذة قائلة :

ـ هدّية للشاعر المريض ، مع حبّي

ومضت العربة مبتعدة .

لن أخفي عنك ، أيها القارىء الطيب ما فعله أوزوالد . كان يعرف كل ما يمكن أن يسيء الى سمعة العائلة ، ولم يكن يحبّ أن يفعل ما سأخبرك به : تلك كانت زهور نوئيل حقاً لكن أوزوالد لم يكن يقدر على إرسالها الى أخيه في هاستنغز وكان أوزوالد يدري أنّه لو سأل اخاه الموافقة على تصرفه لوافق لقد قرّر أوزوالد أن يضحّي بكبرياء العائلة إنقاذاً لاخته الصغيرة من الخطر لا أقول إنه كان ولداً نبيلاً ـ ولكنني احكي ما فعل ولك أنت أن تقرّر كم هو نبيل .

ارتدى أوزوالد ثياباً بالية ممزّقة بشكل لا يخطر على البال .. وحمل تلك الزهور الصفراء وانطلق بها الى محطة غرينوتيش (غرينتش) ووقف ينتظر الناس القادمين بالقطارات من لندن . وهناك باع الزهور

بباقات صغيرة ببنس واحد للباقة فجمع عشرة بنسات بعدها ذهب الى دائرة البريد والبرق في لويسهام وقال للسيدة الموظفة هناك :

ـ بنية صغيرة أعطتك قطعة ذات ستة بنسات زائفة يوم أمس تفضلي ستة بنسات سليمة بدلها .

قالت له السيدة انها لم تنتبه لذلك وان المسألة غير مهمة ولكن اوزوالد يفهم ان «الامانة خير سياسة» فرفض ان يستعيد النقود فقالت السيدة عندئذ إنّها ستتبرع بها للكنيسة يوم الأحد . لقد كانت سيدة في منتهى اللطّف ، وقد أعجبتني تسريحة شعرها .

ثم عاد أوزوالد الى البيت وأخبر أليس بذلك ففرحت وعانقته ووصفته بانه ولد طيب جيّد حبيب الى النفس فقال :

ـ أوه ، لا تهتمي فكل شيء على ما يرام .

اشترينا بالبنسات الاربعة المتبقية اقراص نعناع مقرنصة وقد حاول الآخرون ان يعرفوا كيف حصلنا على النقود فلم نخبرهم بشيء .

إنّما اخبرنا نوئيل حين عاد الى البيت بعد أسبوع لأن الزهور كانت تعود له ، فقال إنّنا تصرفنا بصورة صحيحة . وكتب أبيات شعر بهذه المناسبة لا اتذكر سوى قليل منها :

الشاب النبيل أعلى درجات النبل

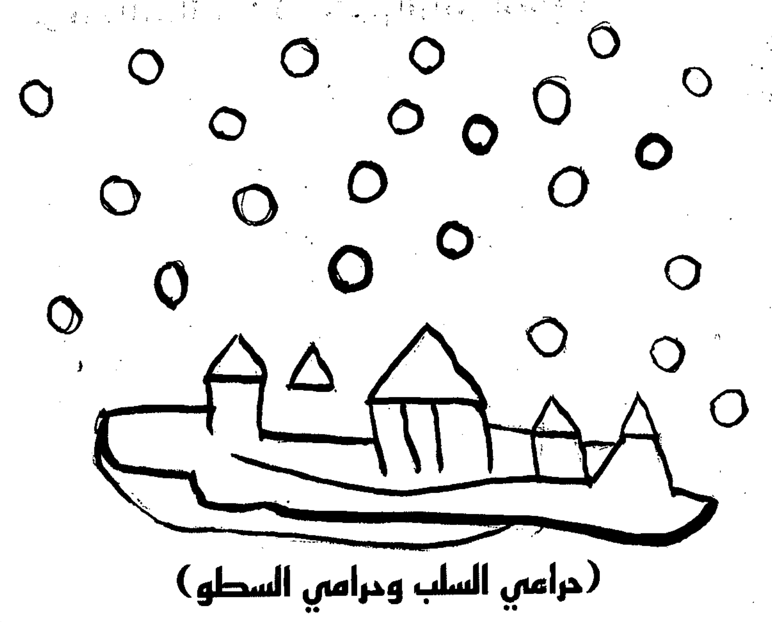
يرضى بأن يمثل دوراً وضيعاً

وكل ذلك من أجل أخته أليس

العزيزة جّداً على قلبه المخلص

لكن أوزوالد نفسه لم يحاول قطّ أن يتباهى بما فعل ولم نحصل على كنز من هذه المحاولة ، الا اذا اعتبرتم اقراص النعناع كنزاً .

الفصل الثالث عشر



(حرامي السلب وحرامي السطو)

كان هطول الثلج بعد يوم أو يومين من عودة نوئيل من هاستنغز منظراً جميلاً ولقد قمنا نحن بجرفه بعيداً عن الطريق فالرجل الذي يقوم بهذه المهمة يتقاضى عادة ستة بنسات ، ومن الخير ان يوفر الانسان قدر ما يستطيع . فالبنس الذي توفره اندا هو بنس تكسبه بعدها فكرنا في ازاحة الثلج عن سطح السقيفة حيث هطل بغزارة وتماسك وانتظمت حافاته حتى بدت كأنها قطعت بسكين . وما ان نزلنا على سطح السقيفة من نافذة علوية حتى رأينا جابي اجور الماء قادماً حاملاً دفاتر القوائم

والوصولات وقد علق في عروة سترته قنينة حبر صغيرة ليحرّر لك وصل الاجور اذا دفعت له نقداً . وكان بابا يقول إنّ جابي أجور الماء هذا رجل عاقل ويحتاط دائماً لكل شيء حتى لما هو بعيد عن الاحتمال . قالت أليس فيما بعد إنّها ارتاحت لرؤية الرجل وقال نوئيل إن وجهه مثل وجه (وزير طيّب(*)) أو وجه الرجل الذي يكافىء ولداً اميناً عثر على حافظة نقود وأعادها الى اصحابها . لم نفكر بهذه الامور ساعة جاء الجابي بل كنا منشغلين بجرف الثلج عن السقيفة وحصل ان دفعنا كتلة ثلج كبيرة تدحرجت مثل انهيار جليدي لتسقط على رأس الرجل مباشرة كانت الكتلة كبيرة بحيث تصورنا انه انهيار جليدي حقيقي نفض الجابي الثلج عنه ثم دق جرس الباب . كان يوم سبت وبابا في البيت نعرف من الخطأ الفادح ومن عدم الذوق ان نرمي كتل الثلج من السقيفة على الجابي او اي شخص اخر واملنا أن لا يصاب بالزكام ونحن شديدو الاسف اعتذرنا لجابي اجور الماء حين امرنا الوالد بذلك وكان عقابنا ان نذهب الى فراشنا رأساً .

كنا نستحق العقاب وذلك لاننا كنا نجرف الثلج بسرعة ومن دون تفكير ثم ان الاشياء المغلوطة تقود احياناً الى المغامرة كما يعرف الجميع الذين قرأوا عن القراصنة وقطاع الطرق .

ان اليزا لا ترتاح لذهابنا الى الفراش بهذه السرعة لان ذلك يعني ان تحمل الينا العشاء وتوقد ناراً في غرفة نوئيل في وقت مبكر عن المعتاد

(*) وردت كلمة (ViZier) التي تعني الوزير العربي أو المسلم كما جاء في أقاصيص «ألف ليلة وليلة» وغيرها من الاساطير العربية والاسلامية . «المترجم»

ولكن مزاج اليزا كان رائعاً في هذا اليوم بالذات لاننا اعطيناها دبوس صدر مرصع بالياقوت الازرق الزائف كانت احدى خالاتنا قد اعطته لاليس ولذا جاءت اليزا بكمية فحم اضافية وعندما جلب البقال البطاطا وهو دائماً يتأخر يوم السبت اخذت منه بعض الكستناء وعندما سمعنا الوالد يغادر البيت بعد العشاء اشعلنا ناراً متأججة في غرفة نوئيل ورحنا نرقص حولها مثل الهنود الحمر ونحن ملتفون بالبطانيات . ذهبت اليزا الى السوق وهي تقول انها تحصل على الحاجيات بسعر اقل في ليالي السبت وعندها صديق عظيم صاحب محل لبيع الاسماك وهو رجل كريم اذ يبيعها سمك السردين بنصف سعره الاعتيادي او اقل من ذلك .

وهكذا بقينا وحدنا في البيت حتى كلبنا «نباش» خرج مع اليزا رحنا نتحدث عن حرامية (لصوص) السلب اما دورا فاعتبرت هذا العمل مخيفاً فظيعاً لكن دكي قال :

ـ أعتقد انه ممتع جداً لاننا لا نسلب سوى الاغنياء ونكرم الفقراء والمحتاجين مثلما يفعل (كلود دوفال)

فقالت دورا .

ـ حرام ان تكون قاطع طريق

وقالت أليس

ـ نعم لن تعرف طعم السعادة كيف تستطيع النوم وتحت فراشك جواهر مسروقة وتتذكر عدد الشرطة والمخبرين في العالم .

فقال نوئيل :

ـ هناك انواع من السرقة ليست حراماً اذا استطعت ان تسلبي من قاطع

الطريق ما يسلبه هو من الناس فهذا عمل صحيح .
فردت عليه دورا :
ـ لن تقدر هو اشطر من هذا بكثير ومع ذلك فهذا حرام ايضاً .
قال نوئيل :
ـ بل اقدر وليس حراماً وقتله بواسطة الزيت المغلي عمل مشروع لعلمك وإلا ماذا تقولين عن (علي بابا)
شعرنا بأن نوئيل كسب نقطة . قالت آليس :
ـ ماذا كنت تفعل لو كان هناك قاطع طريق .
أجاب هوراس بانه كان سيقتله بالزيت المغلي فاوضحت اليس انها تقصد قاطع طريق حقيقي موجوداً في البيت . في تلك اللحظة . لم يقل اوزوالد ودكي أية كلمة . اما نوئيل فأجاب بان من العدل ان تطلب من اللص بادب وهدوء ان يذهب فان لم يفعل فعليك عندئذ ان تقاومه .
والان ان ما سارويه لكم امر غريب ومدهش للغاية وارجو ان تقدروا على تصديقه . لو ان ولداً حكى لي هذه المسألة ما كنت لاصدقه الا اذا كنت اعرف انه صادق وربما ما كنت لاصدقه الا اذا اقسم لي بشرفه ولكن صدقوا ما ساقوله وهو يدل على ان ايام البطولات والاعمال الجريئة لم تنته بعد .
كانت آليس على وشك ان تسأل نوئيل عن كيفية مقاومة اللص الذي يرفض الذهاب عندما سمعنا ضوضاء في الطابق الارضي كانت ضوضاء اكيدة لا من النوع الذي تتوهم انك سمعته بل كانت مثل صوت نقل كرسي حبسنا انفاسنا واصغينا ثم سمعنا صوتاً اخر مثل صوت شخص

يحرك نار موقد . والان تذكروا انه لا يوجد احد في الاسفل ينقل كرسياً او يحرك ناراً لان اليزا والوالد كليهما خارج البيت .
ولا يمكن ان يكونا قد عادا من دون ان نشعر بهما وذلك لان الباب الامامي يحدث صريراً عالياً عندما يفتح ويغلق وكذلك الباب الخلفي ، يسمع من مسافة .
تمسك هوراس ودورا وأليس ببطانياتهم وراحوا ينظرون الى دكي واوزوالد ، وشحبت وجوه الجميع خوفاً وهنا همس نوئيل .
ـ هذه اشباح اعرف ذلك .
اصغينا ثانية فلم نعد نسمع اية ضوضاء . همست دورا فجأة :
ـ ماذا سنفعل ياترى آه ماذا نفعل . ماذا نفعل وظلت تردد هذه العبارة الى ان امرناها بالسكوت .
آه ايها القارىء هل حصل ان كنت وأخوتك ملتفين ببطانيات ترقصون مقلدين الهنود الحمر حول نار في غرفة نوم في بيت لا تظنون فيه احداً غيركم ـ ثم فجأة سمعتم ضوضاء مثل نقل كرسي او تحريك نار في موقد في الطابق الارضي . ان لم تكن مررت بمثل هذه الحالة فلن تستطيع ان تتصور ما يكون عليه شعور الانسان آنذاك . لم يحصل ما تحكي عنه الروايات فلم يقف شعر رؤوسنا ولم نقل الواحد للاخر : «هسسسس !» بل شعرنا باقدامنا تبرد بشدة مع اننا ملتفون ببطانيات والنار قريبة منا وتبلل باطن كف اوزوالد بالعرق فيما برد انفه مثل انف الكلب واشتعلت اذناه ناراً .
وقالت البنتان فيما بعد انهما كانتا ترتجفان رعبا وتصطك اسنانهما

ولكننا لم نلاحظ ذلك في حينه وسألت دورا :
ـ هل نفتح النافذة وندعو الشرطة .
فجأة خطرت على بال اوزوالد فكرة فتنفس بارتياح وقال :
ـ ادري انها ليست اشباحاً ولا اعتقد انهم لصوص . الارجح انها قطة ضالة دخلت البيت حين جيء بالفحم صباح اليوم واختبأت بالسرداب وخرجت الان من مخبأها هيا بنا ننزل لنبحث عنها .
رفضت اختاه النزول ، بالطبع ولو انهما صارتا تتنفسان بهدوء ، لكن دكي قال :
ـ حسن سأنزل اذا نزلتم .
قال هوراس :
ـ هل تعتقدون بانها قطة حقاً .
فنصحناه بالبقاء مع اختيه بعد هذا طلبنا منه ومن آليس ان ينزلا بينما هددتنا دورا بان تصرخ : «حريق جريمة» وتجعل الشارع كله يسمع صراخها ، لو اجبرنا نوئيل المريض على النزول ايضاً وعلى هذا وافق نوئيل على ارتداء ملابسه استعداداً فيما قررنا جميعاً النزول الى الطابق الارضي للبحث عن القطة .
كان حديث اوزوالد عن القطة مشجعاً له على النزول ولكنه في داخله لم يكن واثقاً من عدم وجود لصوص اذ كثيراً ما كنا نتحدث عن اللصوص بالطبع ، ولكن المسألة تختلف عن ان تجلس في غرفة وتصغي وتصغي وتصغي .. وشعر اوزوالد بان النزول لمعرفة ما يجري في الطابق الارضي اسهل من الانتظار والاصغاء والانتظار والاصغاء

والانتظار .. ثم قد تسمعه كائناً ما يكون يزحف ببطء صاعداً اليك وباقل ضوضاء ممكنة نازعاً حذاءه وتسمع صرير السلم ووقع خطواته يقترب من الغرفة التي انت فيها والباب مفتوح حتى نسمع صوت عودة اليزا .. وكل شيء مظلم من حولك وقد تطول هذه المحنة ، وقد تكتشف فيما بعد انك كنت جباناً خائفاً .

قال دكي انه كان يحمل نفس هذا الشعور . وقد يقول ناس كثيرون اننا كنا ابطالاً صغاراً وانما اوضحت هذه المسألة حتى لا يعتبرنا الناس ابطالاً الا بقدر ما نستحق قللنا ضوء السراج - حتى صار مثل البصيص - وخرجنا نحن الاربعة بمنتهى الهدوء ، ملتفين بالبطانيات ووقفنا في اعلى السلم فترة طويلة ننصت حتى صارت اذاننا توشوش .

وهمس اوزوالد باذن دكي فذهب هذا الى غرفتنا وعاد يحمل مسدس لعب كبيراً طوله قدم وزناده مكسور فاخذته انا لاني الاكبر سناً . لا اعتقد ان احداً منا يفكر الان بان قطة في الاسفل. لا احد سوى هوراس واليس وجاء دكي بقضيب تحريك النار الحديدي من غرفة نوئيل قائلاً لدورا انه سيطرد به القطة عندما يعثرون عليها ثم همس اوزوالد :

- فلنهجم على اللصوص انا ودكي مدججان بالسلاح . سنتقدم اولاً اما انتما فكونا سنداً لنا اذا تعرضنا لهجوم او يمكنكما الانسحاب للدفاع عن النساء والاطفال في القلعة اذا شئتما .

فقالا انهما يفضلان البقاء لاسنادنا . كانت اسنان اوزوالد تصطك قليلاً وهو يتكلم بسبب البرد طبعاً .

وهكذا زحف اوزوالد ودكي نازلين . وعندما وصلنا الى اسفل السلم

رأينا باب غرفة مكتب بابا مفتوحاً قليلاً وخيطاً من ضوء يأتي من هناك .
فرح اوزوالد لرؤية الضوء فهو يعرف ان لصوص السطو يفضلون الظلام ، او الفوانيس المعتمة . واعتقد جازماً بأنها القطة ، ثم فكر بأن يداعب هوراس واليس بخشونة عن طريق التظاهر بوجود لص . فسحب طارق المسدس ، ولو انه مسدس كاذب وقال : «هيّا يادك» وهجم على غرفة المكتب فاخترق الباب الى الداخل صائحاً :
ـ سلم نفسك ! كشفناك ! ارفع يديك والا اطلقت النار ! ارفع يديك !
وما ان انتهى من الكلام حتى رأى امامه لصاً حقيقياً يقف في وسط الغرفة لم يكن وهماً بأية حال وتأكد لاوزوالد ان الرجل لص لانه كان يحمل بيده مفك براغي قرب الخزانة التي كان هوراس قد اتلف قفلها وكانت هناك براغي وادوات تنقيب متناثرة على ارضية الغرفة .. لم يكن في الخزانة سوى دفاتر حسابات قديمة ومجلات وعلبة العدد اليدوية لكن اللص ما كان يدري انه لن يجد سوى هذه الاشياء .
وحين تأكد لاوزوالد انه امام لص مسلح بمفك براغي شعر بالقلق لكنه ابقى المسدس موجهاً الى اللص ولن تصدقوا اذا قلت لكم ـ صدقوني ان الرجل رمى مفك البراغي ارضاً ورفع يديه قائلاً
ـ سلمت لا تطلق علي النار ! كم عددكم في البيت .
فقال دكي :
ـ اكثر منك بكثير . هل تحمل سلاحاً .
فأجاب اللصّ :
ـ لا سلاح اطلاقاً .

قال أوزوالد وهو ما يزال موجهاً المسدس الى الرجل ، شاعراً انه بات قوياً وشجاعاً للغاية مثل ابطال الروايات :
ـ اقلب جيوبك .
ففعل اللص ذلك وبينما كان يفرغ جيوبه رحنا نتفحص شكله كان متوسط الطول يلبس سترة سوداء طويلة وسروالاً رمادياً وكان حذاؤه متأكلاً قليلاً من الجانبين وقميصه بالياً ومع ذلك فقد كانت ملامحه تنم عن كرم الاخلاق كان الرجل ذا وجه نحيل متغضن وعينين واسعتين صافيتين تلمعان حيناً وتنطلقان بالرقة حيناً اخر بشكل عجيب ، ولحية قصيرة لابد انها كانت شقراء في شبابه وخالطها الشيب الان شعر اوزوالد بالعطف على الرجل وخصوصاً حين رأى احد جيوبه ممزقاً وليس فيها سوى رسائل وخيطاً وثلاث علب ثقاب وغليوناً ومنديلاً وكيس تبغ شبه فارغ وبنسين امرناه ان يضع الاشياء هذه على المنضدة ففعل ثم قال :
ـ حسناً . امسكتم بي . ماذا تنوون ان تفعلوا أتبلغون الشرطة .
نزل هوراس واليس ليكونا عوناً لنا ، حين سمعا صيحتي فلما رأت اليس ان هناك لصاً حقيقياً وانه قد استسلم صفقت وقالت :
ـ برافو يا اولاد
وفعل هوراس مثلها ثم قالت اليس .
ـ اذا اعطانا كلمة شرف بان لا يهرب فلن ادعو الشرطة .

فقبل اللص واعطاهم كلمة شرف ، واستأذن في ان يدخن غليونه فسمحنا له بذلك . وجلس على كرسي الوالد واخذ يدفيء قدميه فصار

البخار يخرج من حذائه الرطب وطلبت من أليس وهوراس ان يـذهبا لارتداء ثياب كافية ويخبرا الاخرين ويجلبا بعض الملابس لـ (دكي) وسروالي الذي يغطي الركبتين وبقية حبات الكستناء .

جاء الجميع وجلسنا حول النار وكانت جلسة ممتعة وكـان اللص ودوداً للغاية وتحدث معنا طويلاً قال حين تحدث نوئيل عما في جيبه :

ـ لم اكن دائماً ازاول هذه المهنة الحقيرة هذا منتهى الانحدار بالنسبة لرجل مثلي ولكن اذا قدر علي ان اقع في ايدي ناس فالافضل ان اقـع بأيدي ابطال صغار شجعان مثلكم ياللحظ هجومكم على الغرفة سلم نفسك وارفع يديك كأنكم ولدتم وتربيتم لتكونوا صيادي لصـوص . اوزوالد متأسف لانه عامل الرجل بشدة ولكنـه حتى هذه اللحظـة لا يستطيع الاعتراف بانه لم يكن يظن ان احداً في غرفة المكتب حين هجم بتلك الجرأة والطيش ايضا . سأل اللص . بعدما القى رأسه الى الوراء وظل يضحك لمدة نصف دقيقة :

ـ ما الذي جعلكم تعتقدون ان احداً دخل البيت .

فلما اخبرناه صفق اعجاباً بشجاعتنا فقال هوراس وآليس انهما ايضاً كانا سيطلبان منه «الاستسلام» لو لم يكونا قوة احتياطية .

أكل الرجل بعض الكستناء وجلسنا نتساءل متى يعود الوالد وماذا سيقول عن تصرفنا الشجاع وحكى لنا عن عمله قبل ان يحترف السطو على البيوت في هذه الاثناء تناول دكي ادوات السرقة من على الأرض ، وفجأة صاح :

ـ عجباً هذا المفك وهذا المثقاب يعودان للوالد ! وكل الادوات انا اسمي

هذه صفاقة ان تستخدم ادوات انسان لسرقة بيته !

قال اللص :

ـ صحيح صحيح منتهى الصفاقة لكن ماذا افعل اذا كنت لا املك حتى الادوات كنت قاطع طريق ولكن استئجار الخيل يكلف كثيراً خمسة شلنات في الساعة .. اتدرون اني لا اقدر على استئجار حصان . ان مهنة قطاع الطرق ما عادت كالسابق .

فقال هوراس :

ـ ما رأيك بالدراجة الهوائية !

لكن اللص يعتبر الدراجات لا تليق بمقام قاطع الطريق يضاف الى ذلك انك لا تستطيع الفرار الى الريف عليها اذا اقتضت الحاجة كما هي الحال على ظهر جواد اصيل . وراح يحكي لنا عن قطاع الطرق وكأنه يعرف اننا نحب سماع هذه الحكايات .

ثم روى لنا كيف كان زعيم قراصنة وكيف كان يقود سفينته الشراعية فوق امواج عالية كالجبال ، وكيف غنم كنوزاً عظيمة وكيف بدأ يتصور أنه وجد المهنة التي يبحث عنها .

ثم قال :

ـ لا أنكر ان فيها متاعب خصوصاً في مواسم العواصف ، ولكن يالها من مهنة السيف بيدك وراية القراصنة (*) ترفرف فوق الاشرعة والسفينة الضحية في مرمى البصر وجميع فوهات مدافعك موجهة الى السفينة

(*) راية سوداء يتوسطها عظمان متقاطعان وجمجمة كناية عن الموت الذي يقترن بظهور هذه الراية .

«المترجم»

المحملة بالكنوز والبضائع والريح تجري لصالحك وبحارتك المخلصون مستعدون للموت في سبيلك اه يالها من حياة رائعة .

شعرت بأسف شديد للرجل فهو يتحدث بطريقة لطيفة وملامحه تدل على الشهامة قالت دوزا :

ـ أنا واثقة انك ما نشأت وسط قراصنة

وكانت قد ارتدت ثيابها كاملة وجعلت نوئيل يفعل مثلها اما الباقون فكانوا بثياب النوم ملتفين بالبطانيات . اطرق اللص وتنهد ثم قال :

ـ كلا درست القانون كنت في كلية باليول ـ عمر الله قلوبكم بالايمان ـ صحيح كنت في الكلية .

وتنهد ثانية وصار يحدق بالنار وهم هوراس بان يقول :

ـ هذه كلية بابا ..

لكن دكي قطع عليه كلامه سائلاً الرجل :

ـ لماذا تركت القرصنة .

قال الرجل وكأنه لم يفكر بشيء من هذا من قبل :

ـ القرصنة . آه نعم .. لماذا تركتها . لاني لاني لم استطع التغلب على دوار البحر الفظيع .

قال اوزوالد :

كان نيلسون (*) يعاني من دوار البحر .

(*) الاميرال نيلسون : قائد الاسطول البريطاني في زمن نابليون . وقد قتل اثناء معركة (الطرف الأغر) التي انتصر فيها على الاسطول الفرنسي .

«المترجم»

فقال اللّص :

ـ آه ، ولكن لم يحالفني الحظ ولم اكن صبوراً على الشدائد مثله . لقد صمد وكسب معركة الطرف الأغر ، أليس كذلك .

«قبّلني . ياهاردي» وغير ذلك ها ؟ أنا لم أحتمل فقدمت استقالتي .. ولم يقبّلني أحد .

استنتجت من حديثه عن نيلسون أنه لابّد درس في مدارس جيدة وذهب الى كلية باليول فعلا . عندئذ سألناه :

ـ ماذا فعلت بعد ذلك .

وسألته أليس هل عمل في تزييف النقود . وحكينا له كيف تصورنا في مرة من المرات أنّنا قبضنا على عصابة تزوير في البيت المجاور فاستمتع كثيراً بالحكاية وقال إنّه لحسن الحظ ، لم يشتغل بالتزوير قائلاً :

ـ علاوة على أن المسكوكات قبيحة جداً في الوقت الحاضر ولا أحد يجد أيّة متعة في عمل مسكوكات مزّيفة الآن .

وهو عمل مشبوه أيضاً أليس كذلك . ولابدّ أنها تسببّ للمزورين عطشاً شديداً .. بفضيل الافران والمعادن المصهورة وغير ذلك .

وراح ينظر الى النار ثانية .

نسي أوزوالد لمدة دقيقة ان هذا الرجل الغريب المدهش لصّ وقاطع طريق فسأله ان كان يرغب في تناول كأس من النبيذ . فقد سمع والده يقول لاصدقائه مثل هذا الكلام أجاب اللصّ بأنه لا يمانع اذا قدم له كاساً وكان جوابه مناسباً ايضاً .

وذهبت دورا لتأتي بزجاجة من النبيذ الخفيف الذي يشربه الوالد ،

وكأس واعطيناها للرجل وقالت دورا انها تتحمل المسؤولية وبعدما تناول كأساً من النبيذ حكى لنا عن عصابات قطاع الطرق قائلاً انّ حياتهم صعبة جداً في مواسم الامطار فلا كهوفهم جيدة ولا الاكواخ المصنوعة من اغصان الاشجار تحميهم من المطر والثلج اما لصوص الادغال فلم يكونوا احسن حظاً وقال :

ـ في الحقيقة كنت لص ادغال عصر هذا اليوم ، حيث اختبأت بين شجيرات المرج ولكن الحظ لم يحالفني فقد اوقفت عربة امين العاصمة المذهّبة ومعها الحرس ذوو الملابس المزركشة الفخمة ، ولكن بلا فائدة فلم يكن امين العاصمة يحمل درهماً واحداً في جيوبه .

ولكن أحد الحراس كانت لديه ستة بنسات جديدة لان أمين العاصمة دائماً يدفع رواتب الحرس بالبنسات الجديدة . صرفت أربعة منها في شراء خبز وجبن .. وهناك على المنضدة البنسان الباقيان اذ إنّها مهنة بائسة !

ثم حشا غليونه بالتبغ ثانية . كنا قد أطفأنا مصابيح الغاز حتى تكون مفاجئة لطيفة للوالد عند مجيئه . وجلسنا حول النار نتسامر باحلى ما يكون عليه السمر . لم أحبب شخصاً جديداً قطّ من قبل مثلما أحببت اللّص وشعرت بالأسف الشديد له ثم قال لنا إنه عمل مراسلاً حربياً وصحفياً في ايام العز ، وكذلك سارق خيول وضابطاً برتبة كولونيل في سلاح الفرسان .

وفجأة وبينما كنّا على وشك أن نحكي له عن حادثة اللورد توتنهام ومحاولتنا نحن العمل كقطاع طرق ، وضع اصبعه على فمه مشيراً الينا

بالسكوت ، فلزمنا الهدوء ورحنا نصغي . سمعنا خشخشة مرّة ومرتين وثلاثاً آتية من الاسفل . قال اللصّ هامساً :
انهم يعباون شيئاً . صه اعطوني المسدس والقضيب الحديدي هذا لص بالتاكيد .
قلت :
- هذا مجرد لعبة ولا يطلق نارا ، لكنه يطرق مثل المسدس الحقيقي .
ثم سمعنا طقطقة قصيرة سريعة ، فقال اللصّ بهدوء :
- خلع قضبان النافذة ربّاه ! يالها من مغامرة . إبقوا هنا يا أطفال أنا أعالج المسألة .
لكنّنا - أنا ودِكي - أردنا الذهاب معه فسمح لنا الى حد سلّم المطبخ وقد نحملها معنا المجرفة وبعض الادوات الحديدية كان ثمة ضوء في المطبخ ضوء خافت جداً . الغريب بالامر ان اي واحد منّا لم يفكر بأن هذه قد تكون حيلة رسمها لكي يهرب لم نفكر بارتياب بالوعد الذي قطعه على نفسه . ولم ينكث الرجل بوعده دفع اللصّ النبيل باب المطبخ بقوة وهجم الى الداخل حاملاً المسدس الكبير الكاذب بيد وقضيب النار الحديدي باليد الاخرى صائحاً مثلما فعل أوزوالد معه :
- سلّم نفسك ! كشفناك ! والاّ أطلقت النار ! إرفع يديك !
وصرنا - أنا ودِكي - نخشخش بالمجرفة والادوات الحديدية الاخرى ليعلم الحرامي المختبىء بأننا أكثر من واحد وأننا مسلحون فسمعنا صوتاً خشناً في المطبخ يقول :
- حسناً ، أيها المفتش ! أبعد رشّاش العطور هذا ها أنا ذا أستسلم عليّ

اللعنة ان لم أكن انا نفسي قد تعبت من هذه المهنة .

عندئذ دخلنا نحن كان لصّنا يقف باروع طريقة شامخ الرأس والمسدس في يده موجهاً الى حرامي السطو المنكمش على نفسه .

كان الحرامي عملاقاً أحمر الوجة خشن الصوت ذا لحية خفيفة يضع حول رقبته لفّافاً من الصوف وعلى رأسه قلنسوة من الفراء كم هو مختلف عن لصّنا ! اما الحرامي فكان يحمل فانوساً معتماً ويقف قرب سلّة المواعين . وعندما اشعلنا المصباح الغازي في المطبخ بدا لنا انه يشبه كثيراً الصورة التي نحملها في أذهاننا عن الحرامية . لم يكن يبدو عليه أنه كان قرصاناً يوما ما أو قاطع طريق ابداً ولم تكن ملامحه تدلّ على النبل أو الجرأة وكان يراوح بقدميه قلقاً خائفاً ثم قالّ :

ـ حسناً ، هيّا . لماذا لا تطلب الشرطة .

قال اللص ، وهو يفرك لحيته :

ـ قسماً ، لا ادري . أوزوالد ، لماذا لا نطلب الشرطة .

تعّجبت كثيراً ولكني سألته :

ـ هل تقصد أن أذهب أنا لاستدعاء الشرطة .

فنظر اللصّ الى الحرامي ولم يقلْ شيئاً . عندئذ راح الحرامي يتكلّم بسرعة ويتلفت ناظراً الى ما حوله بعينيه الصغيرتين اللاّمعتين .

وقال :

ـ إسمع ياسيدي . أنا مفلس الى حد اللعنة . ساعدوني فأنا مفلس ما أسعدني لو أني حصلت على نصف ما معك من نقود . أنت نفسك ، تدري أنه لا يوجد هنا ما يستحق السطو .

وراح يهزّ سلّة المواعين غاضباً فصارت الملاعق والشوكات الصفر تطقطق . ومضى يقول :

ـ كنت ألقي نظرة هنا فقط عندما دخلت أنت اسمح لي بالذهاب ياسيدي . بالله عليك . عندي في البيت أطفال فليعاقبني الله ان كنت أكذب ـ في عمر أطفالك .. عندي طفل صغير بقدر الكفّ ماذا سيكون مصيرهم لو دخلت السجن .

صدقني ياسيدي ، أنّي جديد على هذه المهنة ولست شاطراً فيها .

فقال لصّنا :

ـ لا ، لست شاطراً بالتأكيد

كانت آليس والاخرون قد نزلوا ليروا ما يجري وقالت لي آليس فيما بعد أنهم تصوّروها قطّة فعلاً هذه المرّة .

ـ لا ، لست شاطراً . صحيح ما تقول ياسيدي واذا اطلقت سراحي هذه المرة فسوف أترك هذه المهنة الرخيصة كلّياً .

لك منّي وعد بأن أتركها لا تقسُ عنيّ ياسيد . فكّر بالاوانس والاطفال الذين ينتظروني عندي بنيّة تشبه تماماً آنستي الصغيرة هذه بارك الله قلبها الرقيق .

فقال اللص . .

ـ عائلتك تتناسب بالتأكيد مع ظروفك تماماً .

عندئذ قالت آليس :

ـ آه ، أرجوك دعه يذهب ! إذا كانت عنده بنيّة صغيرة مثلي فماذا ستفعل من دونه ؟ تخيّل حالة بابا !

قال لصّنا :

ـ لا أظن عنده فتاة صغيرة مثلك ياعزيزتي . وأعتقد بأن الأفضل له ان يكون وراء القضبان .

قال الحرامي :

ـ أطلبي من والدك أن يطلق سراحي ياآنسة . لا أظن أنّ قلبه يطاوعه على رفض طلبك .

سألته آليس :

ـ إذا فعلت فهل تعدني بأن لا تأتي الى هنا أبداً .

فبادر الحرامي يقول بكل حماس :

ـ أنا لا أفعل ياآنسة .

ونظر الى سلة المواعين نظرة قال عنها لصّنا فيما بعد إنها نظرة تنطق بالطمع الشديد ثم خاطب آليس :

ـ أقسم لك ألّا أفعل ، ساعديني أرجوك .

عندئذٍ قالت آليس :

ـ آه ، دعه يذهب أرجوك . أنا واثقة من أنه سيكون إنساناً مستقيماً .

لكنّ لصّنا رفض قائلاً إنّ هذا عمل غير صحيح واننا يجب أن ننتظر عودة الوالد عندئذٍ قال هوراس بصراحة وعلى غير انتظار .

ـ لا أعتقد بأنّ في هذا عدالة ، ولاسيما أنّك لصّ أنت نفسك :

ما أن نطق هوراس بهذه الكلمات حتى قال الحرامي :

ـ انخدعت والله !

في تلك اللحظة تقدم اللصّ خطوة الى الأمام ليمسك بالحرامي وفي لمح

البصر ضرب الحرامي يد اللّص واطار منها المسدس وسدّد له لكمة قوية طرحته ارضاً وقفز من النافذة بسرعة هائلة الى الخارج على الرغم من تمسك أوزوالد ودِكي بساقه لمنعه من الهرب .

وبلغت به الوقاحة أنْ مدّ رأسه من النافذة وقال : «سأنقل تحياتك الى الاطفال والاوانس» ثم اختفى بسرعة البرق بينما اسرعت دورا وآليس لتساعدا لصّنا على النهوض .

وتساءلاه إنّ كان قد أصيب بأذى ولكنه لم يصب بأي اذى سوى تورّم بسيط في مؤخرة رأسه . ونهض على قدميه ونفضنا تراب أرضية المطبخ عن ثيابه . إليزا فتاة وسخة ثم قال :

ـ والآن ، لنغلق النوافذ باحكام لانها اليوم لا تمطر الا لصوصاً بل تزخّ زخّاً رأيتم اثنين حتى الان .. وقد يأتيكم عشرون . فسددنا النوافذ واحكمنا المزاليج ـ وهو عمل يتوجّب على اليزا القيام به قبل خروجها . ولو أنها لم تفعل هذا مرّة واحدة من قبل ، ومن ثم عدنا الى غرفة مكتب الوالد . فقال اللصّ :

ـ يالها من ليلة !

ثم وضع حذاءه قرب النار ثانية ليطرد منه الرطوبة . ورحنا نتحدث كلنا دفعة واحدة . كانت تلك اروع مغامرة نمرّ بها حتى الآن ولو أنها مغامرة لا علاقة لها بالبحث عن الكنز ـ فيما يتعلّق بنا نحن على الأقل . أظن أن الحرامي كان يبحث عن كنز ، ولو أنه لم يخرج بنتيجة . وقال لصّنا إنه لا يصدق كلمة واحدة من حديث الحرامي عن اطفاله الذين يشبهوننا ثم سمعنا صرير البوابة الخارجية فقلنا :

ـ جاء بابا
وقال للص :
ـ والآن الى الشرطة .
قمنا جميعاً بسرعة لقد أجبنا الرجل كثيراً وشعرنا بأن من غير الانصاف أن يذهب رجل مثله الى السجن ، بينما يفلت الحرامي العملاق الكذاب المخيف . فقالت أليس :
ـ آه ، لا .. أهرب دكي سيفتح لك الباب الخلفي آه .. اذهب ارجوك اذهب حالاً .
وقلنا له جميعاً
ـ أجل اهرب .
وجررناه من يده صوب الباب واعطيناه قبعته وعصاه وحاجياته الاخرى ولكن بابا كان قد ادار المفتاح في الباب .. وفات الاوان دخل الوالد بسرعة وهو ينفخ من شدة البرد وبدأ يتكلم .
ـ كل شيء على ما يرام يافولكس حصلت على .. وتوقف عن الكلام وصار يحدق فينا ثم قال بلهجة نكرهها جميعا :
ـ أطفال ما معنى هذا .
خيّم علينا الصمت دقيقة . ثم قال الوالد :
ـ فولكس . لابدّ لي من الاعتذار عن تصرف هؤلاء الملاعين ففرك لصّنا كفّيه وضحك وصاح :
ـ أنت مخطىء ياسيدي العزيز . انا لست فولكس . انا لصّ وقاطع طريق قبض عليه هؤلاء الفتيان باشجع طريقة .

ارفع يديك سلّم نفسك والّا اطلقت النار .. وما الى ذلك أقسم ياباستبل ، أن عندك أطفالاً يتباهى بهم كل أب !
تمنيت لو أنّ ولدي (ديني) يملك جرأتهم .
عندها بدأنا نفهم المسألة ، وكانت أشبه ما تكون بالصدمة فأخبرنا لصّنا بأنه لم يكن لصّاً ولا قاطع طريق أبداً بل مجرد صديق قديم للوالد من أيّام الكلية ، وأنه جاء الى البيت بعد العشاء ، ساعة كان الوالد مشغولاً باصلاح القفل الذي كسره هوراس ، راجياً الوالد أن يأتيه برسالة توصية الى طبيب لمعالجة ابنه (ديني) المريض .
وان والدي ذهب عن طريق المرج الى منطقة (فانبروبارك) قاصداً بعض اصدقائه من الاغنياء ليحصل منهم على رسالة التوصية وترك المستر فولكس ينتظر عودته ليعرف ما اذا كان بابا سيحصل على التوصية ام لا حتى يروح يطرق ابواباً اخرى في الوقت المناسب :
كنّا مذهولين من الدهشة .
وحكى لصنا للوالد عن الحرامي الاخر وتأسّف لانه سمح له بالهرب .
فقال بابا :
لا بأس عليك شحّاذ مسكين قد يكون عنده اطفال حقاً من يدري سامحنا على تقصيرنا بواجب الضيافة فأنت تعرف الظروف لكن احك لي عن حادثتك الاولى لابد انها حكاية ممتعة .
فروى لصّنا للوالد كيف هجمت انا الى داخل الغرفة والمسدس في يدي وضحت فيه .. لكنكم تعرفون الحكاية . غير انه بالغ في وصف شجاعتنا حتى احمر وجهي من الخجل وانا تحت البطانية .

فتمالكت نفسي وابتلعت خجلي وقلت :

ـ صدقني يابابا اني لم اكن اظن أن أحداً في المكتب حقاً تصورناها قطة اول الامر ثم قلت في نفسي لا يوجد وكنت امزح لا اكثر وعندما قلت له، «سلم نفسك» كان ذلك جزءاً من اللعبة هذا كل ما في الأمر .

فقال لصّنا :

ـ نعم ، ياصديقي القديم إنّما حين وجدت ان هناك شخصاً حقاً ، رميت المسدس واسترحت هكذا فعلت اليس كذلك .

قلت :

ـ لا بل قلت في نفسي «عجباً عندنا لص ! طيّب نحن مغلوبون على امرنا ، ولكن لابد لي من الصمود لمواجهة ما سيحصل .

شعرت بالسرور لاعترافي وضربني بابا على ظهري مداعباً ووصفني بأني فتى طيّب لطيف فيما اكدّ صاحبنا اللصّ بأني لم اكن جباناً قط ومع اني تبللت بعرق الخجل تحت البطانية الا اني فرحت كثيراً لهذا المديح وقلت ان الإخرين كانوا سيفعلون ما فعلت لو كانوا في موقفي .

ثم جلب الوالد المزيد من الشراب وضحك لما حدثناه عن شعور دورا بالمسؤولية واخرج من احد الادراج علبة تين مجفف كان قد اشتراها لنا ولكنه لم يعطنا اياها عقاباً لنا على فعلتنا مع جابي اجور الماء . وجاءت اليزا حاملة الخبز والجبن وما تبقى من لحم رقبة الضأن فضلة لحم الضأن البارد كما وصفها والدي ـ فاقمنا وليمة مثل ولائم السفرات جالسين حيث شئنا نأكل بأيدينا دون شوكات وسكاكين بقينا سهرانين الى الساعة الثانية عشرة والنصف ولكم شعرت بالسرور لاني لم اخلق

بنتـاً . تألم البـاقون لانهم لم يحصلـوا على مـا نالني من تقـدير هم يستحقونه ايضاً ولكن ما اسعد قلب الولد حين يسمع اباه يقول له : «انت فتى طيب لطيف» عندما غادر المستر فولكس قال لاليس :

ـ مع السلامة ياهاردي

وقد فهمت آليس معنى كلامه فقبّلته بأقوى ما تستطيع وقالت :

ـ كنت اريد ان اقبلك لحظة قلت ان احداً لم يقبلك عندما تركت زعامة القراصنة .

فقال :

ـ ادري ياعزيزتي .

وقبلته دورا وقالت :

ـ أتصور ان كل الحكايات غير صحيحة

فأجابها صاحبنا الحرامي في الحال :

ـ أنا حاولت تمثيل الدور بأحسن ما يمكن ياعزيزتي والحق يقال انه مثل الدور جيد، ولم يرتكب اي خطأ وكثيراً ما رأيناه بعد ذلك بصحبة ابنه (ديني) وابنته (ديزي) وسنحكي هذا في قصة اخرى .

واذا كان اي منكم ياأولاد قد صادف في حياته مغامرتـين من هذا النوع في ليلة واحدة فليكتب لي عنهما هذا كل ما هنالك .



الفصل الرابع عشر

(عصا استدلال) *

لن تتصوَّروا كم أتعبنا البيت يوم رحنا نبحث عن الذهب بواسطة عصا الاستدلال . كانت إليزا قد رفعت جميع البسط والسجاد لان الوالد طلب منها أن تنظف البيت جيداً بما يليق باستقبال سبد . عاد الى العشاء في اليوم التالي . واستعانت اليزا بخادمة من اللّواتي يعملن في النهار فقط لمساعدتها في اعمال التنظيف . فتبللّت أرضية البيت . . .

(*) عصا او غصن ينتهي احد طرفيه بفرعين (مثل الشوكة) كان البعض في الماضي يستعملها للاستدلال على المياه الجوفية والمعادن .

التنظيف وتناثرت الفرش والمكانس على السلالم وفي كل مكان ليتعثَّر بها الناس . وكان من جراء ذلك أن وقع هوراس وتورَّم رأسه . وعندما قال إن رأسه يؤلمه طلبت منه إليزا أن يبقى في الغرفة الزجاجية ولا يعرقل عملها بالتنقل في البيت بلا معنى . فعصبنا له رأسه بمنشفة وبذلك كفَّ عن البكاء وراح يلعب معنا ممثلاً دور بطل انكلترا الجريح الراقد في غرفة قبطان السفينة ، بينما يحارب بحارته وجنوده ببسالة حسب أوامره (*) . ومثلت آليس دور مساعده [هاردي] ، ومثلت أنا دور طبيب السفينة والآخرون البحارة . لقد ذكَّرنا اسم هاردي بعزيزنا اللِّص وتمنينا لو أنه كان معنا في تلك الآونة ، وتساءلنا إن كنَّا سنراه ثانية .

استغربنا أن يقوم بابا بدعوة أحد الى العشاء ، لأنه صار في المدَّة الآخيرة لايفكر بأيِّ شيىء سويَ أمور العمل . اما قبل وفاة ماما فكان الناس يأتون عادة لتناول العشاء ولم يكن بابا غارقاً في الشغل الى هذه الدرجة ، ولا يعاني منه كما يعاني الآن . وكنَّا نستطيع النزول بثياب النوم والتسلل الى المطبخ لنلتهم الاطعمة اللذيذة من الصحون العائدة من غرفة الطعام دون أن يشعر بنا أحد . إنَّ إليزا لاتحسن الطبخ . ويوم جاءت الى بيتنا زعمت أنها طباخة ماهرة ولكن بابا يقول إنهَّا مجرَّد صورة جذَّابة . بقينا في غرفة اللَّعب الى أن جاءت الخادمة النهارية وطلبت منا الخروج ـ لتقوم باخراج السجادة الى حيث يقوم عامل بنفض الغبار منها وتنظيفها مع بقية السجّاد والبسط . عندما رفعت الخادمة السجادة عن الارض كانت تحتها اكداس من الغبار . كذلك وجدنا

(*) المقصود هو (الاميرال نيلسون) الذي مر ذكره قبل الان .

تحتها قطعة ثلاث البنسات التي ضاعت مني قبل مدة طويلة . كانت السجادة وسخة جداً تعطي فكرة عن مدى وساخة إليزا و إهمالها ..
تعب هوراس من تمثيل دور البطل الجريح وضجر دِكي من بقائه بلا عمل حتى أن دورا قالت إنَّه سيبدأ بمضايقة نوئيل بعد لحظة ، فقال دِكي ، عندئذٍ ، إنه لاينوي مضايقة أي واحد ـ بل سيذهب الى المرج . وقال إنه سمع أن المرأة المناكدة تجعل الرجل يهرب من البيت وقد تأكَّد له الآن صدق ماسمع . إنَّ أوزوالد يحاول دائماً أن يكون حمامة السلام فطلب من دِكي أن يخرس ولا يتصرف او يتكلَّم بحماقة . فقالت آليس :
ـ اذا أردتم الحق فان دورا هي البادئة .
فشمخت دورا بأنفها وقالت إن أوزوالد تدخَّل في مالايعنيه وأنَّ أحداً لم يطلب من آليس رأيها في المسألة . فشعرنا جميعاً بالإنزعاج الى أن قال نوئيل :
ـ لاتجعلونا نتشاجر بلا داعٍ . كونوا أكبر من هذه السخافات . لقد نظمت بضعة أبيات من الشعر بينما كنتم تتكلمون : الشجار عمل شرير
يملأ كأس المرء بالمرار .
فما أن تبدأه حتى يستغرق التخلُّص من متاعبه وقتاً طويلاً .
ـــــ ::ا جميعاً وكففنا عن مشاكسة احدنا الآخر . ان نوئيل يقول شعراً مضحكاً جداً ، ولكن هذه القطعة جاءت صادقة تماماً . فالإنسان يبدأ الشجار ثم لايستطيع التوقف . وقد يمرُّ وقت طويل قبل أن يبدأ الطرف الآخر بالبكاء ويحاول أن يضع حدّاً للشجار . أنا ألاحظ مدى

سخافة المسألة وأريد أن أضحك ، لكنّي لاأستطيع لأن هذا يغضب الآخرين أكثر من ذي قبل . لماذا تجري الامور بهذا الشكل ياترى ؟

قالت آليس إن نوئيل شاعر يستحق إكليل الغار ، وخرجت فعلاً في البرد الشديد وجاءت ببعض أوراق الغار ـ من النوع المنقّط ـ من الحديقة فنسجت دورا منها تاجاً وضعناه على رأسه . فرح نوئيل بذلك كثيراً . ولكن بعض الأوراق تناثرت على الأرض فجاءت اليزا وقالت «لاتفعلوا هذا» . أعتقد أنَّ الكبار يستعملون هذه العبارة اكثر من غيرهم . وفجأة تذكرَّت آليس فكرتها القديمة في البحث عن الكنز فقالت :

ـ دعونا نجرِّب عصا الاستدلال .

فقال أوزوالد :

ـ ايتها الكاهنة الجميلة ، نتمنى ان نعثر على الذهب في باطن أرضنا ، لذا نتوسل اليك أن تجربي عصا الاستدلال وتخبرينا بمكانه .

فسألت أليس :

ـ وتريدون الكنز بشكل خوذات ودروع وزرد ؟ فأجاب نوئيل :

ـ أجل . وسلاسل وحلي مرصَّعة بالأحجار الكريمة .

فعلَّق دِكي قائلاً :

ـ أراهن على أنك لاتعرف ماهي الحلي المرصعة بالأحجار .

فقال نوئيل :

ـ لا ، بل أعرف ! ياقة مرصعة بالجواهر . رأيت واحدة في معرض .. ها ، مارأيك !

ولمّا سألناه مناهي الياقة المرصّعة رفض الأجابة . وقال أوزوالد :
ـ ونريد كؤوساً جميلة من الذهب .
فقال هوراس :
ـ ونبني قصوراً جميلة من الذهب
وقالت دورا
ـ ونشتري أشياء ... اشياء كثيرة جداً . ملابس جديدة لأيام الأحد وقبعات وقفازات جلدية ناعمة و ... وكانت ستمضي في تعداد الاشياء التي تريدها الى مالانهاية لو لم نذكرها بأننّا لم نعثر على الذهب بعد

كانت أليس ، في تلك الآونة ، قد لفَّت حولها شرشف المائدة وشرَّت رأسها بغطاء كرسي عتيق وقالت :
ـ إذا كانت نواياكم سليمة فلا تخافوا شيئا واتبعوني وانطلقت نحو الصالة . وتبعناها جميعا ونحن ننشد نشيد «الأبطال» نشيداً كئيباً ثقيلاً على النفس تعلمته البنتان في المدرسة وكنّا نردّده عندما نريد أن نخلق جوا كهنوتيا مثل تراتيل القسس .

توقفت أليس عند مشجب القبّعات ورفعت ذراعيها بأقصى مايسمح به شرشف المائدة وقالت بطريقة الكهنة :
ـ يامذبح (*) المعبود الذهبي العظيم ، هبني عصا الاستدلال التي

(*) المذبح : دكة عالية في الكنيسة تقدم عندها الصلوات والادعية والنذور وهي في الاصل مقتبسة من دكة القرابين الرومانية الوثنية وهناك رأي يقول انها ترمز للمائدة التي تناول عليها السيد المسيح عشاءه الرباني الاخير وعلى العموم فهي موضع مقدس في الكنيسة مثل المحراب في الجوامع والمساجد الاسلامية .
«المترجم»

أستطيع أن أستخدمها لمنفعة الناس المعذَّبين كان مشجب المظلّات هو مذبح المعبود الذهبي وقد وهبها مظلة عتيقة من أيام المدرسة فحملتها بكفيَّها وقالت :

ـ سأنشد التراتيل السحرية الآن . لاتنطقوا بكلمة واحدة . اتبعوني فقط حيثما أذهب ، مثلما يتبع الجنود قائدهم . أتفهمون ماأقصد ؟ وعندما نصل الى مكان الذهب المدفون فإنَّ عصا الاستدلال ستروح تهتز بيد الكاهنة ، وكأنَّ فيها حياة ، وتحاول الانطلاق . هناك تحفرون فينكشف لكم الكنز . هوراس ـ لا تحدث ضوضاء بحذائك والّا غضب علينا الجن . والآن تعالوا كلكم .

وصعدت الى الطابق العلوي ودخلت كل الغرف . وتبعناها على رؤوس الأصابع وكانت تنشد وهي ماضية . لم تكن تراتيلها مأخوذة من كتاب ، بل كتب كلماتها نوئيل عندما كانت آليس تستعد لتمثيل دور الكاهنة :

أيتها العصا الرمادية الباردة

التي أمسك بها

علميني أين أجد الذهب

وعندما وصلنا الى حيث تعمل إليزا ، صاحت بنا : «اخرجوا من هنا» فقالت دورا إنَّ ذلك مجرد لعب وأننا لن نمسَّ شيئاً وأن أحذيتنا نظيفة فسمحت لنا أليزا بالمرور .

كانت اللعبة ممتعة تماماً للكاهنة . أما نحن فلم نستمتع بها الى هذه الدرجة لأن آليس لم تسمح لنا بالإنشاد . لذا قلنا لها إننّا لانريد

الاستمرار مادامت لم تستطع العثور على الذهب ، ونفضل أن نلعب لعبة أخرى . فقالت الكاهنة :

ـ حسناً ، انتظروا لحظة .

وراحت تنشد فتبعناها الى غرفة اللعب التي رفعت عنها السجّادة لغرض التنظيف وكانت أرضيتها الخشبية تعبق برائحة الصابون اللطيفة .

ثم قالت :

ـ إنهّا تتحرك .. ! ردّدوا التراتيل مرة أخرى !

لذا أنشدنا نشيد «الأبطال» ثانية . وقبل أن نكمل النشيد وقعت المظلّة من يد آليس . فقالت :

ـ لقد نطقت العصا السحرية . أحفروا هنا ، بهمة وعزيمة . حزنا في الأمر ورحنا نخربش بأظفارنا في خشب الارضية فقالت الكاهنة :

ـ لاتكونوا حمقى ! أحفروا في مكان أنابيب الغاز فهناك ألواح الأرضية مخلوعة . احفروا بكل مالديكم من همّة قبل أن يعود التنينّ الذي يحرس الكنز عند الغروب ويجعلكم لقمة سائغة . فحفرنا ـ أي أننّا رفعنا الألواح السائبة من الأرضية ، فهزّت آليس ذراعيها وهتفت :

ـ انظروا الى الكنز الثمين .. والذهب اكواس والفضّة والحلي المرصّعة

قال هوراس :

ـ مثل الكشمش في الفطائر .

فقال دكي ، متثائباً

ـ كنز لطيف . فلنذهب الآن ونأتي لاستخراجه في يوم آخر . لكن آليس ركعت بجانب الحفرة وقالت :

ـ دعوني أمتّع عيني برؤية بريق الذهب ، الذي ظلّ مخفياً عن أعين الناس طيلة قرون . انظروا كيف قادتنا العصا السحرية الى كنوز اكبر ... اوزوالد لا تدفعني هكذا .. الى كنز ساطع .. أرى شيئاً ما هناك فعلاً . رأيته يلمع ! تصورنا أنها تمزح ، ولكن عندما راحت تحاول النزول في الحفرة ، التي كانت صغيرة جداً لاتتسع لها ، أدركنا أنها كانت جادّة في كلامها ، لذا قلت :

ـ لننظر ماهناك .

ونظرت الى الحفرة ، ولكني لم أستطع أن أرى شيئاً ، حتى بعدما انبطحت على بطني . وانبطح الآخرون على بطونهم محاولين أن يروا ، الّا نوئيل الذي ظل واقفاً ينظر الينا قائلاً إننا نشبه الأفاعي الضخمة التي تنزل ليلاً لتشرب من الحوض السحري . وأراد أن يمثل دور الفارس الذي يقتل الأفاعي بسيفه النبيل ـ حتى أنه سحب المظلّة على أنها سيف ـ لكن آليس قالت :

ـ حسناً ، انتظروا لحظة . اقول لكم إنيّ رايته بالتاكيد ...

هات لي علبة الثقاب من هناك ياعزيزي نوئيل قال نوئيل ، وهو يهمّ بالذهاب لجلب علبة الثقاب :

ـ ماذا رأيت ؟

ـ شيئاً يلمع في زواية الحفرة قرب الدعامة الخشبية .

قال نوئيل :

ـ ربما كان عين فار او حيّة .

ولم نقرّب رؤوسنا من الحفرة الى ان جلب نوئيل علبة الثقاب .

وأشعلت عوداً ، وفي اللحظة التالية صاحت آليس :

ـ هاهو !

وكان هناك فعلاً نصف جنيه استرليني يغطي التراب جزءمنه . ربما أزال عنه تراب السنين جرذ مذعور هرب عند رفع السجادة . لم نستطع أن نتصور كيف وصل نصف الجنيه هذا الى الحفرة ، الاَّ أن دورا تتذكر أنَّ الوالدة أعطت هوراس ، مرَّة ، وهو طفل صغير ، بعض النقود ليتعلَّم الإمساك بالأشياء فوقعت منه النقود وتدحرجت على أرض الغرفـة . وربما كان نصف الجنيه هذا واحداً من تلك النقود . فرحنا عظيماً وأراد هوراس أن يخرج في الحال ليشتري قناعاً بأربعة بنسات كان قد رآه من قبل وكان سعره شلناً ثم انخفض الآن لأنَّ عيد [غي فوكس] انتهى ، ولأن القناع تلف قليلاً من الأعلى . لكن دورا قالت :

ـ لاأدري إن كانت هذه النقود ملكنا . لننتظر بابا ونسأله .

الاَّ أنَّ هوراس لم يشأ الانتظار ، وكنت أنا أعطف عليه . إنَّ دورا تتصرَّف كالبالغين في مثل هذه الحالات . ويبدو أنها لاتفهم أنكَّ حين تطلب شيئاً تريده لاتحب الانتظار ، دقيقة .

لذا ذهبنا الى عم آلبرت لنسأله . فوجدناه منكبَّـاً على واحـدة من رواياته السيئة التي يكتبها لكسب العيش ، ومع ذلك التفت إلينا قائلاً إننَّا لن نؤخره عن عمله أبداً . قال :

ـ حماقة بطل روايتي أوقعته في المتاعب . غلطته هو . سأتركه ليفكر بأمر حماقته التي لاتصـدَّق . حماقـة عقل الأرنب التي أوصلتـه الى هذه الـورطة . سيكـون هذا درسـا ويتيح لي في الـوقت نفسه فـرصـ

الاستمتاع بالحديث معكم .

هذا واحد من الاشياء التي تجعلني أحب عمَّ آلبرت : أنه يتكلم كما في الروايات ، ومع ذلك يمكنك أن تفهم دائماً ما يقصد . أعتقد أنه ، بطريقة تفكيره ، أقرب الينا منه الى الكبار . فهو يستطيع التقمص بصورة بديعة . أنا لم أر في حياتي من هو أبرع منه سوى صاحبنا اللّص . وكان عم آلبرت أول من علَّمنا كيف نجعل الناس يسردون القصص . وعلَّمنا أيضاً كيف نروي قصة من البداية ، لا أن نبدأ من منتصفها كما يفعل أكثر الناس . وهاهوذا أوزوالد يتذكرَّ ماقيل له ، وهو يتذكر عادة ، ويبدأ من البداية . وعندما وصل الى «أن قالت آليس إنها تريد تمثيل دور الكاهنة» قال عم آلبرت :

ـ لتنطلق الكاهنة نفسها وتحكي لنا ماحصل بعدئذٍ بلغة سليمة .

فقالت آليس :

ـ إيه أيها الكاهن الأكبر للمعبود العظيم ، أحقر عبيدك قد أخذ المظلّة المدرسية على إنها عصا الاستدلال ورتَّل أنشودة الإب ... ماأسمه ؟

فقال عم آلبرت :

ـ الابتهال ، ربمَّا ؟

ـ أجل . ثم رحت اتنقَّل من مكان الى مكان . وتعب الباقون ثم استقرَّت عصا الاستدلال على بقعة معيَّنة . وقلت لهم : «أحفروا هنا» . وحفرنا ـ الحقيقة كانت هناك ألواح منزوعة من أرضية الغرفة عند أنابيب الغاز ... وكان هناك نصف جنيه استرليني حقيقي تحت الألواح ، في الحفرة . هاهو .

تناوله عم آلبرت وتفحصه ثم قال :
ـ سيعضّه الكاهن الاكبر العظيم ... سوف يعضه ليرىٰ إن كان سليماً .
وعض عليه بقوة وقال :
ـ أهننكم . أنتم حقاً من الناس الذين باركتهم الآلهة . أولاً عثرتم على أنصاف كراون في الحديقة ، والآن هذا . الكاهن الاكبر ينصحكم بأن تخبروا آباكم وتسالوه إن كان يسمح لكم بالاحتفاظ بنصف الجنيه هذا . ان بطل روايتي ندم على فعلته وهو الآن يتململ ضجراً ويريد الخلاص . على أن انتشله من ورطته . وأنا اسمح لكم بالإنصراف .

نحن نعرف طبعا من كتابات كبلنغ أن هذه العبارة تعني «إطمأنّوا وتصرَّفوا بذكاء» . وهكذا رجعنا الى البيت . انني أحب عمَّ آلبرت حقاً . وساصبح مثله عندما أكبر وهو الذي أهدانا كتب الأدغال ، وهو رجل ذكي للغاية ، ولو انه مضطر الى كتابة القصص للكبار .

أخبرنا الوالد بالحكاية في نفس الليلة . كان طيباً جداً معنا فقال إن بامكاننا الاحتفاظ بنصف الجنيه ، راجياً أن نتمتع بهذه الثروة التي هبطت علينا . ثم قال :
ـ خال أمكم الهندي سيأتي لتناول العشاء معنا مساء غد . فلا تقلبوا أثاث البيت رأسا على عقب رجاء ، رجاء .

ويمكن لـ «هوراس» أن يضع في قدميه نعالاً أو أيَّ شيىء . وأنا أستطيع دائماً أن أميز ضوضاء حذاء هوراس .

أعطيت الوالد وعداً بالتزام الهدوء . فتابع بابا كلامه قائلاً :
ـ هذا الخال الهندي غير متعود على الأطفال ، وهو قادم لبحث بعض

الأمور التجارية معي . فمن المهم جدا الاّ نسبب له إزعاجا . دورا ..
تعتقدين أن ذهاب هوراس ونونيل الى النوم في السادسة و .....
فقال هوراس :
ـ بابا ، أنا لن أحدث أيَّة ضوضاء .. صدقا وحقًا . أنا افضّل الوقوف
على رأسي طوال المساء على أن أسبب أيَّ ازعاج للخال الهندي بقرقعة
حذائي .
وقالت آليس إن نونيل لم يتشاجر قط مع أحد . فضحك الوالد وقال :
ـ حسن
وقال إننَّا نستطيع أن نتصرَّف بنصف الجنية كما يعجبنا ...
ـ ولكن ، بالله عليكم لاتحاولوا العمل في التجارة بنصف الجنية هذا .
فمن الخطأ العمل في التجارة برأس مال غير كافٍ .

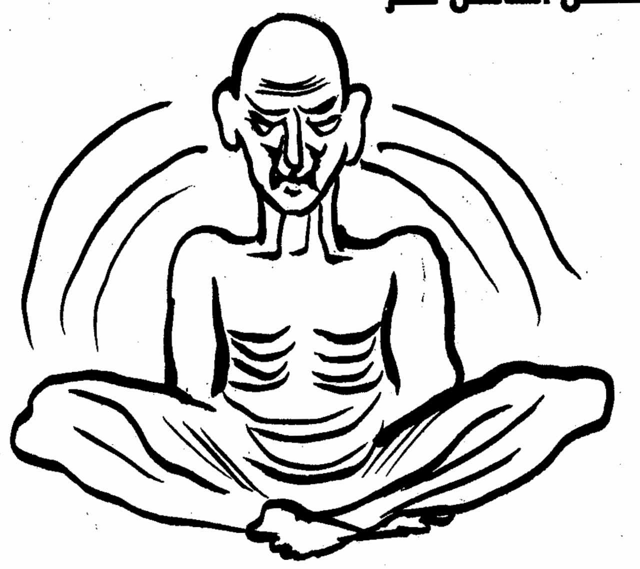
بحثنا أوجه الصرف طيلة ذلك المساء ، وقرَّرنا أنه لما كنا لاننوي
إنشاء مشروع تجاري بنصف الجنيه فالافضل أن ننفقه في الحال ونقيم
به وليمة ملكية بمعنى الكلمة . وبالفعل خرجنا ، في اليوم التالي ، لشراء
اللَّوازم . فاشترينا تيناً ولوزاً وزبيباً وأرنباً مذبوحاً طازجاً ، كما وعدتنا
إليزا بأن تطبخه لنا انتظرنا الى اليوم التالي ، وذلك لإنشغالها باعداد
العشاء للخال الهندي . وكانت منهمكة باعداد مالذَّ وطاب من الاطعمة
للضيف .

اشترينا الأرنب لأننَّا سئمنا لحم البقر والضأن ولأن الوالد لم يكن
عنده حساب مع محل بيع الدجاج . كما اشترينا بعض الزهور لتوضع
على المائدة عند مجيىء الضيف الهندي . واشترينا أيضاً نستله

محشوة باللّوز المقشور وشراب التوت الاحمر واقراص النعنان والبرتقال وجوز الهند ، وغير ذلك من الاشياء اللطيفة . وضعنا الحاجيات في الدرج الاكبر العلوي الذي يضع فيه هوراس لعبه ، بعدما اقنعناه بنقلها الى حقيبة سفر الوالد العتيقة . لقد كبر هوراس بما يكفي لان يتعلّم الآن كيف يتخلص من انانية الاطفال . يضاف الى ذلك ان درج لعبه كان وسخا جداً ويحتاج الى تنظيف . ثم اقسمنا كلنا بشرف بيت باستبل العريق بان لانمس شيئاً من الحاجيات الّا بعد ان تاذن لنا إليزا في اليوم التالي . واعطينا هوراس بعض قطع من النستنه ذات اللّوز حتى نمكنه من الانتظار الى الغد

كان اليوم التالي يوماً مشهوداً في حياتنا ، ولو اننا لم ندرك هذه الحقيقة الّا فيما بعد . تلك حكاية أخرى . أعتقد بان طريقة كهذه تنفع حين لاتكون عندك فكرة عن كيفية إنهاء فصل من فصول رواية . تعلمتها من كاتب آخر اسمه [رديارد كبلنغ] . ذكرت اسمه قبل الآن . اعتقد انه يستحق ان يذكر !

الفصل الخامس عشر



(ها ، قد جاء الهندي الفقير !)

كان طبيعياً أن يطلب منا الوالد التزام الهدوء عند مجيء الخال الهندي ولكن لم يكن حذاء أخي الأصغر هو وحده الذي يسبّب الضوضاء . فقد اخذنا منه الحذاء وجعلناه ينتعل نعال الحّمام الصوفي الناعم العائد لدورا . وكنّا طبعاً نريد رؤية الخال عند قدومه ، فوقفنا نتطلّع من فوق سياج الدرج ، ساكنين سكون الفئران ، ولكن ما أن استقبلته إليزا وأخذته الى غرفة مكتب الوالد ، حتى انطلقت الى المطبخ لتثير هناك أسوأ ضوضاء يمكن ان يسمعها الانسان وكأن القيامة قامت

او ان جميع ما في البيت من قدور واواني طبخ تحوّلت الى كرات قدم وقد قالت فيما بعد إنّها من شدة الاستعجال أوقعت صينية الشاي وكوبين وصحنين ارضا . وقد سمعنا الخال يقول : «كان الله في عوننا !» ثم دخل مكتب الوالد واغلق الباب وفي الحقيقية أنّنا لم نره جيدا انذاك .

لا أعتقد أن العشاء كان جيدا بمعنى الكلمة فهناك شيء محروق بالتاكيد لأننا شممنا رائحته . رائحة اخرى غير رائحة لحم الضان انني أعرف الشيء الذي احترق ولكنّ إليزا لم تسمح لاحد منا . عدا دورا . بدخول المطبخ الاّ بعد انتهاء العشاء عندئذ حصلنا على ما بقي من الحلويات فالتهمناها في ركن من السلّم لا يرى من الصالون الاّ اذا أشعل المصباح الغازي في اسفل السلّم وفجاة فتح باب المكتب وخرج الخال قاصدا معطفه المعلق وراح يبحث في بعض جيوبه . ثم رايناه بعد ذلك يستخرج علبة سكائرة وفي تلك اللحظة رايناه جيدا لم يكن يشبه الهنود بل هو اقرب الى انكليزي اسمر عملاق لم يشاهدنا بالطبع . غير أننا سمعناه يغمغم مع نفسه .

ـ عشاء سيء لا يطاق ! إيه ! ما هذا . .

وعندما عاد الى غرفة المكتب لم يغلق الباب جيدا . والحقيقية انّ هذا الباب ما عاد ينغلق بالشكل المطلوب منذ ان انتزعنا قفلة لتستخرج منه مبراة الاقلام بعدما حشرها هوراس في ثقب المفتاح لم نكن نقصد ان ننصت لما يقال واني أقسم على ذلك وانّما كان الخال الهندي ذا صوت قوي مرتفع ، ولم يكن الوالد يرضى ان يغلبه الهندي البائس بالكلام او بغيره ـ فسمعناه يتكلم بصوت عال هو الاخر ويقول انها تجارة جيدة لا

تحتاج سوى راس مال قليل . وكان يتكلم بلا رغبة وبشيء من الاستياء وكانه تعرض للخداع فغمغم الخال بكلمات تدل على السخرية وقال ان التجارة التي يحكي عنها الوالد لا تحتاج الى راس مال ، بل الى ادارة .
ثم سمعت بابا يقول :

ـ هذا ليس موضوعا ممتعا . انا متاسف للحديث في هذا الموضوع ما رايك في تغيير الموضوع ياسيدي . دعني املأ لك كاسك .

فتحدث الهندي المسكين عن الخمور المعتقة ـ وكيف ان رجلا مفلسا مسكينا لا يفهم كثيرا في هذه الامور وانه ..فقال الوالد عندئذ :

ـ حسن . ويسكي إذن

راحا بعدها يتحدثان عن ابناء الامبراطورية وغير ذلك من امور الناس والشعوب البريطانية .. وصار الحديث ثقيلا على النفس ثم تذكّر اوزوالد ان المرء لا يجوز له ان يسمع ما لا يريد الاخرون ان يسمعه ـ حتى لو كان ذلك المرء غير متعمد وقال :

ـ لا يصحّ ان نبقى هنا ربما لا يحب بابا وضيفه ان نسمع ما يقولان .
قالت أليس :

ـ هل تعتقد انّ هذا يمكن ان يغضب بابا .

ثم ذهبت واغلقت باب غرفة المكتب بهدوء وباحكام فلم يعد بقاؤنا هناك يفيدنا بشيء ولذا ذهبنا الى غرفة اللعب وعندها قال نوئيل :

ـ الآن بدأت افهم . طبعا بابا أقام مأدبة العشاء للهندي لأنّه رجل مفلس مسكين وكان علينا ان ندرك هذه الحقيقة من عبارة «ها ، قد جاء الهندي المسكين» ! تعرفونها . وقد وافقناه جميعاً وفرحنا للتفسير لأنّنا

لم نستطع من قبل ان نفهم لماذا يدعو الوالد الناس الى العشاء ولا يسمح لنا بالحضور قالت آليس :

ـ الفقراء عندهم أنفة (أو كبرياء) وأعتقد أنّ بابا فكّر بأن الهندي كان سيخجل لو أننا ، نحن الأطفال عرفنا كم هو فقير .

فقالت دورا :

ـ الفقر ليس عيباً يجب أن نحترم الفقير العفيف

فوافقناها جميعاً على صواب هذا الرأي ثم اضافت

ـ عسى ان لا يكون العشاء رديئاً .

بينما راح اوزوالد يلتقط قطع الفحم بيده ويضعها في النار حتى لا يحدث صوتاً إنّه ولد بعيد النظر فلم يمسح السخام بسرواله مثلما قد يفعل نوئيل او هوراس اوكتافيوس بل مسح يده بمنديل دورا وهي منشغلة بالحديث ومضت دورا قائلة .

ـ أخشى ان يكون العشاء فظيعاً . ان المائدة كانت جميلة بفضل الزهور التي جلبناها فانا رتبتها بنفسي وطلبت مني اليزا ان اقترض ملاعق وشوكات فضية من آمّ الجار آلبرت .

قال دكي باكتئاب :

ـ آمل ان يكون الهندي الفقير آميناً اذ عندما تكون فقيراً مفلساً فالملاعق الفضية يمكن ان تغريك بالسرقة .

فطلب منه اوزوالد آلّا يقول سخافات كهذه لان الهندي يمتّ لنا بصلة القرابة ولذا فهو لا يمكن ان يفعل ما يسيء الينا فقالت دورا إنّ الامور تسير بانتظام لانها غسلت الملاعق والشوكات واحصتها فوجدتها كاملة

ثم وضعتها في علبتها الجلدية واعادتها الى والدة الجار آلبرت ومضت قائلة :

ـ طبيخ الكرنب (اللهانة) باهت الطعم والبطاطا شبه محروقة وكانت هناك نتف سوداء في المرق ولحم الضأن محروق من الخارج ونيّء من الداخل . أما فطيرة التفاح فكان شكلها مقبولاً ولكنها لم تكن ناضجة اما الشيء الآخر الذي احترق وقد شممتم الرائحة طبعاً ـ انه الحساء .

قال أوزوالد :

ـ ياللاسف . لا أظنّ الرجل يحصل على عشاء جيّد كل يوم .

فقال هوراس :

ـ ولا نحن . لكن قد نحصل عليه غداً .

فكّرت بكل الاشياء التي اشتريناها بنصف الجنية ـ الارنب والحلويات واللوز والزبيب والتين وجوز الهند . وفكّرت بلحم الضأن المكروه وغيره من الاشياء وبينما كنت مستغرقاً في التفكير قالت آليس :

ـ لندع الهندي المسكين الى العشاء معنا غداً .

كنت على وشك ان اقترح هذا لو لم تسبقني الى ذلك .

جعلنا الصغار يذهبون الى الفراش بعدما وعدناهم بوضع وريقات قرب فراشهم نذكر لهم فيها ما يحدث ليكون ذلك اول شيء يعرفونه في الصباح او في منتصف الليل ، إذا حدث واستيقظوا حينذاك . بعدها قمنا ، نحن الكبار ، بالاعداد لكل شيء .

انتظرت عند الباب الخلفي . وكان على دكي ان يلقي بحجارة صغيرة من فوق السلّم اشارة الى قرب خروج الخال الهندي بحيث استطيع ان

ألفّ حول البيت لملاقاته عند الباب الخارجي .

قد يبدو في هذا التصرف شيء من الخداع ، ولكن اذا كنت ولداً ذكيّاً رصيناً فسوف تدرك أنّنا ماكنّا نستطيع النزول لنقول للخال ، تحت سمع الوالد وبصره إن «بابا قدمّ لك عشاء سيئاً فظيعاً ولكن إذا جئت مساء غدٍ فسوف نريك كيف يكون العشاء الجيّد» وستلاحظ اذا تأملت المسألة جيداً ، أن تصرّفاً كهذا لا يدلّ على أي احترام للوالد .

وهكذا ودّع بابا الخال الى الباب الخارجي وعاد الى غرفة المكتب . وتقول دورا إنه كان حزيناً جداً . وما أن نزل الهندي المسكين درجات الباب الخارجي حتى وجدني واقفاً هناك عند البوابة الخارجية لم أهتم بكونه فقيراً وقلت :

ـ مساء الخير ياخال .

قلتها بمنتهى الاحترام كأني أخاطب سيداً يوشك أن يركب احدى العربات المذهبة الفخمة التي يركبها الأغنياء والمترفون ، لا رجلاً فقيرا سيخوض في أوحال الشارع مسافة ربع ميل على الأقل ليصل الى المحطة الّا اذا كانت لديه أجرة ركوب الترامواي ثم قلت ثانية ، حين وقف وراح يحدّق بي .

ـ مساء الخير ياخال .

أعتقد أنّه لم يتعوّد على رؤية أولاد مؤدّبين لان بعض الاولاد يتكلمون بمنتهى الوقاحة ـ وخاصة مع كبار السن من الناس الفقراء لذا قلت للمرة الثالثة :

ـ مساء الخير ياخال .

فقال :

ـ المفروض ان تكون في فراشك الآن يافتى ـ ها ! . ا الأمر . حينئذ وجدت أنّ لابد من الكلام معه بصراحة كلام رجل لرجل فقلت :

ـ تناولت العشاء مع والدي وسمعناك تقول عن العشاء إنه فظيع . لذا فكّرنا بأنك ما دمت هندياً فقد تكون فقيراً معدماً .

لم أشأ أن أخبره بأنّنا سمعنا هذه الحقيقية الفظيعة من فمه شخصياً لذا مضيت في كلامي :

ـ لأنك أنت لابد تعرف عبارة «ها قد جاء الهندي المسكين» لا تحصل على وجبة عشاء جيدة كل يوم نحن متألمون جدّاً لحالك الا تأتي لتناول العشاء معنا غداً ، أعني معنا نحن الاطفال ؟ عندنا عشاء جيد جداً جداً ـ ارنب ونسئلة وجوز هند ، لا تخجل من معرفتنا لفقرك لأننا نعرف أن الفقر الشريف ليس عيباً .

كنت سأستمر في الكلام لولا ان قاطعني قائلاً :

ـ أعدك ! وما اسمك ها ؟

قلت :

ـ أو زوالد باستبل .

ارجو ايها القراء . الّا تكونوا قد خمّنتم قبل الان ان الذي كان يروي القصة طوال الوقت هو اوزوالد وهنا قال الهندي الفقير :

ـ اوزوالد باستبل ها ! نعم سأتناول الطعام معكم يامستر اوزوالد باستبل ، بكل ما في القلب من سعادة . دعوة كريمة وودية للغاية ، انا واثق من ذلك طابت ليلتك ياسيدي . الساعة الواحدة ظهراً ، اليس

كذلك ؟

قلت :

ـ نعم في الواحدة طابت ليلتك ياسيدي .

عدت واخبرت الاخرين بكل ما دار بيننا ثم كتبنا وريقة ووضعناها قرب فراش الصغار جاء فيها : «الهندي الفقير سياتي غداً في الواحدة . كان في غاية الامتنان لطيب معاملتي له» .

لم نخبر بابا بأن الخال سياتي للغداء ، وذلك من باب الاحترام كما بينت لكم من قبل غير أنّنا آخبرنا اليزا بأن صديقاً سياتي للغداء معنا وطلبنا منها أن تحضر الطعام بطريقة جيدة وأظنها تصورته الجار البرت كان مزاجها رائقاً ذلك اليوم ولذا وافقت على طبخ الارنب وعمل فطيرة مطعّمة بالكشمش وعندما حلّت الساعة الواحدة وصل الخال الهندي . استقبلته أنا وساعدته على خلع معطفه الثقيل المبطن بالفراء وصحبته الى غرفة الالعاب ذلك أننا قررّنا تناول الطعام هناك حتى نجعله يرتاح بعيداً عن الرسميات واتفقنا على معاملته كواحد منّا . فلو عاملناه بمنتهى الادب فقد يظن أننا نتصرف بهذه الطريقة من باب التكّبر عليه لأنه فقير .

صافحنا واحداً واحداً وسألنا عن اعمارنا وعن مدارسنا وهز رأسه استغراباً لمّا قلنا له إنّ عندنا عطلة في هذه الايام لقد شعرت بالحرج ـ فأنا دائماً اشعر هكذا عندما يتكلمون عن المدارس ـ ولم استطع ان أجد الكلمات المناسبة لأقول له إنّنا اردنا ان نعامله كواحد منّا . سألته ان كان يلعب الكركيت فأجاب بأنه انقطع عن اللعبة في المدة الاخيرة ثم لبثنا

صامتين الى ان جاء الطعام وكنا قد غسلنا أيدينا ووجوهنا ومشطنا شعرنا ، قبل وصول الضيف فظهرنا باجسن شكل وخاصة اوزوالد الذي كان قد قصّ شعره في الصباح حين جاءت اليزا بالارنب وخرجت . نظرنا الواحد للاخر بيأس كما في الروايات كان منظره يوحي بأن غذاء اليوم سيكون سيئا مثل عشاء البارحة ، ولو ان لدينا الان اشياء افضل . رفس دكي اوزوالد بقدمه من تحت المائدة ليجعله يتكلم كان دكي لابسا حذاءه الجديد !

ولكن اوزوالد لم يرد عليه . عندئذ سأله الخال :

- هل تقطع اللحم ياسيدي ، أم أفعل أنا

وفجأة قالت أليس :

- هل تريد غداء وقوراً أم غداء فيه لعب ومرح فلم يتردّد في الاجابة قائلا :

- مع اللعب حتماً .. ها ! أليس كذلك .

وحينئذ شعرنا بالارتياح .

عندها جعلنا الخال يمثل دور صياد شجاع وجعلنا الارنب غزالاً اصطدناه بسهامنا البارعة في الغابة الخضراء ورحنا نشويه بعدما قطعه الخال احترقت القطعة الخاصة بالخال ، لكنه قال انها لذيذة وقال ان لحم الحيوانات التي يصطادها المرء تكون الذ وعندما حملت اليزا عظام الارنب وعادت الينا بالفطيرة انتظرنا الى ان خرجت واغلقت الباب ثم وضعنا الاناء على الارض وذبحنا الفطيرة كما تذبح الحيوانات في الغابة .

فقد جعلنا من الفطيرة خنزيرا بريا محاصرا ولكن اصطياده صعب حتى مع الشوكات وقد ابدى الخال شجاعة كبيرة في هجومه فصار يطعن الخنزير ويطلق صيحات الانتصار ولكن حين ان اوان الاكل اعتذر قائلا :

ـ لا ، شكرا . فكروا بكبدي .. ها ! أليس كذلك ؟

واكتفى بأكل قليل من اللوز والزبيب عندما تسلقنا الى الدرج العلوي .

ـ باعتباره اشجارا عالية ـ وجئنا بهما واكل ايضا بعض التين من الشحنات التي جاء بها التجار الاغنياء بسفنهم واكلنا نحن الحلويات وجوز الهند . كانت وليمة جميلة رائعة وقلنا بعدما فرغنا اننا نرجو ان تكون أفضل من عشاء الليلة الماضية فقال الخال :

ـ لم استمتع من قبل بمثل هذه الوليمة .

وكان من حسن الذوق بحيث انه لم يذكر وليمة الوالد صراحة ولاحظنا أنه سيد مهذّب حقاً ، بالرغم من فقره .

ثم دخّن سيكاراً بينما التهمنا نحن كل ما بقي من طعام وحدّثنا عن صيد النمور والفيلة وسألناه عن اكواخ (الوغوام)(*) وقلائد (الوامبوم)(*) وأفاعي البراري السامة والقندس فلم يعرف عنها

(ل) الوغوام (WIGWAM) كوخ من الجلود دائري الشكل يسكنه الهنود الحمر في منطقة البحيرات الكبرى من امريكا الشمالية .

الوامبوم (WAMPUM) قلائد تصنع من المسكوكات والخرز وانياب بعض الحيوانات احياناً يتزين بها بعض الهنود الحمر للدلالة على الثراء والقوة .

«المترجم»

شينا . وانّما حكى لنا كثيرا عن عجائب بلاده . أحببناه كثيراً وعندما تهيأ للذهاب لكزتني أليس بمرفقها للتذكير فقلت :
- عندنا شلن وثلاثة بنسات باقية من نصف الجنية خذها ارجوك لأنّنا نحبّك كثيرا حقا ولا نريد هذه النقود ونفضّل أن تأخذها أنت .
ووضعت النقود في يده . فراح يقلبها بيده ثم قال :
- سـاخذ ثـلاثة البنسـات لانـي لا استطيع ان اسلبكم بقيـة النقود وبالمناسبة من اين لكم النقود لهذه الوليمة الملكية . نصف جنية .. ها ! إليس كذلك .

فاخبرناه بالطرق المختلفة التي استخدمناها للبحث عن كنز وجلس ليصغي الينا جيدا . واخيرا حكينا له كيف مثّلت أليس دور الساحرة واستعملت عصا الاستدلال ، وكيف عثرت فعلا على نصف جنيه . فقال الخال إنّه يود ان يراها تفعل هذا امامه فأوضحنا له ان عصا الاستدلال لا تكتشف سوى الذهب والفضة وهما غـير موجـودين في البيت لأنّنا فتشنا عنهما في كل مكان .
قال :
- فضّة إذن ! فلنخف سلّة الاواني الفضية ونجعل الصغيرة أليس تعثر عليها بواسطة العصا السحرية .. ما رأيكم .
فقالت دورا :
- ليست لدينا أيّة اوان فضّية الان كما ان اليزا طلبت منّي أن استعير الملاعق والشوكات للعشاء ليلة امس من والدة الجار ألبرت . وان الوالد لا يلاحظ ذلك وقد عملت اليزا هذا تقديراً لك اما أدواتنا الفضّية فقد

اخذت لغرض التنظيف والجلي ولا اظن بابا يستطيع ان يدفع اجور التنظيف لان هذه الادوات لم ترجع الى البيت لحد الان .

قال الخال ، وهو ينظر الى بطانة الكرسي التي احترقت في عيد (غاي فوكس)

ـ رحماك ياألهي ! كم تأخذون مصرف جيب يوميا .. ها .

فقالت أليس :

ـ لا نأخذ شيئاً في الوقت الحاضر صدّقنا أننا لا نريد الشلن الباقي بل نفضل اكثر ان تأخذه انت أليس كذلك يااولاد .

فأجبنا جميعاً بالايجاب .

ورفض الخال ان يأخذ الشلن وراح يسألنا اسئلة كثيرة ونحن نجيب ثم غادرنا قائلاً :

ـ حسناً ياصغار لقد استمتعت كثيراً بوجودي معكم ولن أنسى كرم ضيافتكم وربّما يستطيع الهندي الفقير أن يدعوكم جميعا للعشاء في يوم من الايام .

فقال اوزوالد ان ذلك يسرنا جداً ان كانت الدعوة ممكنة فعلاً ولكن لا داعي لان يضايق الرجل نفسه ويعد لنا وليمة لطيفة مثل وليمتنا هذه بل يكفينا قليل من لحم الضأن وفطائر الرز . فنحن لا نحب هذه المأكولات بالطبع ، ولكن اوزوالد يعرف كيف يتصرف . ثم رحل الهندي المسكين .

لم نفز بأي كنز من وراء هذه الوليمة انما فزنا بوقت ممتع للغاية . وانا واثق من ان الخال استمتع بالمناسبة هو الاخر . وقد اسفنا شديد الاسف لذهابه ولعدم استطاعتنا شرب الشاي معه غير اننا لم نهتم لذلك

لاننا استطعنا اكرامه وقضاء وقت ممتع بصحبته في الوقت نفسه كما ان دورا تقول ان «الرضا سعادة دائمة» فلا يهم اذن ان يفوتنا الشاي .

اما الوحيد الذي لا يؤمن بهذه الحكمة فهو هوراس اوكتافيوس لذا مزجت له اليزا قليلا من الشاي مع شربت الزبيب الاحمر الذي بقي من وليمة عشاء الوالد في الليلة الماضية .

الفصل السادس عشر



نهاية البحث عن الكنز

هانحن نقترب الآن من نهاية البحث عن الكنز والحق انها نهاية جميلة للغاية ليس هناك افضل منها . ولكن حظنا كانما تعرّض لزلزال . وانتم تعرفون كيف تتغير الارض في الزلزال فينقلب عاليها سافلها وتظهر اشياء وتختفي اشياء .

كان اليوم التالي لذهاب الخال يوما عبوسا كئيبا . ولكن من يدري ماقد يحصل . كان يوما من الايام التي تبدو رتيبة لاحياة فيها ولا طعم ، ولكنه كان مقدرا له ان يكون يوما حافلا . ومع ذلك لم يكن في صباحه

مايدل على ذلك ، غير بؤس وكآبة اذ لم يشعر أي منّا بالارتياح . ولا أدري لماذا كان الوالد مصاباً بزكام حاد فتوسّلت اليه دورا أن يلوذ بدفء البيت ولا يذهب الى لندن وأعدّت له ثريداً خفيفا من الخبز والحليب الساخن . علماً أن دورا تعد الثريد بطريقة أفضل من إليزا الذي تجعله كثيفاً لزجاً . وعندما تأكل منه شيئا تحس بطعم خبز الذرة واضحا فيه .

لقد حافظنا على الهدوء وجعلت هوراس يدرس قليلا كما نصحنا المحسن الكريم) . لكن جوّ البيت ظلّ كئيباً . تأتي أيّام يشعر الإنسان فيها إنَّ كل شيىء يمكن أن يحدث قد حدث فعلا وانتهى وأنه سيقضي بقية أيامه يكرر نفس الأعمال المملّة السابقة . ومثل هذه الأيام تكون ممطرة رطبة عادة . ولكن ، كما قلت قبل لحظة ، من يدري ماقد يحصل .

ثم قال دِكي إنه سيهربُ الى شاطىء البحر لو ظلّت الأمور على هذه الحال ، وقالت أليس إنّها تفضل الدخول في دير . بينما كان هوراس منزعجاً من الحليب الذي اعطته إليزا إيّاه ، ولذا راح يقرأ كتابين في آن واحد لمجرَّد أن نوئيل أراد قراءة أحد الكتابين . وكان ذلك تصرفاً يدل على الانانية ولم يكسب منه سوى وجع الرأس . لقد كبر هوراس بما يكفي لجعله يدرك من تلقاء ذاته أن الانانية شيء سيء وعندما شكا من الصداع قال له أوزوالد إنّ الذنب ذنبه . ذلك لأنّي اكبر سناً من هوراس ومن واجبي أن أبينّ له ماهو الخطأ وما هو الصواب . غير أنه راح يبكي فأخذ أوزوالد يطيبّ خاطره لأن الوالد أراد الهدوء . وقالت دورا إنَّ

أوزوالد كان قاسيا .

لم يتدخل أوزوالد ثانية بالطبع ، بل ذهب الى النافذة ليتفرَّج على عربات الترام الغادية والقادمة . واقترب هوراس من النافذة هو الآخر ليتفرَّج ، فاخرج أوزوالد من جيبه قطعة قلم صغيرة وريشتي كتابة جديدتين واعطاها ـ وهو الولد الذي يعرف متى يكون كريما ـ لهوراس

وبينما هما يتفرَّجان على زخّات المطر تضرب بلاط الشارع شاهدا عربة كبيرة من ذوات العجلات الاربع قادمة سن جهة المحطّة فصاح أوزوالد :

ـ هاقد جاءت عربة العرَّابة الجنية وانها ستقف عندنا .

أراهنكم !

فاسرع الآخرون الى النافذة . وما كاد أوزوالد يقول هذه العبارة حتى جمد في مكانه دهشة واستغرابا . فقد وقفت العربة أمام البيت فعلاً . كانت محملة بصناديق وعلب فوق سطحها وحشد من الرزم يكاد يسد النوافذ . ثم نزل الحوذي فمد رجل من داخل العربة يده مناولاً ايَّاه عدداً غير قليل من الرزم من مختلف الاحجام والأشكال فاحتواها الحوذي بذراعيه ولبث واقفاً ينظر اليها باسماً وهنا قالت دورا :

ـ أما من أحد يقول له إنه أخطأ في العنوان ؟

وعندها نزلت من داخل العربة قدم راحت تتحسَّس موضع الهبوط مثل رجل سلحفاة تخرج من درعها حين ترفعها عن الارض ، ثم تلت القدم ساق رجل ومزيد من الرزم ، وفي اللحظة التالية صاح نوئيل :

ـ هذا الهندي الفقير !
وكان هو فعلا .

فتحت إليزا الباب ، فيما وقفنا جميعا ننظر من على درابزين السلّم . وكان الوالد قد سمع ضوضاء العلب والرزم في الصالون فخرج ليرى مايجري دون أن يفكر بزكامه ومرضه . لو فعل واحد منا شيئا من هذا القبيل لقيل إنّه ولد مهمل غير مطيع . ثم سمعنا الهندي الفقير يقول للوالد :

ـ أقول لك يادِك . أنا تغدّيت مع صغارك أمس وهم ألطف أشبال رأيتهم حتى الآن ! لماذا أخفيتهم عني في الليلة الفائتة ؟ ان الكبرى صورة من المسكينة [جيني] ! أما اوزوالد فهو رجل ! وان لم يكن رجلا بمعنى الكلمة فأنا حبشي ها ! مارأيك ؟ و .. دِك .. لن استغرب أبدا اذا وجدت من يوظف بعض أمواله في مشروعك .. ها ؟

ثم دخل هو والوالد غرفة المكتب واغلق الباب . فنزلنا ورحنانتفرّج على الرزم . كان بعضها ملفوفاً بصحف قديمة وبعض الخرق والبعض الآخر بورق اسمر وحبال وخيوط . وكانت هناك علب وصناديق قلنا مع نفسنا ربّما جاء [الخال] ليسكن معنا ، وهذه أمتعته أوهي بضائع للبيع ، فقد كانت رائحة التوابل تنبعث من بعضها ـ فيما رأت آليس احدى الرزم تشبه «البالة» . وحين سمعنا صوت يد على مقبض باب المكتب قالت آليس : «طيروا !» فهربنا ، ولكن يد الخال أمسكت بساق هوراس وهو يحاول تسلق الدرج وراءنا .

ثم قال الخال :

ـ تختلسون النظر الى الأمتعة .. ها ؟
وهنا نزلنا جميعاً لأن من العيب ان نترك هوراس وحده في المأزق ، ولأننّا أردنا أن نرى ما في الرزم . فقال هوراس :
ـ لم ألمس شيئاً . هل جئت لتقيم معنا ؟ آمل ذلك . فقال الهندي الطيب اللطيف :
ـ لاضير في أن تلمسوها كلكم ، لأن هذه الرزم جميعاً لكم . وسبق أن حكيت لكم كيف يأخذنا العجب والخوف والفرح ونقف مذهولين امام المفاجآت ، ولكن لا أظن أننّا ذهلنا من قبل بمثل هذه الشدة عندما سمعنا كلام الخال وهكذا مضى الخال الهندي يقول :
ـ حكيت لصديق قديم لي عن الغداء الممتع الذي تناولته معكم وعن قطعة ثلاثة البنسات وعصا الاستدلال وكل شيىء ، فأرسل لكم كل هذه العجائب كهدايا . وبعضها جاء من الهند .
فسأله نؤئيل :
ـ هل جئت من الهند ياخال !
ولمّا أجاب بـ «نعم» تملكتنا الدهشة ، إذ لم نكن نتصوَّر أنه من هنود الهند ، بل ظنناه هندياً أحمر ، غير منتبهين الى عدم معرفته القندس وغيره من حيوانات الغابات الشمالية .
وطلب من إليزا أن تساعده وحملنا جميع الرزم الى غرفة اللَّعب ورحنا نفك ونفك حتى غرقت أرض الغرفة بورق التغليف والخيوط . وجاء الوالد وجلس على كرسيه الهزّاز ذي المساند . ولكن قبل أن أعدد لكم الاشياء التي أرسلها صديق الخال الطيب ، لابدَّ من القول هو إنسان

كريم . كانت هناك لعب من كل الانواع وقاطرات ومكائن ميكانيكية لـ [دكي] ولي انا ، وكتب كثيرة واوان واكواب شاي من الخزف الياباني المذهَّب للبنات واكداس من اكياس وعلب الحلوى وعشرات الياردات من الاقمشة الحريرية الهندية لتعمل البنات اثوابا منها وسيف هندي حقيقي لأوزوالد وكتاب لوحات وصور يابانية لنونيل وشطرنج من العاج لدكي ـ واما القلاع فهي عبارة عن قلاع وفيلة . وهناك محطة قطار تحمل هذا الاسم الذي ماكنت أفهم معناه قبل رؤيتي احجار الشطرنج هذه .

كانت الرزم الملفوفة بورق اسمر وخيوط تحوي علب اللّعب . اما الصناديق الكبيرة فتحوي فواكه مجفَّفة واشياء اخرى . كما ان العلب والرزم المغلَّفة بالصحف القديمة كانت تضم الهدايا القادمة من الهند . لم أر مثل هذه الكمية من الهدايا والأشياء الجميلة قط من قبل . فهناك مراوح يد من رقائق الخشب المنقوش وخلاخيل من الفضة وسلاسل من خرز العنبر وقلائد من الأحجار الكريمة النقيَّة ـ قال الخال من الفيروز والعقيق ـ ولفاعات واغطية رأس من الحرير وصناديق من الخشب المطعم والمذهب وعلب من العاج وأواني من الفضة وحاجيات نحاسية .

وظل الخال يقول :

ـ هذا لك أيها الشاب . أليس الصغيرة ستعجبها هذه المروحة . الآنسة دورا ستبدو حلوة بهذا الحرير الأخضر .. أعتقد .. ها ! أليس كذلك ؟ راح الوالد ينظر الى مايجري أمامه وكأنه في حلم الى أن نبهَّه الخال من ذهوله بأن ناوله سكين فتح رسائل من العاج وعلبة سيكار قائلاً

ـدك إن صديقي القديم ارسل هذه لك . وهو يقول إنه صديقك ايضا .
وغمز بطرف عينه لوالدي فانتبهنا انا وهوراس لذلك . وغمز له الوالد
بالمقابل مع انّه حرّم علينا ان نفعل شيئا من هذا القبيل .
كان يوما رائعا . حصلنا فيه على كنز . لاريب في ذلك ! لم ار في حياتي
تلالا من الهدايا كهذه ... كانها حكاية من حكايات السحر ـ حتى إليز
حصلت على شال . ولعلّها تستحق الهدية فهي التي شوت لنا الارنب
وأعدّت الفطيرة . اوزوالد يقول ليس ذنبها ان تشمخ بانفها ولاتسرح
شعرها بالفرشاة لاني اعتقد انها لاتحب ايّ عمل له علاقة بفرشاة . بما
في ذلك تنظيف السجاد . لكن اوزوالد يحاول دائما ان يجد اعذارا حتى
لن لاينظف اذنيه .
جاء الخال الهندي لزيارتنا بعدئذ عدة مرات . وفي **كل** مرة يأتينا
حاملاً الينا هدايا من صديقه . وفي احدى المرّات اعطى كل واحد منّا
جنيها ذهبياً ـ جاء بها الخال من صديقه . ومرّة إخرى ارسل الصديق
قوداً لنذهب بها الى (القصر البلّوري) . وقد ذهبنا برفقة الخال . إلى
لسيرك . وحين اقتربت مناسبة عيد الميلاد قال الخال :
. تذكرون عندما تغذّيت معكم قبل مـدّة ، انّكم وعدتم بقبـول دعوتي
لغداء في المستقبل اذا قد رت على ذلك . حسناً ساقيم وليمة بمناسبة
يد الميلاد . لا في يوم الميلاد نفسه ، لأن كل واحد يذهب الى بيته في ذلك
ليوم ، بل في اليوم التالي اذ سيكون هناك لحم ضأن بارد وفطائر رز .
ستأتون ؟ ها ! أليس كذلك ؟
لنا له إنّ ذلك يسعدنا ، إذا وافق الوالد . وكان ذلك أفضل رد فقال

الهندي الفقير ، أعني الخال
ـ والدكم سيوافق لانه مدعو ايضاً باركّكم الله ! أعددنا جميعاً هدايا
عيد الميلاد للخال . فصنعت البنتان له علبة للمناديل وكيساً للأمشاط
من قصاصات القماش الحريري الذي قدمه لهما . واشتريت أنا له
سكيناً ذات ثلاثة أنصال وجاء هوراس بصافرة ، حادّة الصوت
وشاركني دِكي بثمن السكين بينما قرّر نوئيل أن يقدم له العلبة العاجية
الهندية التي ارسلها صديق الخال في يوم العربة السحري . ....
قائلاً إنها أثمن مالديه وأن الخال لن يرفضها لأن دِكي لم يشترها من
ماله الخاص :
أعتقد أن تجارة أبي تحسنت ـ ربّما لأن الأموال التي ساهم بها
صديق الخال هي التي أنعشت أعمال الوالد مثل إطعام جائع . المهم
أننّا حصلنا جميعاً على بدلات جديدة وفصّلت البنتان القماش الحريري
الأخضر ثوبين جميلين . وفي يوم الإهداء (*) أخذنا مركبتين الى دعوة
الخال . واحدة ركب فيها الوالد والبنتان وثانية أخذناها نحن الأولاد
تساءنا مع انفسنا كثيراً : أين يسكن الهندي ياترى ؟ وعندما بدأت
العربة ترتقي باتجاه (المرج) تصورنا أن الخال ربما كان يسكن أحد
البيوت الصغيرة البائسة المنتشرة على مرتفعات غرينتش . لكن العربة
عبرت المرج لتصل الى بوابة كبيرة ومنها الى طريق عريض وسط حديقة
واسعة تحيط به شجيرات الورد والزهور المجللّة بثلج الشتاء . وأخيراً

(*) يوم الاهداء او الهدايا ـ هو اليوم التالي لميلاد السيد المسيح وهو اليوم
الذي يوزع الناس الهدايا فيه على الفقراء والمعوزين .

وقفنا أمام واحد من تلك البيوت الحمراء الضخمة القبيحة المحاطة بعشرات النوافذ ، والتي تمتاز بالراحة والبذخ من الداخل . وهناك على درجات المدخل وقف الخال الهندي ، بادي الضخامة والمهابة بسترته المخملية الزرقاء وصديريّه المصنوع من فراء الفقمة الأصفر . الحافل بالأزرار . فقال دكي :

- أتراه اشتغل ساقيا هنا ؟ ياللرجل المعدم المسكين ! ومال نونيل الى هذا الاعتقاد لأنه يعرف أن هذه البيوت الفخمة تضم عادة آلافاً من السقاة الانيقين بهذا الشكل .

نزل الخال درجات السلّم وفتح باب العربة بنفسه ، وهو عمل لايقوم به السقاة عادة . وقادنا الى الداخل حيث وجدنا نفسنا في صالون أنيق جميل فرشت على أرضه جلود دببة ونمور . وكانت هناك ساعة كبيرة انتصبت على الأرض يظهر عليها وجه الشمس في النهار والقمر في الليل ، ويؤشر الساعات عقرب يشبه المنجل . وكانت تحمل عبارة «فلنت - اشغورد ١٧٧٦» . كما هناك ثعلب محنّط يلتهم بطّة في صندوق زجاجي وقرون وعل وغيره من الحيوانات مثبّتة على الأبواب . وهنا قال الخال :

- لنذهب أولا الى غرفة مكتبي ونتبادل تهاني عيد الميلاد . عندئذ عرفنا انه لم يكن الساقي ، ولابد أن هذا البيت الضخم ملكه . لأن سيد البيت وحده هو الذي يملك غرفة مكتب فيه .

لم تكن غرفة مكتب الخال تشبه مكتب الوالد اذ لم تكن فيها كتب ، بل

(١) الساقي او النادل هو كبير الخدم في القصور الاقطاعية الاوربية وهو الذي يشرف على الولائم ويقدم الشراب لسيد القصر وضيوفه .

- المترجم -

سيوف وبنادق وصحف وعدد كبير من الاحذية الطويلة وصناديق لم تفرغ محتوياتها كلياً وتبدو حافلة . بمنتوجات هندية .

قدَّمنا له هدايانا فسرَّ بها سروراً عظيماً وأعطانا هو هداياه ايضاً لاشك انكم مللتم الحديث عن الهدايا ، ولكن لابد لي من إيضاح : أن كل هدايا الخال كانت ساعات . فقد اعطى كل واحد منا ساعة حفرت عليها أسماؤنا . وكانت كلها من الفضة عدا ساعة هوراس فكانت من نوع «ووتربري» وقال الخال إنَّه اختارها لتناسب حذاء هوراس . ولم أعرف ماذا يقصد . ثم التفت الخال الى الوالد فقال بابا :

ـ اخبرهم بنفسك ياسيدي .

فسعل الخال ثم نهض والقى خطبة قال فيها :

ـ سيداتي وسادتي . لقد اجتمعنا لنبحث مسألة مهمّة ظلّت اسابيع تشغل بال هذا السيد الشريف وبالي .

قلت : «اسمعوا .. اسمعوا» . وهمست اليس : «ماذا ؟» . تابع الخال كلامه :

ـ أنا أعيش في هذا البيت ، وهو كبير عليّ . ولقد وافق والدكم على أن تأتوا جميعاً للعيش معي . فإذا قبلتم فسوف نسكن هنا كلنا . وحق الله سيكون بيتا سعيدا لنا جميعا ، ها ! أليس كذلك ؟

ونظف أنفه بمنديله ثم قبّلنا واحدا واحدا . ولم امانع انا مع انني كبرت على عادة تقبيل الاطفال في المناسبات واضاف قائلا :

ـ اشكركم كلكم جزيل الشكر على هداياكم . ولكن معي الآن هدية منكم أعتبرها أثمن ما أملك .

اعتبرت كلامه نوعاً من المجاملة الى أن أبصرت مسكوكة من فئة ثلاثة بنسات معلَّقة في سلسلة ساعته ، لابد أنها القطعة النقدية التي أعطيناه ليلة تعشّى معنا . ثم قال :

ـ اعطيتموني هذه البنسات ياأطفال حين ظننتم أني الهندي الفقير ، وسأظل محتفظاً بها طيلة حياتي . لقد طلبت من بعض الاصدقاء أن يساعدوني على خلق جو الحيوية والسعادة في هذا البيت ، فما رأيكم ؟

ثم صافح والدي وتمخَّطا وقال بابا :

ـ خالكم قد تفضل كل الفضل و ... كل الفضل ... فقاطعه الخال

ـ بالله عليك يادِك ... بلا كلام فارغ : عندما قال هوراس ، كمن أصيب بخيبة أمل شديدة :

ـ إذن فأنت لست فقيراً أبداً ؟

فأجاب الخال :

ـ عندي مايسد حاجاتي البسيطة . شكراً ياهوراس وتجارة الوالد ستوفر لكم ماتحتاجون . ها ! أليس كذلك ؟ نزلنا كلنا ورحنا نتفرَّج على الثعلب المحنَّط . وطلبنا من الخال أن يرفع عنه الصندوق الزجاجي حتى نستطيع أن نراه جيداً من جميع الجوانب . وآخذنا الخال بعد ذلك ليفرِّجنا على البيت فوجدناه حافلاً بكل أسباب الراحة . وكانت هناك لوحة جميلة لأمّي في صالون الوالد . اذن لابد أن الخال غني جداً . ان هذه النهاية تشبه مايحدث في روايات . [ديكنز] . ولكن أليس جميلاً أن تجري الامور كما في الروايات . وهي تبين كم هو إنسان طيب هذا الخال في كل مافعله .

تصوروا كم كان الخال سخيفا لو أنه قال لحظة قدمنا له الشلن والبنسات : «أوه ، لاأريد نقودكم القذرة هذه ! أنا رجل غني جدا» . إنما هو أخفى سرّ ثرائه الى مناسبة عيد الميلاد ليلقي بهذه المفاجأة علينا جميعا دفعة واحدة . ثم ماذنبي أنا إذا كانت الأحداث تجري مثل روايات [ديكنز] !

وحال ما انتهينا من التجول في البيت قادنا الخال الى قاعة الاستقبال حيث وجدنا السيدة ليسلي ، التي أعطتنا السد وتمنّت لنا صيدا طيبا . واللّورد توتنهام وعَمّ الجار ألبرت وأمه (أنا لاأحبها كثيرا) ... وكان هناك أيضاً ، وياللفرحة ! صديقنا اللص وولداه . وكان اللص مرتديا بدلة جديدة . وقال الخال إنّه دعا جميع الناس الذين عاملونا بلطف . فقال نوئيل :

ـ أين المحرر النبيل الذي كتبت له أشعاري ؟ فأجاب الخال بأنه لم يجرؤ على دعوة صحفي لايعرفه إلى الغداء وأنّ اللّورد توتنهام ، صديقه القديم ، هو الذي عرّفه على السيدة ليسلي ، وأنه يشعر بالفخر والسرور لاستقبالها بهذه المناسبة وانحنى للسيدة كما في بطاقات عيد الميلاد . عندئذٍ سألته أليس :

ـ وماذا عن المستر روزنباوم ؟ انه عاملنا بطيبة . كانت ستكون مفاجأة سارّة له...

فضحك الجميع وقال الخال :

ـ والدك دفع له الجنيه الذي اقرضكم إياه . ولا أظنّه يقدر على تحمل مفاجأة سارة أخرى كهذه . وذكرت لهم القصاب وقلت إنه كان طيبا

حقا . لكنهم ضحكوا ثم قال الوالد إن المرء يمكن أن يدعو كل معارفه الى وليمة عشاء خاصة .

ثم حان موعد الغداء وتذكرنا حديث الخال عن لحم الضأن البارد والرز . ووجدنا انفسنا امام وليمة رائعة لم أر في حياتي مثل هذه المقبِّلات والحلويات ! ووضعت لنا تلك الحلويات في مواعين أخذناها الى صالون آخر كان بالنسبة لنا أحلى من الجلوس الى مائدة طعام مع الكبار . بينما لبث طفلا اللص مع والدهم . كانا طفلين شديدي الخجل مذعورين لم ينطقا بحرف . بل كانا يتطلَّعان الى ماحولهما بعيون متوهِّجة . وقد قال هوراس عنهما إنها يشبهان الفئران البيض . لكننا ، بمرور الوقت ، عرفناهما بصورة أفضل ووجدنا أنهَّما ليسا فأرين كما تصوَّر هوراس أول الأمر ان هناك الكثير من الحكايات الممتعة عنهما ، وأنوي أن أسردها عليكم في كتاب آخر ، إذ لم يبق مجال في هذا الكتاب .

قضينا عصر اليوم كلَّه نلعب ونحتسي شراب الزنجبيل في صحَّة الخال : وحدث أن سكب هوراس كأس شرابه على ثوب آليس الحريري الأخضر ، فلم تغضب ولم توبخه على اهماله كما انه ليس صحيحاً ان ينحاز ولد لاحد اخوته من دون الاخر . وهذا ينطبق على اوزوالد فهو لا يفضل اختاً على اخرى او أخاً على الاخر . وحتى لو حصل شيء من هذا القبيل فهو لا يسمح لمثل هذا الشعور بالظهور ولو انقلبت الدنيا .

وهكذا سنمضي للعيش في البيت الكبير الفخم في منطقة (المرج) وهذا امر جميل للغاية .

ان السيدة ليسلي تزورنا دائماً ، وكذلك صديقنا اللص وعم الجار

ألبرت .. ان خالنا الهندي يحب عم ألبرت لانه عاش في الهند هو الاخر وجعلته الشمس اسمر اللون . ولكنه لا يحب الجار ألبرت نفسه . بل يقول عنه انه اخرق لا يحسن التقاط الكرة ونحن نريد الذهاب الى لعبة الركبي انا ونوئيل وهوراس وربما ذهبنا الى (باليـول) بعد ذلـك . ان باليول هي الكلية التي درس فيها والدي وعندها شعاران بينما العديد من الكليات الاخرى لا تملك سوى شعار واحد اما نوئيـل فينوي ان ينصرف الى كتابة الشعر ودكي يريد ان يعمل في تجارة الوالد .

ان خالنا كهل طيب بكل معنى الكلمة ولكن تذكروا اننا ما كنا لنتعرف عليه ونكسبه ابدا لو لم نقرر ان نبحث عن كنز وقد كتب نونيل قطعة شعرية بهذه المناسبة :

ها هو ذا الهندي الفقير ! القادم من بلدان نانية
ياتي الى حيث الباحثون عن كنز
بحثنا عن كنز فوجدنا
ان احسن كنز على الاطلاق هو خالنا الكريم الطيب

* * *

انا اعتبرت هذه القطعة الشعرية نوعا من السخف لكن اليس قرأتها للخال فاعجب بها اعجابا شديدا وقبل اليس وضرب نونيل على ظهره مداعبا وقال :

ـ لا اظنني فشلت في الحصول على كنز ولو اني اذا اردتم الحق ـ لم اكن (صياد كنوز محترف . . ها! أليس كذلك)

تمت

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٩٨٧) لسنة ١٩٨٨

٧٥٠ فلس

دار الحرية للطباعة ـ بغداد